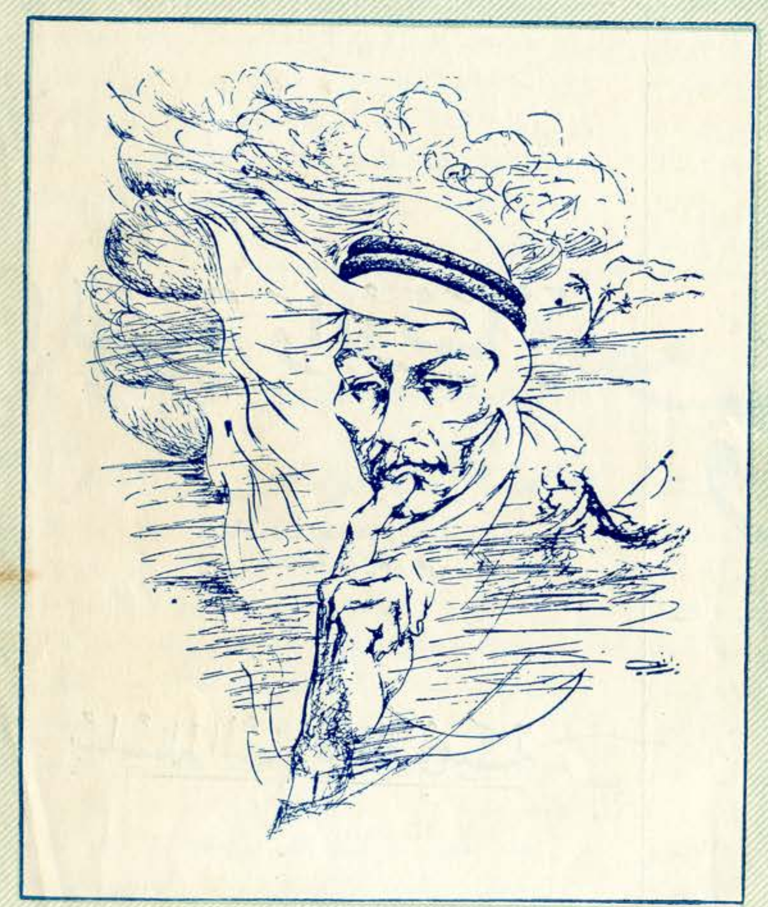


مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر



الصمود – للفنان ناظم ايراني (لبنان)

العدد السادس

حزيران (يونيه)

السنة الخامسة ١٩٥٧

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ — تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

العدد السادس
حزيران (يونيه) ١٩٥٧
السنة الخامسة

No. 6. Juin 1957
5ème année

تقديم العدد

صادفت فى الثامن من هذا الشهر (نوار) الذكرى الثانية عشرة ليوم النصر فى الجزائر ، ذلك اليوم الذي خلعت فيه فرنسا ثوب الانسانية الزائف الذي ترتديه ، وتجلببت بثوب الوحشية لتقيم اكبر مجزرة عرفها التاريخ بافناء ما يزيد على اربعين الف مسلم من الجزائريين .

وقضية الجزائر تظل ابدا على الصعيد الاول من اهتمام العربي اليوم . فان الانتصار فيها يعني اكثر من مجرد استقلال قطر آخر من الاقطار العربية ، ان دلالة هذا الانتصار هي تماسك الوطن العربي تماسكا شديدا يبشر بامكان تحقيق الوحدة المرجوة بتضافر الشعب العربي كله .

وهو يعني كذلك توجيه ضربة جديدة الى الاستعمار الذي يحاول بكل ما ملكت يده من وسائل ان يفقد العربي ثقته بامكاناته الضخمة ، فيأتي هذا العربي فى الجزائر ليثبت ان ما لا يزيد عن خمسة عشر الفا من أمثاله يستطيعون ان يقاوموا ثلاثة ارباع المليون من الجنود الفرنسيين المزودين باحدث الاسلحة . ذلك ان الروح التي تضطرم بها اعماق هذا العربي من ايمان بالنصر النهائي هي التي تجند قواه وتشحذها لمقابلة جندي هو فى غالب الاحيان غير مؤمن بعدالة القضية التي يدافع عنها خارج وطنه ...

وليس من شأن اساليب التعذيب التي يعمد اليها المستعمر ، والتي يتحدث عنها رئيس التحرير فى هذا العدد ، الا ان تعمق معنى الشرف الذي يدافع عنه العربي فى الجزائر ، بقدر ما تعرض هذا المعنى لدى المستعمر للاهانة والصغار .

وفى مقال « الجانب الانشائي من الثورة الجزائرية » تصوير للايجابية الفعالة التي تنطوي عليها هذه الثورة اذ تصهر جميع عناصر الشعب وتكهربها ، فتتجند هذه العناصر ، كل فى ميدانه ، لابلاغ الثورة النجاح المنشود . ويسهم الشعر فى قصيدة « يا مغرب » بنصيبه من تمجيد هذا الكفاح العظيم .

والمقال الرئيسي فى هذا العدد هو للدكتور عبد الله عبد الدائم ، وفيه يتحدث عن « الجيل العربي الجديد امام مستقبله » فيستعرض مفهوم الماضي ويلح على اهميته فى ربط الحاضر بالمستقبل ، ويتطرق الى التاريخ العربي فيتحدث عن الحيف الذي أصابه بسبب منا نحن حين نكتفي بالتغني بجماله دون ان نستخرج هذا الجمال ، او بسبب من الكتاب الاجانب حين يكتبون تاريخنا لغايات فى نفوسهم ، ويعلق اهمية كبيرة على ان يكون المستقبل قوة محركة للحاضر ، مدافعا عن قيمة الوجود العربي الذي يتهمه بعضهم بعدد من الآفات ليست هي فى التحليل الاخير الا تشكلات سطحية زائفة .

ومن القضايا الادبية التي يتضمنها هذا العدد ازمة الادب الانساني اليوم ، واضطراب الانتاج الادبي فى العالم ، كما ان مسرح توفيق الحكيم الفلسفي مدروس دراسة شاملة معمقة بقلم ناقد فرنسي .

ويعالج مراسل « الآداب » فى لندن قضية من اهم قضايانا هي تقصيرنا الفادح فى ميدان الدعاية ، هذا الميدان الذي يمارس اكبر التاثير على الراي العام العالمي ويوجهه وتلك شكوى مزمنة آن للحكومات العربية ان تضع حدا لاسبابها ، وان تؤمن بأن « معركة » الدعاية تلعب دورا خطيرا فى تقييم المعارك الحقيقية الاخرى بحيث يتوقف عليها — فى كثير من الاحيان — نجاح هذه المعارك او فشلها. وينبغي ان نعترف بأن الاعداء قد انتصروا علينا فى هذا الميدان، ولعل هذا كاف لان يدفعنا الى اقامة خدمات منظمة فى شتى انحاء العالم لتعريف مسائلنا الى الرأي العام على وجهها الصحيح العادل الذي لا تستطيع الدعايات الاجنبية ان تشوهه او تزيفه .

اما الابواب الشهرية المعتادة فهي حافلة فى هذا العدد بالتعبير عن النشاط الفكري عندنا ، ولاسيما الفني ، ونحن نعتقد ان الفكر سيظل عندنا معافى ما دام الفن فى عافية رغم ما تجتازه بلادنا من ازمات واخطار .

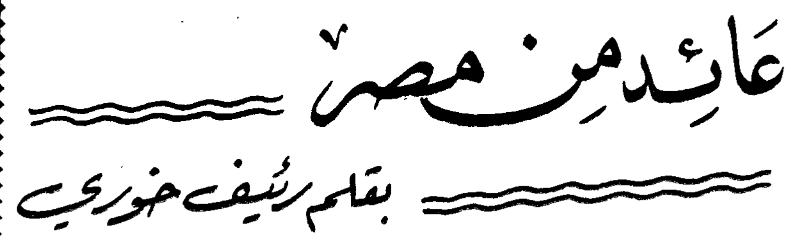
« الآداب »

العدد السادس
حزيران (يونيه) ١٩٥٧
السنة الخامسة
No. 6. Juin 1957
5ème année

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ — تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS



اذا كان عربي ، أيا كان وطنه الخاص سوريا او العراق او الجزيرة العربية او فلسطين وشرقي الاردن او السودان واقطار المغرب الافريقي ، مطالبا بحب مصر ونصرة مصر ، فان كل لبناني مطالب باكثر من ذلك : ان تجري مصر فى دمه وان يكون ابتسام مصر ابتسامه وجرح مصر جرحه . ذلك بان مصر قد كانت للبنان وطنا مكملا . ولن التمس الدليل الا من تلك العبقريات التي نبتت فى لبنان ثم لم تجد فى ايام القحط العثماني ارضا خصبة تفر اليها من الجفاف والخنق الا ارض مصر حيث امكنها ان تزهر فى جو سمح حر وان تعطي عطاءها الكريم من الثمر . لن التمس الدليل الا من ابراهيم اليازجي وصروف وزيدان والشميل ومي ومطران والجميل وكثرة سواهم لا يحيط بها حصر . فاذا كان لبنان وطنا راسماله الفكر والادب ، فان اقبح شيء به ان يتنكر لمصر ، لانه ساعتئذ لا يتنكر لمصر وحدها وانما يتنكر لنفسه ايضا . اقول هذا وانا اعلم ان سيسيء فهمي نفر لا يفطنون الى العزة اللبنانية الا حين يتصورون ان مستها مصر، أو سوريا، يؤثرون ان يكونوا عبيدا مع الاجنبي المستعمر على ان يكونوا سادة احرارا فى وطنهم مع آخوانهم .

لقد ذهبت الى مصر فى اواسط نيسان وقضيت فيها الشطر الثاني من شهر نيسان كله ، وهمي ان القي بضع محاضرات كلفني القاءها معهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة العربية، اتخذت موضوعها نفرا من اللبنانيين كانوا رواد تجديد وابتكار فى الادب العربي الحديث امثال المعلم بطرس البستاني الذي حاول اخراج اول دائرة عربية للمعارف ، وظاهر خيرالله الشويري الذي اقدم على اجتهاد جديد فى فقه اللغة احياءً لها ، والدكتور شبلي الشميل الذي دعا للعلم وحاول تحرير البحث العلمي من النظريات الغيبية .

ذلك كان همي الاول ، فاما الهم الاخر فقد كان ان اعرف مصر من كثب ، وطبيعة التجربة الجديدة فى مصر ، وواقع هذه التجربة وما يكمن وراءها من امكانات .

وكان كثيرا هذا الذي سمعته عن مصر منذ ان قام فيها الحكم الجديد ، ومنذ ان أممت فيها القناة ، ومنذ ان جن لذلك جنون المستعمرين فكادوا لمصر الكيد الذي ارتد فى نحرهم .

سمعت ان مصر تنتهج سياسة تمييز ديني بين المصريين فتحابي المسلم لمجرد انه مسلم ، وتنتقص من حقوق المسيحي لمجرد انه مسيحي

وسمعت ان مصر قد تغيرت على لبنان واصبح صدرها ضيقا باللبنانيين ، وان حكام مصر قد انجرفوا انجرافا فى تيار الشيوعية ، وان المعارضة لحكام مصر تقوى وتشتد فى صفوف الشعب المصري الذي يشاهد انهيار كل شيء حوله ولكن الديكتاتورية تقمع معارضة الشعب المصري قمعا .

هذا بعض ما كنت قد سمعته عن مصر ، وهذا بعض ما جعلت وكدي ان استوضحه واخلص فيه الى جواب بسيط ..

ليس ادعى الى « القرف » — عفوا ! لا اجد كلمة غيرها تفي بالمعنى — من اولئك الذين يشيعون ان مصر تنتهج سياسة تمييز ديني . فقد طفت فى القاهرة فى احياء شعبية لا يعرفني فيها احد ، وانا لا اتكلم اللهجة العربية المصرية ، ولي اسم يعلن عن مسيحيتي ، وبين شفتي لفافة تعلن انني غير صائم ، مع ان الشهر كان رمضان المبارك ، بل دخلت فى غير وقت الافطار مطاعم اكلت فيها الفول والطعمية وجلست فى مقاهي شربت فيها القهوة ، فما وجدت احدا عرض لي بكلمة زجر ، أو حدجني بنظرة انكار . بل كنت فى

هذا القول انما يفكرون على اساس تمنياتهم . والواقع ان الاعتداء الاحمق الفاشل على مصر قد كان من اهدافه الاثبات للشعب المصري ان السير وراء حكامه يكلفه حقد المستعمرين وغضبهم العنيف . ولكن ذهل المستعمرون عن ان تضايقهم من حكام مصر الجدد هو الذي زاد في تحبيب هؤلاء الحكام الى الشعب المصري ! ولن انسى ما اجابني به عامل مصعد في احد الابنية حين قلت له مختبرا : ان سياسة عبد الناصر قد كلفتكم غاليا ، هاجمتكم الدول ، واتهمتكم التهم ، وطوقتكم اقتصاديا . فقال : ليست هذه سياسة عبد الناصر ، انها سياسة مصر . ونحن نعلم ان الدول المعتدية ستهاجمنا في كل حال نصر فيها على سيادتنا واستقلالنا . انهم لا يريدون مصر سيدة مستقلة ، ولا العرب احرارا اسيادا في بلادهم ! « اولاد الكلب دول » يعترفون بان القناة لمصر ، ثم يهاجموننا لان مصر اخذت القناة . يرضوننا بالاقوال ، ويسيئون الينا بالافعال ، كاننا اطفال !

الواقع ان حكام مصر الجدد لم يكونوا في يوم اقرب الى قلب الشعب المصري منهم اليوم . والواقع ان عامل المصعد قد عبر عن ادراك جديد دخل في وعي الشعب المصري . فلقد اصبح المصريون يحسون ان ليس المراد عبد الناصر اليوم ، او سعد زغلول بالامس ، او محمد فريد او مصطفى كامل او عرابي او محمد علي ، وانما المراد استعباد مصر ، وكل ما عدا ذلك فحجج وذرائع تلفق وفق المناسبات . وشهادة التاريخ تؤيد الشعب المصري في هذا الاستنتاج الذي انتهى اليه . فيوم ثار محمد علي على سلطنة « الرجل المريض » فحاربها واراد احتلال الاستانة ، لم تكن في العالم شيوعية ، ولا كان محمد علي مرتميا في احضانها ، ولا كان يشكل خطرا على النظام الملكي ، ومع ذلك احتشدت الدول لمحاربته لانها كرهت ان تقوم دولة فتية في حيث تحتضر دولة الرجل المريض .

الشعب المصري ، هذا الشعب المرح الطيب المحب ، قد قطع اليوم مرحلة جديدة نحو المزيد من الوعي المركز . انه يقدر الصعوبات التي تحيط به ، ويعلم ان كثيرا منها قد تراكم منذ عصور وعصور ، فليس المسؤول عنه عبد الناصر أو غيره من حكام مصر الجدد . ويعلم الشعب المصري فوق ذلك ان المشقة والتضحية والحرمان لا بد منها في معركة الحرية والسيادة والكرامة ، بل يعلم انه قد عانى في تاريخه كثيرا من المشقة والتضحية والحرمان في سبيل لا شيء ، فهو سعيد اليوم ان يعانيها في سبيل حريته وسيادته وكرامته مع حكام لا تعوزهم النية الصالحة ولا الفهم المستقيم .

لقد طرح الشعب المصري وحكامه الجدد طرحا رصينا قضايا جدية عظيمة في تاريخ الشرق العربي ، ولاول مرة منذ اجيال طوال ! وبعد ان كانت كلمة الشعب في الشرق العربي « لفظا » استعير في اكثر الاحيان من قاموس السياسة الغربية ، الا انه لا يمثل قوة فاعلة ، اصبحت كلمة الشعب في تاريخ العرب بعد اليوم قيمة من القيم التي لا يستطيع الساسة المحليون ولا الساسة العالميون الا ان يقفوا منها موقف الاحترام والتهيب .

اني اعود من مصر متفائلا واعمق ايمانا بمصير حر حقا للبنان والعروبة . اعود من مصر واثقا بان التجربة الجديدة فيها ستنتصر على العقبات والتهويلات جميعها ، ستنتصر على مؤامرات الغرب واسرائيل وبعض الساسة العرب الذين لا اجد ما اصفهم به سوى انهم من سقط المتاع .

ولعل انكد عقبة تعانيها مصر اليوم ان تجد الوسائل الكافية لتبني قوة عسكرية دفاعية تواجه بها كل عدوان محتمل ، ولتنشىء سدها العالي فتخلق من الارض مدى حيويا يفتقر اليه الشعب المصري افتقار الكائن الحي الى الهواء الطلق .

وان في الفوز الذي حققته مصر باستعادة قناتها لخطوة كبيرة نحو هذا الهدف القومي العظيم .

وان من الاجرام بحق لبنان او اي شعب عربي آخر ان يعير نفسه اداة للضغط الاستعماري على مصر . وليس قولي هذا غيرة على مصر بمقدار ماهو غيرة على لبنان نفسه . فما يصح اليوم أو غدا الا ان يسجل التاريخ ان لبنان ، بأبناء شعبه الذين لا ينطقون عن الهوى ، قد كان الى جانب مصر وان احاطت بسلوك بعض حكامه الريب .

رئيف خوري

كل مكان ألقى بشاشة ولطفا، يلبي طلبي الخادم فى المطعم أو المقهى، ويقفعابر الطريقمهتما حين استوقفه لاسأله بلهجتي غير المصرية ، واللفافة بين شفتي ، ان يدلني على شارع أجهل الطريق اليه . وكم فتشت عن قبطي يحدثني ان معاملته قد أسيئت لانه قبطي، فلم أجد، معاني لقيت عددا من الاقباط تختلف آراؤهم فى عهد مصر الجديد ولكنهم متفقون على هذه الحقيقة ان القانون فى مصر يطبق بالمساواة على جميع المصريين .

بلى لقيت لبنانيا مسيحيا ـ اعتذر عن ذكر اسمه ـ طفق يحتج وينعي لان الدستور المصري قد جعل دين الدولة الاسلام ، ولان التعليم الديني الاسلامي قد ادخل على مدارس كانت حرة فى ان تعلمه ، او لا تعلمه ، فى جملة المواد . فلم يستطع ان يقنعني اي ضير ، او اي اجحاف ، فى ان ينص دستور دولة ، اكثريتها من المسلمين ، على ان دينها هو الاسلام ، ما دام لاهل الاديان الاخرى ملء الحق فى ان يمارسوا اديانهم . ثم لم يستطع ان يقنعني اي ضرر فى ان يعلم غير المسلمين من المواطنين ما هو الاسلام ، فتزول من عقولهم آراء بعيدة عن ان تنصف دينا كريما وأوهام مؤذية، لانها توقعالنفرة والريبة بينالمواطنين وتعكر الماء ليصيد فيه المستعمرون صيدهم الخبيث . وضربت له مثلا ان احد الطلاب سألني مرة : هل يؤمن المسلمون بالحياة الآخرة؟ فحين يبلغ جهل المواطن بل تجهيل المواطن، بدين مواطنيه الآخرين هذا الحد المثير فاني اول من يقتنع بوجوب تعريف كل مواطن بدين مواطنه الآخر تعريفا يسد السبيل على العابثين بعقول الناشئة مثلهذا العبثالمخزي.

واما ان مصر تغيرت على لبنان او اصبحت تضيق صدرا باللبنانيين ، فادعاء باطل لا يقره ـ وليسمح لي ان اكون صريحا ـ الا الذين اختلط عليهم لبنان ببضعة افراد ، واصبحوا يعتبرون كل تعرض لهؤلاء الافراد تعرضا للبنان !

« اننا نريد لبنان مستقلا حقا » ـ هذا ما كنت اسمعه من كل مصري . « ونحن واثقون من أن لبنان حين يكون مستقلا حقا ، لا يشارك من قرب او بعد فى المؤامرة لعزل مصر وسوريا ولطعن الحركة التحررية العربية فى الجانب او فى الظهر ، لانه عندئذ يطعن نفسه ، وينتهي بأن يقع فريسة سهلة لاسرائيل وللتلاعب الاستعماري بمقدراته » .

فأي تعرض للبنان فى هذا الكلام ؟ انه الغيرة كل الغيرة النزيهة ، على لبنان وكيانه !

بل اي تعرض للبنان فى ان يهاجم الذين يريدون التحول بلبنان عن هذا النهج القويم ؟ ان هؤلاء ايا كانوا لن يفلحوا فى ان يجعلوا لبنان «موئلا للقيم» كما يزعمون ، أو « حصنا ضد المبادىء الهدامة » بل سيعزلونه عن الشعوب العربية ويزجون به فى لعبة خطرة بين الشرق والغرب لا طاقة له باحتمالها .

ان احدا لم ينكر على لبنان ان يوطد له صداقات خاصة بين الدول العظمى ، وان يتلقى منها المساعدات ، ولكن الشرط الاساسي فى هذه الصداقات والمساعدات ان تبرأ من كل قيد يدفع بلبنان الى المحرقة . ان لنا رأيا فى النظام الاميركي القائم على رأس المال ، ورايا فى النظام الشيوعي السوفياتي ، ولكننا نؤمن بحق الاميركيين ان يكون لهم نظامهم الذي يؤثرون ، ويحق للسوفيات ان يكون لهم نظامهم الذي يفضلون ، فاذا عمدوا الى التطاحن ليفرض فريق منهم ارادته ونظامه على فريق قلنا : لا دخل لنا فى هذه اللعبة التي سترتد فى نحر من يلعبها . وكل دولارات اميركا لا تسوى شيئا اذا كانت تعني علفة للنعجة فى سبيل سوقها الى الذبح !

واما ان حكام مصر قد انجرفوا انجرافا فى تيار الشيوعية فان من له ادنى ذرة من ضمير يعلم كذب هذا الزعم ويعلم القصد من وراء هذا الكذب الخسيس . لماذا تكونمصر شيوعية اذا تاجرت مع الصين الشعبية ولا تكون بريطانيا شيوعية اذا تاجرت مع هذه الصين الشعبية نفسها وعدت انتصارا لها ان الميزان التجاري بينها وبين هذه الدول فى ارتفاع ؟ واميركا التي «تكافح الشيوعية» لماذا لا تحن عن الماريشال تيتو الاسلحة والماريشال تيتو شيوعي ولا ينفي شيوعيته انه قد استعمل حقه وحق وطنه فى الاستقلال عن موسكو وغير موسكو ؟ يبدو ان الدول الغربية لها تعريف خاص للشيوعية انها هي كل ما خالف ارادتها الاستعمارية !!!

ليس فى مصر ايسر دليل على ان حكامها أو شعبها يسيرون فى تيار الشيوعية . ولكن ثمة تمسك بصداقة الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ويوغوسلافيا والمانيا الشعبية تفيد مصر وتقويها ، وهي لا تزعج المستعمرين الا بمقدار ما تفيد مصر وتقويها ، لان المستعمرين ليسوا أقل كرها لاستقلال مصر وسيادتها ، ولاستقلال الشعوب المستضعفة ، منهم للشيوعية .

وبعد ، فكيف تكون مصر من جهة منجرفة فى تيار الشيوعية ، ثم هي من جهة اخرى تنتهج سياسة « تعصب اسلامي » كما يدعي الذين ينسون ان زمن العبث بعقول الناس قد ولى ، فيقعون فى التناقضات المضحكة ؟!

يبقى الزعم ان المعارضة تشتد فى صفوف الشعبالمصري، لحكامه الجدد ولكن الديكتاتورية تقمعها .

وهنا يتجلى بصراحة كضوء الشمس ان الذين يقولون

بعد أن تحول الأردن الى سجن كبير ..

بقلم محمد النقاش

عندما كتبنا ما كتبنا عن احداث الاردن فى العدد الماضي ، وارسلناه الى المطبعة فى السابع عشر من الشهر الفائت ، لم يكن الموقف قد انجلى ، ولا تكشف عما تكشف عنه فيما بعد .

فالبرغم مما اخذناه على الحركة التي تزعمها الملك ، من منافاة لكل ديمقراطية وتقدمية ، وجدنا لها جانبا صالحا . وهي انها صراع داخلي صرف ، على النفوذ والحكم .

لكن ثبت فيما بعد ، ان هذا الصراع – وهو الاساس – لم يكن صرفا الى الحد الذي تخيلناه ، بل الذي شئنا ان نتوسمه فى ملك عربي شاب اشترك فى معركة تحرير بلاده اشتراكا بارزا . ثبت من تصريحات رئيسي الاركان السابقين علي ابو نوار وعلي الحياري ، ومن خطب الملك نفسه ، ثم من المجرى الذي اتخذته الحركة – النكسة ، ان عدة شوائب ومضاعفات خالطت الحركة . وظهر انها رجعية نموذجية ، فى الحقل الداخلي ، والحقل العربي ، والحقل الخارجي ، على السواء .

ففي الحقل الداخلي ، بسط جناح حكم تعسفي ارهابي مقنط : احكام عرفية ، منع للتجول فى الليل والنهار ، حاكم عسكري عام له نواب فى كل منطقة ، اعتقالات بالمئات والالوف . حل لكل الاحزاب الاردنية ، تلك التي نظمت النضال الوطني فى الاردن ، وفازت فى الانتخابات ، والفت – لاول مرة – حكومة ديمقراطية حقا . فصل الحزبيين جميعا من دوائر الدولة ومدارسها . فاذا الاردن يتحول بين عشية وضحاها الى سجن كبير ، واذا الحرية والكرامة الانسانية والقيم الوطنية تهدر جميعا ، تحت ستار مكافحة الشيوعية .

وفى الحقل العربي : على الرغم من تصريحات متناقضة ، صدرت عن اعلى المقامات ، حول بقاء الاردن فى الركب العربي المتحرر ، وحرصه على مبادىء اجتماع القاهرة الرباعي الاخير ، ظهر ان الحملات تشن على العملاء (كذا) المصريين والسوريين ، وعلى «دسائسهم ومؤامراتهم» ... ومنعت الصحف المصرية والسورية ، وطرد المراسلون المصريون ... ثم فرضت قيود على اجهزة الراديو ، لتحريم الاستماع الى القاهرة وصوت العرب او تقييده ما امكن ... فاذا الحلفاء والاصدقاء المصريون والسوريون – عدا انهم اشقاء – يصبحون فى حكم الاعداء ، وراحت ابواق حلف بغداد ، ومزامير مبدأ ايزنهاور ، تهلل وتكبر ، وتوضح لمن صعب عليه الوضوح ، ان الاردن خرج نهائيا من المعسكر الرباعي ، معسكر التحرر .

وخرجت معه الى حد ما ، المملكة السعودية ، فقد بارك الملك سعود ما قام به الملك حسين ، واجتمع العاهلان ، واصدرا بلاغا مشتركا يلح على مكافحة الشيوعية ، ويتجاهل تماما مبدأ الحياد الايجابي ، حجر الزاوية فى الحلف الرباعي .

وتلا ذلك تقارب بين الرياض وبغداد ، مهرته زيارة الملك سعود مع حاشية كبيرة لبغداد . وتلقى الملك حسين دعوة للحاق بالملكين سعود وفيصل ، لكنه اعتذر فى اللحظة الاخيرة ولم تكن قد عرفت الاسباب عند كتابة هذه السطور .

فى الحقل الخارجي : قررت الحكومة الجديدة الغاء قرار الحكومة السابقة باقامة تمثيل ديبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي .. وباركت اميركا بلسان رئيسها ووزير خارجيتها انتفاضة الملك حسين .. واعلنت حرصها على استقلال الاردن . وقامت بمظاهرة حربية ، فارسلت اسطولها السادس الى شواطىء شرقي المتوسط . ثم حلت كيسها – ودون قبول الاردن رسميا بمبدأ ايزنهاور – ونقدت الاردن مبلغ عشرة ملايين دولار ..

واعيد الى الجيش الضباط الذين سرحوا يوم طرد الجنرال غلوب ، وغيرهم من الموظفين . ولئن ذكرنا هذا فى معرض الحديث عن الحقل الخارجي ، فلان فصل هؤلاء الضباط واكب حادثا خارجيا خطيرا .. فكانت عودتهم بمثابة مواكبة لحادث خارجي آخر ، انما فى اتجاه معاكس .

✶

وهكذا ، عاد «الاستقرار» الى الاردن ... كما تروج الحكومة الاردنية ووكالات الانباء الاجنبية ، استقرار هو اشبه ما يكون باستقرار النار تحت الرماد . استقرار اين منه استقرار الحال ايام غلوب باشا ؟

لقد انعطف الاردن انعطافا مباغتا ، بل انه استدار على نفسه ، ومشى فى الاتجاه المعاكس ، تحت وعيد الدبابات والرشاشات . لكن الى متى يمكن ان يدوم حكم الدبابات والرشاشات ، ما دام الشعب باكثريته الساحقة ، قد اختار سلوك الطريق الاولى ، مع شقيقتيه مصر وسوريا ؟

والى متى تستطيع حفنة من رماد ان تخفي نارا متأججة ، تذكيها انبل عاطفة وطنية على وجه الارض ، عاطفة قوم شردوا عن ديارهم ، وحرموا حتى من بيوتهم وكل مقدساتهم ؟

✶

تجاه هذه النكسة ، وقفت مصر وسوريا موقف المتربث ، عملا بالقول المأثور : انتظر وانظر ، لكن لا بد من يوم قريب ، يتحتم فيه على القاهرة ودمشق ان تقولا كلمتهما ، بلغة رسمية ، اكثر من لغة الصحف والاذاعات . فاتفاق التضامن العربي يوجب على مصر ان تدفع خمسة ملايين جنيه فى العام للاردن ، وعلى سوريا نصف هذا المبلغ . فهل تدفعان لحكومة انسلخت تماما عن سياستهما ، وناصبتهما العداء ، بطريق التلميح ان لم يكن التصريح ؟

من البديهي ان غاية سوريا ومصر هي اقالة عثار الاردن . ومساعدتهما تذهب فى الاساس الى الشعب والجيش . لكن حين تكون ادارة هذه المساعدة فى ايد توجه الاردن توجيها خطرا او غير حميد ، وتستغلها فى مكافحة العناصر التقدمية والاتحادية بحجة مكافحة الشيوعية ، فماذا يجب ان يكون موقفهما ؟

بديهي ان مصر وسوريا لا تريدان ان تخطوا خطوة تسرع . وهما تعلمان جيدا ان الزمن يعمل لمصلحتهما ، فتلك الموجة الشعبية التي حملت الاردن الى صفهما ، قد تكبح لحين ، لكن من المحال ان تحطم . وكل عود الى حياة عادية فى الاردن ، معناه عود الاردن الى محله الاول فى مجرى التاريخ العربي الحديث .

السياسة العربية في شهر

انا مؤمنون بذلك ايماننا بدوران الارض ...

العروبة في معركة لبنان الانتخابية

في التاسع من حزيران المقبل تبدأ الانتخابات العامة في لبنان . ويبدو من بوادر المعركة ، بل من مقدماتها ، حتى قبل اذاعة مرسوم الدعوة الى الانتخاب ، انها ترتدي لاول مرة في عهد الاستقلال طابعا شبه عقيدي لا سيما في العاصمة بيروت .

فمرشحو المعارضة يتهمون الحكومة – في جملة ما يتهمونها ، لكن الذي يهمنا هنا هو هذه التهمة بالذات – انها انحرفت عن الطريق العربي ، وبذلك خرقت مبدأ اساسيا من مبادىء الميثاق الوطني الذي جمع اللبنانيين بمختلف طوائفهم على صعيد واحد ، ويتجلى هذا الانحراف – حسب رأي المعارضة – في الاتجاه الى الغرب ، ابان اصطراع العرب مع الغرب ، وابتعادها عن سياسة سوريا ومصر ، بل مكافحتها لسياستهما ، وقبولها بمبدأ ايزنهاور الذي يخرج لبنان عن الحياد بين المعسكرين الدوليين الجبارين ، ويلقيه في اتون الحرب الباردة ، كما يلقيه في احضان الغرب ، قبل ان تحل مشكلات كثيرة حيوية بين الدول العربية والغرب .

وحين تزعم الحكومة انها ما زالت وفية لجامعة الدول العربية وان غير دول عربية قبلت مبدأ ايزنهاور ، كالعراق وليبيا ، واخيرا السعودية، يرد المعارضون بأن اوضاع لبنان تختلف عن اوضاع هذه البلدان . وان لبنان خين قرر السير في الركب العربي ، انما قرر ان يسير مع اكثر البلدان العربية رقيا وتقدما ، لا مع اكثرها تخلفا ..

والعجيب ان العناصر اللبنانية التي كانت تأبى السير مع القافلة العربية بحجة انها متخلفة بالنسبة الى لبنان ، هي اليوم بوجه عام ، اكثر العناصر تحمسا للمتخلفين من العرب وسخطا على المتقدمين ..

والمعارضون مع حبهم للعراق ، لا يستطيعون ان يفهموا لماذا يجب ان يقفز لبنان فوق سوريا ليصافح العراق .. ونقول يقفز لاننا لا نريد ان نستعمل كلمة « يدوس » مثلا .. انهم رغم حبهم لليبيا ، لا يفهمون لماذا يجب ان يحذف مصر ليصل الى ليبيا ..

وشيء عجيب آخر ، هو ان لبنان كان قبل أزمة السويس ، حريصا على الحياد حتى بين المعسكرين العربيين ، الممثلين بالقاهرة وبغداد . وكان ينادي بضرورة بقائه واسطة خير بينهما ، وان من مصلحته الابتعاد عن كل المنازعات ، ثم اذا هو فجاة ، ودون سابق انذار ، لا يخرج فقط عن الحياد بين المعسكرين العربيين ، بل بين معسكري الشرق والغرب الدوليين ..

***

وعلى الرغم من هيمنة هذا العامل العربي على المعركة الانتخابية الوشيكة ، فمن المجازفة القول بانها ستكون بمثابة استفتاء حول هذا الموضوع ، ذلك ان عوامل كثيرة تتدخل في الانتخابات بلبنان .

زد على ذلك ، ان الحكومة المشرفة على الانتخابات ، لها مرشحوها في كل دائرة .. ويخشى من تدخلها لمصلحتهم بشكل من الاشكال ، او بكل الاشكال ..

يبقى ان المعارضة قوية ، سواء ادخلت المجلس الجديد أم لم تدخله . وتركيب لبنان المختلف عن كل تركيب في دنيا العرب ، لا يتحمل معارضة عنيفة ، لا سيما على صعيد العقائد والمبادىء الاساسية . فهو يعيش عندئذ في وعكة دائمة . وعلى حكامه قبل اي كان ان يعملوا على ازالة اسباب هذه الوعكة ، ويتلافوها بنوع من التسوية ، التسوية التي تعودها لبنان الجديد منذ عام ١٩٤٣

عرش الرياض

قيل ان انحراف المملكة السعودية بعض الشيء عن كتلة القاهرة ، انما مرجعه خوف الملك سعود على عرشه .. وقيل ان الدساسين من اذناب الغرب ، القوا في روع الملك ان الخطر عليه لا يأتي من بغداد ، أي من الهاشميين وانما من القاهرة ، أي من جمال عبد الناصر ..

فالرئيس عبد الناصر اطاح بعرش ، وانشأ جمهورية .. وفتح بابا للتعامل مع الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية .

وكل هذا يؤلف خطرا على مملكة الجزيرة ..

ونحن نعتقد ان الملك سعود بثاقب بصره ، لا يمكن ان يعير هذه الاراجيف اذنا صاغية . فكل عاقل في العالم العربي – مهما يكن متطرفا في آرائه الجمهورية – يدرك ان النظام الملكي هو خير نظام في الوقت الحاضر ، ومن هنا الى سنوات ، في المملكة السعودية .

فلا الحياة الاجتماعية ، ولا المستوى الثقافي ، يؤهلان لاي نظام برلماني او جمهوري .

والعشائر التي تؤلف كثرة السكان ، لا تحكم جمهوريا ولا برلمانيا . انما تحكم عن يد ملك تقي عادل قوي الشكيمة محب للخير .

وكلما ازداد الملك سعود قوة وحبا للخير ، كان ذلك في مصلحة العرب، ومنتهى ما ينشده القوميون العرب ، في سائر اقطارهم ..

وعندما نقول هذا ، لا نريد ان نقول ان الخطر على الملك سعود هو من الهاشميين .. فهذه ايضا دسيسة نحاربها بكل قوانا ..

ان العرب لا خوف عليهم اليوم لا من الملكية ، ولا من الجمهورية ، ولا من الشيوعية ..

الخوف هو من الصهيونية .

ولكي نقوى على الصهيونية ، لا بد لنا من نظام داخلي تقدمي متطور ، يرفع مستوى السواد الاعظم ، في حقول التربية والاجتماع والاقتصاد. وكل ملك ، او رئيس جمهورية ، يكافح هذا التطور انما يكون عدو نفسه ، وعدو نظامه .

محمد النقاش

يا روابي عمّان

مهداة الى الاردن الجريح ...

لم يرُعْني الدجى على أسواري منذراً دفقةَ السنا بالدمارِ
لم يرعني .. أقوى من الموت شعبي
ونهــاري ملءَ العيون نهــاري
زحفت أمتي .. فمعركةُ المجد غُبارٌ نشقه .. بغبار
من عثارٍ .. يفجّرُ الشعبَ نغضي والجراحاتُ زادُنا لعثار
بيدينا .. وليصبغوا بدم الأحرار منا ملاعبَ الأحرار
بيدينا مصيرُنا .. ولنا الشوط .. وأرضي مصارع الفجّار

* * *

لم ترعني يا ليلُ قبضتُكَ السوداء تَهْوي خضيبةَ الأظفــارِ
تعرف الأرضُ أن بطشتَكَ الكبرى وَداعٌ وحشرجات احتضار
لم ترعني انقضاضةُ البغي قربي ودمائي مسفوكةٌ بجواري
قصَفاتٍ .. فالعرش، والحاضنُ العرش .. غثاءٌ في زحمة التيار
الطواغيتُ للجحيم .. وتبقى لي شموسي غداً، وعرس انتصاري
بيدينا مصيرُنا .. ولنا الشوطُ .. فدقّي ياعاصفات جداري ..

* * *

يا روابي عمان .. هل نقل الجزّار سكينه الى الجزّارِ ؟!
ضحكةُ العرس .. أطفأوها بعينيك .. ولما تنهلْ شعاع افترار
ضحكة العرس . كم هزجت عليها أمسِ حتى ترنحت قيثاري
قصّفَ الحقد وردها .. فأغاني العيد في لحةٍ فحيحُ ضواري
وربيع الجلاء .. لسعُ صقيعٍ ورؤى المهرجان لفح أوار
يا روابي عمان .. محنةُ فجرٍ لم يجيء مولدٌ بــلا إعسار
أمهليهم يا أرضنا يترعون الكأس من أحمر الدم الفوّار
ويصبون حقدهم فوق رأسي ويكمون صيحتي بالنــار
روّعت قبلهم أساطيلُ شطآني .. وضاعت بين الحرائق داري
وصمدنا .. وقطّع «اللص» رجليه على درب ذلّةٍ وانحدار
أمهليهم .. يلملمون بقايا العار .. فالملكُ في بقــايا العار
لبس المسخ .. لبدة الأسد الورد، وتاه الرقيعُ كالجبّار
محنة الفجر .. لم يفاجأ بها الفجرُ، ولا استغلقت على الابصار
في دمشق من عارها اثر باق، وذكرى لمجرمين كبار
نفضتهم عنها .. كما انتفض الجسم، والقى بعالق الاوضار
يا روابي عمان .. للعرب الشوط .. وهم صامدون في المضمار!

* * *

انا في الشام .. اي عبء على الشام، ليحلو المساء للسمار !
اي عبء .. لنحميَ الدوحة الخضراء من شر حاقد الاوكار
اي عبء .. ليفتح الشعب عينيه على ارضه بلا استعمار
انا في الشام موجة من جباه اقسمت لا تراجعت عن غمار
اقسمت لا مشت لغير عظيم عصبتهــا ساحاته بالغار
ايها الناضحون خلف خطانا بعض ما في نفوسهم من صغار
ما رمينا الى «الممثل» طرفاً همنا مجرمون خلف الستار
إسمعوها تدق افئدة غلفاً، وزيفاً القى بكل خمــار
انا من كافرين بالسالبي ارضي .. اهذي علامة الكفار ؟!
انا من كافرين بــالذابحي قومي، وبالناثريهمُ في القفار
انا في الهادمين .. ما دام «صهيونُ» بناءَ البانين فوق دياري
انا من كافرين «باللص» يشري ويبيع الاله .. «بالدولار»
انا من «مارقين» .. آلوا يموتون . لينجو شعب من الاخطار!

* * *

انا في الشام .. استقي من جراح الضاد لحناً مضرّج الاوتار
تركته عمــان هدرة بركان بصدري، وغمغمات انفجار
وثبتي وثبةُ العروبة .. لا روضي يطيق الدجى، ولا اطياري
ودمائي على شواطيء مصرٍ في الميادين ما تزال شعاري !
لي على النيل مارد عربيٌ وحيــاة تمور كالإعصار
وميامين من بقايا سيوف الله مسلولة عــلى الادهــار
ساعد لاقتلاع اعمدة الذل، وزنــدٍ لشامخات الفخار
لي على الشام قلعة من صمود تتحدى مطامح الاشرار
يلطم الغدر عن يمين جناحيها فيهوي معفّراً عــن يسار
لي على القدس صامدون .. ولو جنّ جنونُ المستعمر الغدّار
لي جمال، وبور سعيد، ولي شعبي .. ودقي يا عاصفاتُ جداري

* * *

مصرُ .. يا مصرُ .. ياحنيني اذا رجّعت يوماً قصيدةَ الثوار!
يا كفاح الضياء . يزرع في الارض شموساً عبر الدجى ودراري
يا عرين النسور .. ترتد عنه اضلع المعتدي زريّ نثار
يا سرايا «عمروٍ» حداها صباح البعث «عمرو[1]» لمطمح جبار
هذه امتي .. جناحك يا مصر .. فشديها على الاخطار
يقصر الحاقدون عنك .. فيرمون حواليك باللظى والشرار
انتِ، انتِ الطعين في الشام، في عمان، في كل موكب هدار
قهقهي للدجى، ولمي على النسر فراخ الصقور والاغمار
هذه امتي جناحاك للثأر .. وقولي : متى يدمدم ثاري ؟!

حلب — **سليمان العيسى**

(١) عمرو بن العاص وجمال عبد الناصر

الأبحاث

بقلم رجاء النقاش

يواجهنا فيصدر «الآداب» مقال عنمشكلة دقيقة من مشاكل الوطن العربي هي مشكلة الاردن ، ولا نكاد نتم قراءة هذا المقال حتى نحس تماما بخلوه من التفسير لاحداث الاردن (*) وخلوه من التعبير السليم عن حقيقة المعركة فى ذلك الجزء العربي العزيز، واحب ان الخص ملاحظاتي فيما يلي:

اولا : لم يكن الصراع فى الاردن قائما بين الملك والقوى الشعبية ، كما حاول المقال ان يوحي الينا بذلك . ان الصراع الحقيقي قائم بين الاستعمار وبين النزعة التحررية العربية ، والاستعمار يتدخل عن طريق السفارات الاجنبية وعن طريق اعوانه فى البلاد العربية ، فالمعركة فى حقيقتها ليست قائمة بين ملك وشعب ، ولكنها قائمة بين امة عربية تناضل من اجل التحرر واستعمار يفقد مراكزه يوما بعد يوم فى وطننا العربي ولا يريد ان يستسلم لارادة شعبنا فى الاستقلال والتحرر ، فليس من عادة النزعة الاستعمارية ان تستسلم لارادة الشعوب استسلام طواعية واختيار ، فما لم يرغم الاستعمار على التخلي عن مناطق نفوذه فانه سيعمل على النمو والامتداد فى ارضنا العربية : يزرع فيها الخراب ، ويقطع عليها طريق التطور ، ويربط انسانها بمراحل مختلفة .

ثانيا : لم تلجأ القوى الوطنية فى الاردن الى اسلوب غير ديمقراطي فى العمل ، بل كانت تمضي بخطى تقدس القانون والنظام ، وكان هذا هو منطق العناصر اليمينية واليسارية فى الحركة الوطنية على السواء ، وليس صحيحا قط « ان العناصر اليسارية شاءت ان تقطف ثمار النصر جميعا ،وان تنهب المراحل نهبا ، فالهبت ظهور خيلها بالسياط ».. كما يقول كاتب المقال .. لقد آمنت الحركة الوطنية فى الاردن بالاسلوب الديمقراطي فى العمل ايمانا عظيما يقوم على اساس من حسن النية والثقة ، وبالغت فى ايمانها بالاسلوب الديمقراطي حتى دفعت ثمن ذلك وكان الثمن باهظا ، ولكنه كان فى الوقت نفسه درسا نافعا.. ان الذين لجأوا الى الاساليب الفاشية الخالية من كل نزعة ديموقراطية هم الواقفون على الطرف المناقض لموقف القوى الوطنية وهم الذين يتهمون الوطنيين بأنهم ارادوا ان يحدثوا انقلابا ضد الدستور ..

ثالثا : لجأت القوى الاستعمارية اخيرا الى استغلال سلاح خطر وعلى الحركة الوطنية ان تنتبه اليه ... فالاستعماريون يستغلون فى دعايتهم الشعارات والمبادىء نفسها التي تقوم عليها الحركة الوطنية ، فعندما يقول الوطنيون اننا ندافع عن سياسة « الحياد الايجابي » مثلا ، فان ممثلي الاستعمار وانصاره يعلنون المبادىء نفسها ويرددون الكلمات نفسها .. يريدون اشاعة الاضطراب ، وافهام الرأي العام العربي ان معركة مثل معركة الاردن انما هي معركة داخلية لا شأن لاحد بها وهي بذلك تحاول ان تضع قناعا كافيا على وجه العدو الحقيقي : الاستعمار بمؤامراته المكشوفة او المقنعة .. وحسبنا ان نشير الى مثال آخر من هذا النوع، فأمريكا والدول الاوروبية الاستعمارية تقول فى كل لحظة اننا نحرص على السلام وننادي به ، ومع ذلك فانها دائبة السعي من اجل زيادة التسليح واجراء التجارب الخطيرة المفزعة .. فهل صحيح ان « السلام » الذي تنادي به تلك الدول هو نفسه « السلام » الذي تنادي به شعوب العالم الاخرى ، تلك الشعوب التي تحاول ان تتخلص من الاستغلال والظلم وتحاول ان تعيش فى رخاء عادل حقيقي مقابل ما تبذله من جهود كبيرة عنيفة ؟.. كلا : ان « السلام » الذي ينادي به الغرب مختلف تماما عن السلام الذي تنادي به شعوب العالم الاخرى .. ان الطريق الى سلام الغرب هو الدم والظلم والاستغلال ، ولكي يتحقق هذا السلام فينبغي ان تقبل شعوب العالم سيادة الاستعمار الغربي واستغلاله لها !

رابعا : ان معركة الاردن ليست معركة داخلية منفصلة عن المعركة التي يخوضها وطننا العربي كله من اجل الدفاع عن اهدافه التي آمن بها واستقرت جذورها فى وجدانه مثل الوحدة العربية ، واقامة نظام اجتماعي على اساس من العدالة كما تفهمها النزعة الاشتراكية .. ونحن نخطىء كل الخطأ فى تقدير معركة الاردن من حيث اسبابها ونتائجها اذا ما نظرنا لها منفصلة عن المعركة العريضة التي يخوضها الشعب العربي.

هذه هي الملاحظات التي أوحى الي بها مقال الاستاذ محمد النقاش ، ولا شك ان الاحداث التي وقعت بعد صدور مقال الاستاذ الكاتب قد ساعدت على بلورة المعركة فى الاردن بحيث يمكن النظر اليها بشكل ادق.

وقد كتب الاستاذ محمد النقاش كلمتين اخريين عن « خطر الشيوعية » وعن « السعودية ومشروع ايزنهاور » وكلتا الكلمتين تعبران عن وجهة النظر العربية الصحيحة ، فالتذرع بمكافحة الشيوعية هو ستار زائف يفتعل التبريرات الظالمة لالوان التدخل والاستغلال من جانب الاستعمار الغربي ، اما علاقة السعودية بمشروع ايزنهاور فعلاقة واضحة ، والسعودية ليست فى حاجة لاعلان رسمي عن قبول هذا المشروع ، فالمشروع معد لكي يدعم التدخل الامريكي فى شئون البلاد التي لا تربطها بأمريكا علاقة قوية ، وهو محاولة واضحة لبسط النفوذ الامريكي على تلك البلاد ، اما اذا كان هناك دولة تربطها بأمريكا ارتباطات ابعد بمراحل كثيرة مما يفترضه « مشروع ايزنهاور » من حدود جديدة لهذه العلاقة ... فانه لا داعي لاعلان رسمي او شبه رسمي عن قبول هذا المشروع الجديد .

بعد هذا نلتقي بالاستاذ رئيف خوري فى مقال عن الادب والرسالة القومية يناقش فيه الإستاذ رئيف قضيتين على غاية من القيمة والاهمية : اولاهما هي قضية « عروبة لبنان » ، والثانية هي مسئولية الاديب فى التزامه للقضية التي يدركها ويؤمن بها ...

(*) راجع مقال الاستاذ محمد النقاش فى هذا العدد .

« الآداب »

وما اعظم ما يرجوه كل مواطن عربي من كتاب لبنان ومفكريه ! ان على عاتق المفكر اللبناني واجبا وطنيا خطيرا هو تدعيم عروبة لبنان ومحاربة تلك الافكار المسمومة التي تشيع هنا وهناك وتدعو الى انفصال لبنان عن مجاله الحيوي السليم ، او تدعو الى اشاعة لون من الانقسام الطائفي فى ذلك الجزء العربي العزيز ... ان قلوبنا فى مصر تخفق بحرارة ومودة وصدق مع كلمات رئيف خوري حيث يقول « ليس فى عروبة لبنان ما يناقض مطمحا من مطامح اللبنانيين » .. هذه حقيقة تدعمها الادلة العلمية الحاسمة ، وتدعمها الحقائق التي تكشف عنها الظروف كل يوم .. فالخطر الذي يهدد اللبنانيين من الغرب واسرائيل هو نفسه الخطر الذييهدد كل عربي ، ولا زلت اذكر ذلك الحديث الصحفي الذي ادلى به الارهابي الاسرائيلي مناحم بيجن واعلن فيه بكل صراحة ان المنطقة التي يشغلها الان : العرب والاتراك واسرائيل لا تحتمل ابدا سوى ثلاث قوميات .. القومية الاولى هي قومية الاتراك ، والقومية الثانية هي القومية المصرية ، والقومية الثالثة هي القومية الاسرائيلية .. اما حدود مصر فهي – فى نظره – تقل بكثير عن حدودها الراهنة ، اما اسرائيل فمكانها الطبيعي هو ما تشغله الآن : الاردن وسوريا ولبنان والعراق ... هذه هي وجهة النظر الاسرائيلية التي يدعمها الغرب ويساندها وينميها كل يوم ، وليثق الذين يتشككون فى « عروبة لبنان » .. ان «وحدة الخطر» الاسرائيلي لا تدفع شعبنا العربي الى افتعال نزعة قومية ليس لها من جذور ولا اسس علمية كمجرد رد دفاعي ضد اسرائيل ... كلا ... ان وحدة الخطر الاسرائيلي ليست اكثر من عامل « منبه » يدعونا اليوم الى مراجعة حقيقتنا ، والى اختبار قوانا ... فالقومية العربية نزعة حقيقية راسخة القدم فى ارض العلم والمنطق ، تساندها وتنميها مصالح الشعب العربي والاخطار التي تهدده .

القضية الثانية التي يعالجها الاستاذ رئيف مبنية على اساس القضية الاولى ، فما دامت الرسالة القومية هي هدف المرحلة الحضارية التي يمر بها العرب اليوم ، فتلك هي الرسالة التي ينبغي ان يلتزم بها الاديب العربي ، تلك هي مسئوليته الكبرى امام ضميره وضمير الاجيال العربية المختلفة. ويرى الاستاذ رئيف فى وعي وبصيرة ان الاديب الذي يتخلى عن التزام ما يؤمن به يقع حتما فى لون من الاضطراب النفسي ، والنزعة التشاؤمية الكئيبة ، ويفقد اتجاهه فى الحياة ، ويصبح نفسا متبرمة يسيطر عليها الخوف والتردد ، ثم يضرب مثلا على ذلك بشخصية المتنبي الذي اتصل بسيف الدولة واتخذ منه رمزا للنزعة العربية ، فقد كان سيف الدولة اميرا عربيا ، وكان معظم امراء تلك الفترة من الاعاجم الذين لا يهتمون الا بمصالحهم فى الحكم والسلطان ،عندما ترك سيف الدولة ورحل الى كافور جريا وراء مصالحه الشخصية الخاصة ، وكان ان عاد بعد ذلك ونفسه مشحونة بالمرارة والاسى الناتجين – فى رأي الاستاذ رئيف – من تخليه عن قضيته .

والمبدأ الذي يقرره الاستاذ مبدأ سليم دون شك ، فان الاديب فى نظر الناس قوة فعالة قادرة على ان تبني وتهدم ، ان كلماته تكتسب « ثقة الناس » وعن طريق هذه « الثقة » تعمل فى الحياة عملا ايجابيا ، ولكنني اختلف مع الاستاذ رئيف فى نقطتين : اولاهما القاء مسئولية « ظاهرة عامة » على فرد واحد .. لقد عبر المتنبي عن قلقه واضطرابه ، ولم يكن المصدر الوحيد لتلك الحالة هو طبيعته بل كانت ظروفه ايضا مصدرا هاما من مصادر القلق فى نفسه ، لقد كان العصر الذي عاش فيه عصر صراع وتطاحن بين الافراد والولايات المختلفة ، كان عصرا ضاعت فيه كرامة الشعوب وحقوقها ، وحاولت هذه الشعوب ان تعبر عن نفسها فى ثورات اجتماعية اشترك فيها المتنبي وعلى راسها ثورة « القرامطة »

... هذه الثورة التي قامت بدوافع اجتماعية وحددت لنفسها اهدافا اجتماعية ، وحاولت ان تنتزع حقوق الشعب من بين انياب الاعداء الذين يستغلونه ولا يتركون له اي شي ، ولكن هذه الثورة الاجتماعية فشلت ، واضطر المتنبي الى ان يكتم نوازع الكفاح فى نفسه نتيجة للظروف التي قضت على الثورة التي ساهم فيها ... ثم استقر عند سيف الدولة لفترة من الزمن ، ولم يكن بلاط سيف الدولة خاليا من الاحقاد ، محدد الهدف ، مؤمنا برسالة ، ولم يكن سيف الدولة نفسه حريصا على قضية العرب الا باعتبارها جزءا من قضيته هو كأمير وحاكم ، وان تميز هذا الامير بميزات لم تتوفر فى غيره من امراء ذلك الحين .. ان المتنبي فى رأيي كان يعبر عن « قلق عصر » ولم يكن يعبر عن قلق ذاتي خالص ، العصر نفسه كان فاقد الاتجاه ... الحياة الاجتماعية مضطربة .. النزعة الفردية سائدة فى الحكم والعمل والتصرف ... والمتنبي فى هذا الجانب شبيه تماما بابي العلاء .. فابو العلاء كان يعبر فى قلقه الذاتي عن « قلق عصر » لا « قلق نفس واحدة » .. والخلاف بين ابي العلاء والمتنبي هو خلاف فى الاسلوب ، وخلاف فى الظروف الشخصية والعامة .. اما القضية فواحدة : قلق عصر ... وهو قلق لم يكن المتنبي ولا ابو العلاء مسؤولين عنه ولا قادرين على الافلال منه وتصفيته .. لقد كانت المسئولية شاملة عنيفة ، اول من يتحملها هم حكام تلك الفترة وسادتها .

النقطة الثانية التي اختلف فيها مع الاستاذ رئيف هي قوله « ان الاديب لا حق له ان يرتزق بادبه » .. والواقع ان القضية فى نظري ينبغي ان تكون « ان الاديب لا حق له ان يرتزق بأدبه اذا كان ذلك على حساب الافكار التي يؤمن بها » ... اما الارتزاق بالادب فى ذاته فقضية عادلة خصوصا فى عصرنا ، فلقد اصبح الجمهور يهتم بالثقافة اهتماما كبيرا مما خلق مؤسسات عامة لها اهميتها كالصحافة والاذاعة ودور النشر ، وعلى الاديب صاحب الرسالة ان يحاول باخلاص ان يجد لنفسه وسيلة للاتصال الصحيح بجمهوره ، ولا ضير عليه اذا ما خاض معركة الصحافة او الاذاعة او دور النشر ، ولقد خلقت الصحف ودور النشر والاذاعة فئة من الكتاب المحترفين يعتبرون فى الواقع من انضج الكتاب واكثرهم افادة للمجتمع ، ولكن الخطر كل الخطر ان يتحول التفكير الى « سلعة » تباع لمن يشتري ... فأمثال هؤلاء الذين يتعاونون مع المؤسسات الاستعمارية ، لنشر ثقافة استعمارية ولاشاعة مبادىء ضارة بنا تخدم – عن وعي – اعداءنا ... فهؤلاء مرتزقون عن طريق لا شرف فيه ... طريق يندفع اليه اصحاب المصالح الذاتية التي لا تراعي ابدا ان تكون متلائمة مع مصالح المجموع .

ان الفكرة التي تدور فى مقال الاستاذ رئيف خوري حول ضرورة التزام الاديب لما يؤمن به حتى لا يقع هو نفسه فى التردد والاضطراب والتشاؤم فضلا عن الاضرار التي تلحق بقضيته وبمن يرتبطون بها ... هذه الفكرة عميقة وسليمة فى مجملها .

نلتقي بعد ذلك باستاذنا الدكتور مندور فى مقال له عن « معركة الادب بين الشيوخ والشباب » وهو دراسة قيمة تستجمع القواعد والافكار الرئيسية التي تدور حولها معارك الادب الحديث فى محاولة دائبة لبلورة هدف واضح للحياة وللادب ، ولقد غلبت الناحية النظرية علىالناحية التطبيقية فيهذا المقال القيم، ويمتاز المقال بالتحمس الواعي لحركات الشباب فى الادب ، تلك الحركات الجديدة التي صدرت عن مزيد من الوعي بالحياة والادب ، ومزيد من تحمل المسئوليات الكبرى التي تفرضها حياتنا العصرية على الاجيال الجديدة .

– التتمة على الصفحة ٦٨ –

الجيل العربي الجديد امام مستقبله

بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم

البحث عن مستقبل الجيل العربي بحث مكرور دوما جديدا ابدا . وما اود ان اقول فى جدته وقدمه انه من الموضوعات التي نفضها الكتاب وطرقها الادلاء وقلبها الباحثون فلم يبقوا فيها بقية . وما كان من شأني ان اؤمن بالشنشنة القديمة : ما ترك الاول للآخر ، او ان اردد قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم ...

وحسبي في هذا المقام ان اعيد قول الجاحظ : « من قال ما ترك الاول للآخر فاعلم انه ما يريد ان يفلح » .

الذي اريده من وصفي هذا البحث بالبحث المعاد المزجى وبالبحث الجديد البكر فى آن واحد ان انبه الى حقيقة اعمق تتصل بجوهره . اود ان اقول ان هذا البحث واحد من تلك الابحاث التي تطؤها الارجل كثيرا ، فلا يزيدها الوطء جديدا ، بل كثيرا ما يعفى على معالمها ويطمس قسماتها الحقيقية . انه من تلك الابحاث التي تتراءى بدهية لكثرة ما الفت ، والتي اصبحت مستعصية لاننا توهمناها بدهية . ألسنا اجهل ما نكون غالبا بالامور الدانية القريبة منا والتي الفناها والفتنا ؟ السنا ابعد ما نكون فهما للمسائل التي نحيا فى قلبها ونعيش فى تيارها ؟ ان جلاء الشيء يستلزم بعض البعد عنه . ولامر ما لم يفهم الانسان الحقائق القريبة منه ، حقائق نفسه ومجتمعه ، الا فى طور متأخر جدا من تاريخ الحضارة والفكر ، ولامر ما كانت نشأة العلوم النفسية والاجتماعية متأخرة فى التاريخ عن نشأة العلوم الطبيعية . ان نفسنا التي بين جنبينا ، تظل غريبة عنا لانها بين جنبينا ، وان مجتمعنا القريب منا ، يظل مستغلقا دوننا لانه مجتمعنا .

ومن هنا كان الحديث عن مستقبل الجيل العربي حديثا يحتمل دوما فضلا من البحث والتنقيب ، بل يحتمل ان يعالج من وجهة نظر جديدة . لقد طالت الفتنا له حتى كدنا نظنه واضحا فى ذاته مشرقا من نفسه . بل لقد عودتنا الفتنا له عادات فى معالجته والنظر اليه ، جعلتنا مستعبدين لاسلوب فى بحثه أظنه عقيما . وهكذا اقتفى اللاحق فى طرقه آثار السابق ، وتردى الجميع فى سكة مهدت لشد ما سارت عليها الاقدام ، فطمست حقيقة ما تحتها .

طالما قلبت الكتب التي تتعرض لمستقبل العرب ولغد العرب ، ولمشكلات العرب ، فراعني دوما ان اكثرها ينهج نهجا واحدا عقيما غالبا ، وان لها مشية واحدة لا تتعداها ، ولحنا واحدا لا تسمع غيره . وادركت تماما اننا امام واحد من تلك الموضوعات التي افسدتها الايام ، فغدت فى حاجة الى نهج فى البحث جديد . بل لا اغالي اذا قلت ان اسلوب بحثها ينبغي ان يتبع منهج الشك الديكارتي ، فيتناسى ما قيل فيها ويبدأ بدءا جديدا .

واول ما يطرحه المنهج الجديد فى البحث ان نسائل : ما معنى هذا الحديث الكثير عن المستقبل ؟ اهو حقا كما نتخيل عادة دليل اهتمام العرب بغدهم اهتماما منتجا فعالا ؟ أهو الكاشف عن يقظة العرب وتطلعهم لكيان سليم؟

ويسوءني ان انتهي هنا الى السلب . غير اني أستدرك فأقول منذ البداية انني لا انكر البحث فى المستقبل ، بل أقدره حق قدره ، ولكني أنكر البحث فى المستقبل على النحو الذي جرت عليه اقلام اكثر الباحثين فى مستقبل الجيل العربي .

ولايضاح ما اريد ، لننتقل الى الماضي ، صنو المستقبل ، لنتبين ان البحث فى المستقبل ، رغم اتصاله بالمقبل الآتي ، كثيرا ما يكون شكلا منحرفا من الحديث عن الماضي ، بل كثيرا ما يكون قذفا للماضي الى امام ، والقاء له قدام الاعين .

ليس هنالك من ينكر شأن الماضي فى حياة الامم ، بل هو عندنا العنصر الاساسي المقوم للكيان القومي . وقد تبارى كتاب العربية فى الحديث عن قيمة الماضي وبحثه وتمثله ، وقلما انتهى الى ذلك الاحياء والتمثل ؟ الا تقرون معي ان الحديث عن الماضي وقف غالبا عند حدود التغني والتمجيد بماض لم يجله ولم يكشف معالمه، وان جلاه ففي حدود الامور العامة التي لا تكون عقيدة علمية راسخة ؟

« ان الايمان يقوى ويضعف ، وهو يقوى عن طريق واحد ، طريق المعاناة . فهو بالعمل والسعي ينشط ويشتد ، وهو يضعف ويهزل ان ظل كالرحى تطحن قرونا . فلنقدم للجيل العربي الجديد مجالات محدودة واضحة ينطلق فيها ايمانه ، ولنزوده بالوسائل اللازمة للعمل فى هذه المجالات »

ان التغني بالماضي ، والتغزل به ، اذا ظل فى نطاق التمطق بهالة غامضة من المجد ، هو فيما نعتقد دليل فقر الحاضر ، ومحاولة للتعويض عن فقر الحاضر هذا . ولا بأس ان نشد الحاضر ونبعث فيه الهمة عن طريق الماضي ،

غير ان البأس كله ان يصبح الماضي صورة جميلة وعالما مسحورا نأوي اليه للفرار من الحاضر ، لا لنصل بينه وبين الحاضر . البأس كله ، ان يعطلنا هذا الماضي عن العمل فنكتفي بريه ونغتذي بسرابه ، ويكون لنا ضربا من احلام اليقظة ، وننطلق فيه كالحالمين الايقاظ الذين يخيل اليهم ان احلامهم غدت واقعية ، فيتخيلون الامور على غرار أوهامهم ، ويكون شأنهم شأن «دون كيخوت» «سرفانتس» حين يحارب طواحين الهواء ويحسبها اعداء ، ويحسب نصره عليها نصرا على الاعداء ، وحين ينصب نفسه حاميا للايامى واليتامى ، ولكن في خياله ، وحين يبقر بطون الخراف ظانا انه ينتصر على الاخصام .

إن الماضي جزء من الحاضر ، وينبغي ان يصبح جزءا منه . ولا يغدو الماضي ماضيا حقا في امة من الامم ، ولا يصبح قوة موجهة موحية ، الا عندما يحقق ابناء الامة الوصل اللازم بين الماضي والحاضر .

أن لحظات الزمن لحظات متتالية متداخلة ، وكما ان اللحظة الماضية ، في حياة الفرد ، تثوي ان صح التعبير فوق اللحظة الحاضرة ، بل تركب فوق ظهرها ، وكما أن شخصية الفرد لا تتحقق الا اذا حقق هذا الاستمرار بين لحظاته الماضيات ولحظاته الحاضرات ولحظاته الآتيات ، كذلك يؤلف الماضي في كيان الامم ،شيئا اما ان يكون في صميم الخاضر واما الا يكون . ان التاريخ في حياة الامم كالذاكرة في حياة الافراد . وكما اننا لا نستطيع ان نتصور انسانا بلا ذاكرة ، لا نستطيع ان نتصور شعبا بلا تاريخ يتمثله حقا . واذا كانت شخصية الفرد هي ذاكرته قبل كل شيء ، فشخصية الامة تاريخها اولا . فالتاريخ يخرج الفرد من عزلته ، من انانيته ، ليدرك انه ليس نقطة ابتداء في الزمان . وبالتاريخ يتمثل المواطن طراز حياة الزمرة الاجتماعية التي يعيش فيها ، ويتمثل ذكريات هذه الزمرة وتقاليدها ومنازعها وروحها ، وتنمو لديه المشاعر اللازمة للتآلف مع تلكم الامور كلها بل بالتاريخ يصل الفرد الى ان يفهم نفسه . فكل كائن يعيش منذ ولادته في ارض ما ، وسط مشاهد عديدة وطراز من الحياة خاص ، مستخدما لغة معينة ، مؤتلفا مع عادات وتقاليد كلها من نتاج التاريخ . واذا هو ظل في نطاق الحياة العملية المباشرة لم يأخذ تآلفه مع بيئته شكلا واعيا ، وكان اشبه بتآلف الحيوان مع بيئته الطبيعية . اما اذا اقبل على فهم التاريخ الذي يفسر له اطار حياته ووجوده استطاع ان يدرك ويعي هذا الكائن الاجتماعي القومي الذي يحمله في نفسه ، وان ينتقل من الحياة العملية الى مستوى الشعور التاريخي بوجوده ، واستطاع ان يفهم تلك الافكار والمشاعر والعادات التي يجري عليها والتي هي من مخلفات المجتمع ، انتقلت اليه وعاشت في نفسه .

ولكن هذه الغايات كلها لا تتحقق في التاريخ اذا ظل كما هو عندنا غالبا ، تاريخا بعيدا عنا ، كأنه في عالم آخر او لدى امة اخرى . والحديث عن التاريخ ينقلب الى شر مستطير عندما يغدو تغنيا بمرحلة زمنية ، ندرك حلقة واحدة من حلقاتها او بعض حلقاتها ولا ندرك تتابع تلك الحلقات على مر العصور واتصال هذه الحلقات بالحلقة الاخيرة منها ، نعني الحاضر ، وهو يغدو اشد خطرا عندما يكون حديثنا عن تلك الحلقة او عن تلك الحلقات المعدودة المتفككة ، التي نعدها انصع الحلقات وابهجها ، حديثا غائما، ليس فيه الوضوح العلمي اللازم ، ولا فيه المعرفة البينة بملامحها وقسماتها .

لقد كان الغربيون في عهد مضى ينظرون الى القرون الوسطى عندهم نظرتهم الى عصر اسود مظلم . بل الى مرحلة انقطاع في تاريخهم ، يمكن ان تهمل وتترك . غير أنهم منذ امد ليس ببعيد بدأوا يدركون ان من غير الجائز ان تعتبر اي فترة زمنية من حياة الامة جانبا مهملا ، مهما يرن عليها من سوء . فأخذوا يعنون بدراسة العصر الوسيط دراسة تفصيلية ، بل ذهبوا الى ابعد من هذا ، فاخذوا يبينون ان العصر الوسيط ليس ذلك العصر الاسود المظلم الذي انتقص من قدره الباحثون ، ولا هو بالحلقة الشاذة من حلقات التاريخ ، وانما هو جزء لا يتجزأ من تاريخ الحضارة الغربية ، وبدونه لا يمكن ان تفهم تلك الحضارة . وهكذا انصرفوا الى احياء ذلك العصر، ودراسته دراسة واعية ، وكثيرا ما استخرجوا منه ما ليس فيه ، ليحققوا التواصل بينه وبين العصور الحديثة ، وهذا هو ما فعله كتاب المسيحية خاصة . ومن هنا نقرأ اليوم تاريخ ذلك العصر في بعض الكتب الغربية ، فاذا بنا نطلع على دراسة منظمة تستخرج روحه وتجعل من هذه الروح حلقة اساسية في روح الحضارة الحديثة .

اما تاريخنا ، على روعته ، لاسيما اذا قيس بالعصور الوسطى الاوربية ، فقد أصابه حيف كبير واهمال ضخم . ويرجع ذلك الى عاملين : اولهما يتصل بنا ، والثاني يتصل بالكتاب الاعاجم .

أما نحن فقد اكتفينا ، كما قلنا ، بالحديث غالبا عن ذلك الماضي حديثا عاما ، دون ان نعرف سيرته الحقة . وقلما أتيح لنا ان ننبش ما فيه ، وان ننظر الى مخلفاته نظرة علمية مدققة . ان في تاريخنا جوانب كثيرة ، يمكن ان تكون بذورا حقيقية للعلم الحديث ويمكن ان تتحقق الصلة بينها وبين ما نعلمه ونتعلمه اليوم من حضارة العرب في الفلسفة او الجغرافيا او الفلك او الرياضيات او التاريخ او علم الاجتماع او علم النفس ، عد ذلك امرا يتعلق بخاصة الخاصة غالبا ، بل نظر اليه على انه ضرب من الاقتسار المقصود .

والحقيقة بعيدة عن هذا الموقف. واننا على مثل اليقين بأن ما اكتشف من تراث العرب العلمي ، على قلة ذيوعه بيننا ، غيض من فيض مما يمكن ان يكتشف ، دون ان يكون في ذلك افتسار او كلفة . ولنضرب مثالا عابرا يتصل بتجربة شخصية : لقد كنت ادرس خلال سنوات ، بالجامعة السورية ، الى جانب التربية علم النفس . وكنت اعاني من

تدريس هذا العلم الاخير أزمة عميقة . لقد طرح علي تدريسه مشكلة وجودنا العربي فى أعنف صورها . لقد تساءلت : كيف استطيع ان اجعل من تدريس هذا العلم شيئا غير مستورد فحسب ، شيئا يشعرمعه الطالب ان حقائقه ليست بعيدة عن حياته العربية وعن تراثه ؟ وما هي السبيل الى اقامة الوصل اللازم بين الدراسات العربية الاخرى التي يتلقاها الطلاب وبين هذا العلم الحديث ، علم النفس ؟ وقد قادني هذا التساؤل الى البحث والتنقيب فى تراث العرب . واؤكد انني كنت ، كأكثر الناس ، على جانب من الشك فيما اقبلت عليه . ولكن كم كانت فرحتي عندما عثرت على امور وامور ، تتصل بحقائق نفسية منظمة علمية جاء بها أجدادنا العرب . وما كان يخيل الي من قبل اني سأعثر على ما عثرت عليه من حقائق تتصل بالتوجيه المهني لدى العرب ، وبالامراض النفسية ، وبالاحلام . ما كان يخطر لي على بال ان أجد فى ذلك الكتاب الاصفر الذي طالما نظرت اليه شزرا فى مكتبة والدي ، كتاب ابن سيرين فى تفسير الاحلام ، حقائق ومعاني تضاهي ما نجده لدى أئمة الباحثين المحدثين عن هذه الاحلام . ولا يتسع المجال لاتحدث عن بعض تلك المعاني ، ولعل لي اليها عودا .

وكل ما اود ان اخلص اليه اننا مقصرون فى حق تاريخنا، واننا نكتفي غالبا بالتغني بجماله ، دون ان نستخرج هذا الجمال كأننا نحسب قيمة اللؤلؤ المكنون فى الصدف .

واسباب هذا التقصير ترجع فيما ترجع الى العامل الثاني الذي اشرت اليه ، نعني ما يتصل بالكتاب الاعاجم

لقد كتب تاريخنا كثير من هؤلاء الكتاب الاعاجم لغايات فى نفوسهم ، وجروا فى تقويمه على غير السنة العلمية التي اتبعوها فى دراسة تاريخهم . لقد اشرنا منذ قليل الى المنهج الذي اتبعوه فى دراسة العصر الوسيط الاوروبي مثلا .

انهم استطاعوا أن يجعلوا من هذا العصر ، على ظلمته حلقة نور ، وعرفوا ان يظهروا الركائز الاساسية التي مهدت فيه للعصور الحديثة . وما فعلوه فيما يتصل بالعصر الوسيط فعلوا اكثر منه فى دراسة سائر عصور تاريخهم ، وفى دراسة تاريخ الحضارة عندهم خاصة . لقد فهموا حق الفهم ، لدى دراسة تاريخهم ، ان قيمة التاريخ فى الخط العام الذي يسير عليه وفى الوجهة الاساسية التي يشقها ، وان ما يبحث فيه ما هو الهنات والاخطاء التي تقع فى كل عهد ، وانما هو الروح الاساسية التي تنظم تقدمه وحركته ، وفهموا حق الفهم ايضا ان قيمة اي مبدع من المبدعين لا تثوي فى كل ما جاء به ، فما يأتي به اي مفكر ، مهما يكن عالي الكعب ، يشتمل على القمح كما يشتمل على الزوان . ولهذا كانت قيمة الابداع ثاوية فى نقطتين اساسيتين جدد فيهما المبدع وغفرت له سائر خطاياه وتخبطاته .

لقد فهموا تلك الحقائق كلها عندما درسوا تاريخهم ، فعرفوا ان يبنوه بناء علميا يصور حركته الروحية الحقة.

اما عندما انطلقوا شطر دراسة تاريخنا ، فقد نسوا تلك الحقائق جميعها ، وتنكبوا نهجهم فى البحث ، وانقلبوا على فكرهم ومنطقهم . **لقد اخذوا يحاسبون التاريخ العربي على انحرافاته ومنعطفاته ، قبل ان يتحدثوا عن جادته . واخذوا يزنون الابداع بميزان الذهب عندما أتوا على ذكر مبدعي العرب ومفكريهم . لم يذكروا للتاريخ العربي ما اتى به ، ولكن ما لم يأت به . ولم يسجلوا لمبدعي العرب ما أبدعوه ، ولكن ما فاتهم الابداع فيه . واي مبدع ، لعمري أبدع فى كل شيء ؟** ومتى كانت الحقيقة من صنع فرد وحيد ؟ أليس الابداع بناء متكاملا يشيده المبدعون على العصور ؟ أليست الحقيقة بيتا يضع كل باحث فيه حجرا ؟ لقد غفروا مثلا لابي الفلسفة الحديثة « ديكارت » هفاته وما تردى فيه من عود الى الافكار التقليدية المبذولة بعد ان وضع اسس منهج قويم . ولم يغفروا ذلك لمثل الغزالي . وغفروا « لاوغوست كونت » مذهبه المحشو بالاخطاء والاضطراب ، بل غفروا له جنونه أخيرا ، وعدوه مؤسس علم الاجتماع الحديث ، ولم يرق لهم ان ينسبوا الى صاحب علم الاجتماع الحقيقي ، ابن خلدون ، ماوضع من اسس علم العمران .

وقد سرى الينا اسلوبهم فى البحث دون ان ندري . فاذا بنا نشكك فى تاريخنا ، واذا بنا نحمل من امره الريبة والتساؤل ، واذا بنا نزينه بالموازين التي طبقوها عليه وحده ، لا بالموازين التي طبقوها على تاريخهم . وغاب عن ذهننا ان فى كل تاريخ ما هو غث وما هو سمين ، وان قيمته النهائية ، كما قلنا ونقول ، ثاوية فى الاتجاه الروحي العام له . ونسينا ان لدى كل عبقري ضعفا وعوجا ، وان شأنه يقدر بالكشف الاصلي الذي انتهى اليه . وهكذا وقفنا فى النهاية من تاريخنا احد موقفين : الاول موقف نجده عند بعض المتفقهين الباحثين ، قوامه الشك فى قيمة ذلك التاريخ وفيما اكتشف وابدع ، والثاني موقف نجده عند اكثر الناس الذين يعز عليهم ان يصلوا الى هذه النتيجة المشؤومة فيكتفون بتمجيد الماضي والتاريخ تمجيدا لا يؤيده غالبا غير العطف وغير الاعجاب الغامض .

ولكن ، قد يتساءل احدنا بعد هذه الجولة الطويلة ، ما لنا وللتاريخ ، ونحن نتحدث عن المستقبل . ولعلنا ندرك الجواب من روح ما قدمناه بين يدي هذا البحث . **فالمستقبل اولا لا ينفصل عن الحاضر ولا ينفصل عن الماضي . واي بناء للمستقبل لا يمكن ان يكون شيئا ما لم تسجل معالم الماضي ، وما لم تتحقق اللحمة التي تربط وجود الانسان الحاضر باصول هذا الوجود .** على ان الامر عندنا ، في الصلة بين الماضي والمستقبل ، ابعد من هذا. انها صلة تتصل باسلوب البحث الخاطىء الذي اشرنا اليه في البداية والذي اصاب المستقبل كما اصاب الماضي .

ان الافتين اللتين اشرنا اليهما فيما يتصل بدراسة تاريخنا الماضي واقعتان فيما يتصل بدراسة المستقبل عندنا . فنحن هنا ايضا تجاه موقفين خاطئين كالموقفين

السابقين تماما :

الاول (ولأبدأ بترتيب مقلوب) اننا كثيرا ما نتحدث عن المستقبل حديثا شبيها بالتغني العائم بالماضي . وهكذا نلجأ الى شلوك من نوع السلوك المتصل بالماضي تماما ، اي الى سلوك تعويضي يكشف عن فقر وعجز . اننا حين نرى ضعف حاضرنا ، نسقط هذا الحاضر في المستقبل هذه المرة ، ونجعل احلامنا مقبلات لا ماضيات . فاذا بنا نضع الاهداف البعيدة ونرسم الصورة المثلى للمدينة الفاضلة او للجمهورية الافلاطونية ، مكتفين بذلك كله عن الصراع والنضال الحاضر الحي . ان عملنا ههنا عمل من يريد ان يقنع نفسه وغيره انه ادى رسالته ورفع المسؤولية عن عاتقه حين بيّن لقومه ما ينبغي ان يكونوا عليه وحين رسم لهم الاهداف البعيدة . انه ذكرهم انهم ينبغي ان يؤلفوا مجتمعا عربيا موحدا ، وان يتخلقوا فيه بالاخلاق ويتمسكوا بالقيم ، ويأخذوا بالعدالة الاجتماعية ويرسموا طرق الحرية . لقد بلّغ وانذر ، وقد اعذر من انذر .

ونحن لا ننكر عليه ما لتوضيح الافكار والخطط من فائدة ، ولا نجهل اثر الوضوح العقلي في سير اي اصلاح ، ونعرف ما للغاية والنهاية من شأن في توجيه السلوك . ولكن على ان تكون تلك الغاية المرسومة مصحوبة فعلا ببيان الخطوات الواضحة الواقعية المؤدية الى بلوغها . وبتعبير اخر ، هنالك غايات بعيدة وغايات قريبة . اما الغايات البعيدة فما ابرعنا في رسم خطتها ، وما اكثر كلامنا عنها وتغنينا بها . اننا نضعها في الافق البعيد ، لنمجد بعد ذلك آلاءها ونستمتع بسحرها ونكتفي برؤى عالمها المسحور . وما اظننا على خلاف حولها . غير ان الى جانبها غايات قريبة هي الوسائل التي ينبغي ان نتوسل بها لبلوغها ، هي الحلقات الضرورية التي ينبغي ان نمر بها قبل بلوغ الحلقة النهائية . واذا لم توضح تلك الغايات القريبة ، تلك الوسائل والادوات ، كان الحديث عن المستقبل ، كالحديث عن الماضي العائم ، حديثا لا يعدو التغني بفردوس ننتظر ان يمنح لنا لا ان نقتحمه . ان المستقبل كما قلنا ونقول ، ينبغي ان يكون متصلا بالحاضر ، اي ينبغي ان يكون قوة محركة للحاضر بل ينبغي ان يكون الحاضر دوما جريا نحوه . ان اللحظة المقبلة لحظة حاضرة بعد حين ، واذا لم نحاول تغييرها قبل ان تقبل اقبلت بسحنتها القديمة ، وكان المستقبل اشبه بالماضي من الماء بالماء كما يقول ابن خلدون . وهكذا ينبغي ان يبدأ العمل للمستقبل منذ اللحظة الحاضرة ، لا ان نترك العمل للمستقبل لمستقبل موهوم نلقي عليه المهمات والتبعات . وقد يبدو ما اقوله ضربا من الحكم البدهي وتحصيل الحاصل ، ولكنه ، على كونه تحصيل حاصل عندما نطرحه فكريا ، لا نرتب عليه اي نتيجة عملية غالبا . ان الحلم بالثورة ليس هو اسلوب تحقيق الثورة .

هذا هو الموقف الاول الذي نقفه من المستقبل غالبا ، والذي يشبه موقف التغني بماض غائم غير مستبين المعالم . وهو موقف متفائل دون شك ، غير انه عقيم ، فيه راحة كسولة ، وفيه طمأنينة مخدوعة .

اما الموقف الثاني فموقف متشائم على العكس . انه يبحث عن المستقبل من خلال آفات الحاضر ، وينظر الى هذا الحاضر نظرة اولئك الغربيين الذين يدرسون التاريخ العربي . انه موقف اكثر دقة وموضوعية في ظاهره من الموقف الاول ، اذ لا يكتفي برسم الغايات القصوى والاهداف البعيدة ، وانما يحاول ان يتحدث عن العلل الحاضرة والمفاسد القائمة التي تحول دون تحقق تلك الاهداف . ولكنه في باطنه مجانب للدقة ومجانب للموضوعية .

ان اصحابه يخيفهم الفساد القائم ، فيحسبونه اصيلا ، ونقرأ من خلال اقوالهم شكا في امكان زواله ، بل النتيجة العميقة لاقوالهم ان نيأس ونعتقد كل تغيير مستحيلا . انهم في زعمهم يبدأون من اسلوب علمي صحيح ، وهو ان معرفة ما هو قائم نقطة الانطلاق لمعرفة ما ينبغي ان يكون ، وان لا سبيل الى تغيير الواقع قبل فهمه ووعيه . وهذا قول صحيح لا غبار عليه . ولكن شريطة ان نفهم الواقع حق فهمه والا نحسب الزائف فيه اصيلا والاصيل زائفا ، والا نحمله ما ليس من طبائعه .

ان هذا الفريق ، الفريق المذعور من الفساد ، الذي يصدر ذعره هذا غالبا عن عاطفة صادقة ، يعدد آفات البلاد العربية الحالية ، فيحسبها اصيلة ، بل كثيرا ما يصل الى حد اعتبارها مقومة للنفس العربية :

يحدثنا المفكر العربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري في كتابه « دفاع عن العروبة » عن جانب من آراء هذا الفريق ، فيسرد علينا اقوالا للدكتور حسين مؤنس حول مستقبل العرب ، خلاصتها الزعم ان من مقومات النفس العربية انها محرومة من الاحساس بالمستقبل وانها لا تفكر الا في يومها ، وقلما تفكر في غدها او تحسب حسابا له . حتى انه يدلل على هذه الاقوال بادلة عجيبة منها « ان المستقبل في لغة العرب مضارع تضاف اليه السين او سوف ، وهما في احساس الشرقي يوحيان الى النفس معنى التشكك وعدم اليقين » .

ونقرأ لكثير من المفكرين العرب اوصافا للعربي ، وللعربي الحاضر خاصة ، لا تعدو هذه التهم البعيدة عن الواقع ، ولا تجاوز ان تكون اوصافا من نسج خيال اصحابها او من مقتضيات اسلوبهم في البحث . فنقرأ لاحدهم اننا لا نجد لدى العرب « شعورا او ايمانا صحيحا بالحاجة الى النهوض » او انهم « يتصفون بعناصر خلقية لازمتهم خلال كافة مراحل تاريخهم ، بما فيها ادوار المجد والانحطاط » ويقصد بهذه العناصر الخلقية اتصافهم بالانفعال وبفورة العواطف ، ثم « النزوع الغيبي » او العقلية السحرية اذا اردنا ان نتبنى اصطلاح « اشبنجلر » .

ويرتب مثل هذا الكاتب على هذه الصفات نتائج منها ان « الروح العربية اليوم عزلاء من المثالية وعزلاء من اي ايمان برسالتها ومن اية رسالة لها في الحياة » ، ومنها « عبودية » الروح العربية ، بل يزيد في ذلك فيتهم العرب وحدهم دون غيرهم بان مفهوم الاخلاق عندهم « مفهوم زجري صرف » ، وان تحسسهم بالجمال « تحسس مريض » : فالموسيقى طرب والرقص اثارة للشهوة . اما البطولة فلا وجود لها ، واما الحرية فمثل اعلى « وافد الى الشرق كما تفد اليه سائر مقومات الحضارة الحديثة وعلى نسق البدع والزخارف تماما » ، واما حرية الفكر « فشق النفس ايسر من العثور على اثر من آثارها » . وجملة القول ان العقلية العربية في نظر مثل هذا الباحث (ونحن نورد اقواله دقيقة) تتميز بسمات رئيسية ثلاث : ضعف حس الواقع ، والكفر بمبدأ التطور ، وسيطرة الاوهام والخرافات .

هذه نماذج قليلة من ذلك الاسلوب الذي نجده شائعا لدى بعض الكتاب ، ظنا منهم انه اسلوب علمي واقعي يصف الداء اولا ليصف الدواء بعد ذلك . وكثيرا ما يقابل وصفهم هذا لحال العرب في زعمهم وصف مضاد لحال الغرب . فاذا الاخلاق هناك ، واذا التفكير في الغد سمة تلك الشعوب الغربية ، واذا الحرية واحترام الفرد وكرامته ، والايمان بالقيم ، من مقومات حياة تلك الشعوب وحدها .

ولسنا هنا بصدد الدفاع عن العرب ، ولسنا ممن ينزعون الى الامتداح الخالص لصفاتهم وطبائعهم . ولكننا لا نستطيع الا ان نرى الخطل في هذا الاسلوب من البحث الذي يلجأ اليه بعض كتاب العرب اليوم ، ظنا منهم انهم يحسنون صنعا

واول شيء نود ان نذكر به هنا ، ان هذه الافات التي يذكرها مثل هؤلاء الكتاب ـ ان صح انها قائمة كلها ـ نتيجة لتأخر المجتمع العربي لا سبب له . وشتان بين الامرين . ان العوامل التي ادت الى تأخر المجتمع العربي ثاوية في غير هذه الصفات التي يود هؤلاء الكتاب ان يغدقوها على العربي الحاضر . ان هنالك عوامل كثيرة ، على رأسها دخول الاعاجم قديما والاستعمار حديثا ، هي التي ادت الى تقهقر الكيان العربي ، وهي التي ادت الى استشراء بعض الافات وظهور بعض العلل . ان الاوبئة والجراثيم سريعة الظهور في الماء الراكد الاسن وفي البيئة الضعيفة . وعندما يهزل الجسم تتكاثر عليه الآفات تكاثر الظباء على خراش ، بل تعشعش فيه وتفرخ وتتوالد . وكما ان هذه الاوبئة سريعة التكاثر والتوالد في البنية ما دامت ضعيفة فهي سريعة الزوال دفعة واحدة غالبا عندما يستقيم كيان البنية . ان البنية تهزل في سائر جنباتها ،ولكنها تستعيد الصحة في سائر جنباتها . ولهذا كان من الواجب الا تخيفنا مثل هذه الاوبئة

ـ التتمة على الصفحة ٩١ ـ

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص . ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

★

الادارة

شارع سوريا ـ رأس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

فى لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان او ٥ دولارات

فى اميركا : ١٠ دولارات

فى الارجنتين : ١٥٠ ريالا

تدفع قيمة الاشتراك مقدما حوالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

قضية الجزائر ..

التعذيب .. والشرف

بقلم الدكتور سهيل ادريس

تمزقت معك ، يا أخي علي بومنجل ، حين القيت بنفسك منتحرا ، لتتخلص من التعذيب الذي كنت تلاقيه من البوليس الفرنسي فى الجزائر ... وشعرت بالراحة ، حين رأيتني ملقى الى جانبك ، والدم ينزف من رأسي ، فيسيل منه خيط الى زاوية فمي ، اتمصصه ، فأغمض جفنيء على مذاق الفداء والشرف ...

وادركت حالتك النفسية ، يا أخي فرانسوا مورياك ، حين أعلنت انك ستنقطع عن كتابة الرواية ، لان « فظاعة عالم الواقع تطردك من ميدان التأليف الخيالي » وحين أضفت بأنك لا تنتظر بعد غير الموت ، لان فرنسنا التي تراقبها منذ سنوات ، ولا سيما فى الجزائر ، قد ماتت ... وانها الآن تموت باستمرار فى كل لون من الوان التعذيب التي تخضع لها الجزائريين المسلمين ، لانها تفقد فى كل لحظة شرفها ...

*

هذان الجوان ، جو التعذيب الذي انكشف اخيرا عن افظع الوان الوحشية فى الجزائر ، وجو الثورة التي قامت فى أوساط المفكرين الاحرار بفرنسا دفاعا عن الشرف والانسانية — هذان الجوان هما الذان عشتهما هذه الايام الاخيرة ، عبر الكتاب والصحف الفرنسية ، دامي القلب والضمير .

لقد تابعت قصة جان سرفان شرايبر J. S. Shreiber التي عنوانها « ملازم فى الجزائر » والتي يروى فيها ما شاهده بعينيه من ضروب الوحشية فى معاملة الثوار واهل الثوار بل وجميع مسلمي الجزائر ، فلم يستطع حين عاد الى وطنه ان يخرس لسانه ويخنق ضميره فكتب الحقيقة بحذافيرها ، واثارت مقالاته انقلابا فى مختلف الاوساط الفرنسية التي أخذت تدعو الى تأليف لجنة للتحقيق فى هذه الجرائم البشعة التي يقترفها زبانية روبير لاكوست.. وتابعت ردود الفعل المختلفة ، من استقالة عميد جامعة الجزائر ، واستاذ القانون فيها ، وعريضة المفكرين الفرنسيين باستنكار هذه اساليب ، وما الى ذلك مما شعر به الشرفاء من الفرنسيين احتجاجا ودفاعا عن الكرامة الانسانية المنتهكة .

وكان آخر ما قرأت هذا الكتاب الذي الفه اديب معروف هو بيار هنري سميون P. H. Simon بعنوان « ضد التعذيب » واورد فيه وثائق وشهادات قدم لها بقوله : « انها باقة ، لا من الزهور والادب والانسانية ، بل من الاشواك الدامية المخجلة . ولئن بقي ثمة فرنسيون يشعرون بعدُ بالشرف ككورناي وبيغي ، وبطهارة الجندي كفوفنارغ وبعظمة فرنسا كميشيله وبالرحمة كهوغو ، فانهم لا بد ان يحمروا خجلا اذ يقرأون هذه الشهادات التي انقلها وانا غاضب حتى الالم »

ويروى المؤلف بعد ذلك عشرات الحوادث ، من غير ذكر الاسماء الا بالاحرف الاولى ، ليجنب اصحابها شر الانتقام ... وهأنذا اورد بعض هذه الاحداث :

« انا الموقع ا.ب.ا. المستشار البلدي لمدينة س ... اقسم بشرفي اني اروي الحقيقة هنا حين اوقفني رجال شرطة الحكومة ، وساقوني الى مفوضية الشرطة ثم الى المختبر . وبدأ المفوضون الثلاثة فلان وفلان وفلان مع عشرة من الرجال تقريبا ، يضربونني بقبضاتهم وارجلهم ... ثم امروني ان أخلع ثيابي ثم قيدوا يدي وطلبوا مني ان أقعي ، ووضعوا قضيبا بين فخذي ، ثم عصبوا عيني ووضعوني فوق عجلة من الكاوتشوك وأخضعوني « لتعذيب الانبوب » وهم يركلونني حتى أغمي علي ، وذلك على ثلاث مرات حتى انتهكت قواي جميعا ، ثم نقلوني الى زنزانة ظللت فيها خمسة ايام قبل ان امثل امام القاضي »

وقال م.س.ز. الملاك فى مدينة س...

« حين دخلت مركز الشركة رأيت المدعو « ك.. » ملقى على الارض فاقد الرشد وقال لي المفوض : « مساء امس ، القي من شرفة منزلك شعلة خضراء . ونريد ان نعرف الحقيقة ، اجلس على الارض » . وسرعان ما اتى دركي فشد يدي وربطهما الى فخذي ، ووضعوا طرف شريط كهربائي خلف أذني ، والطرف الآخر على اصبعي ثم اداروا المجرى الكهربائي واخذوا يطرحون علي الاسئلة .

« وقد فقدت وعيي سريعا .. وفى اليوم التالي اخذوني الى السجن واعادوا التجربة ... وبقيت ثلاثة ايام دون ان يطعموني شيئا . » وكان مرفقا بهذه الشهادة تصريح من الطبيب « ج.. »الذي عالج المذكور واثبت انه مصاب بانهيار عصبي ، ولم يكن يعرف شيئا مما اتهم به .

وارسل ضابط من فرقة × رسالة الى صديقهبتاريخ ٦ حزيران ١٩٥٦ قال فيها : « اشعر يا جان باشمئزاز لم اشعر به من قبل قط . ان الالمان باساليبهم كانوا اطفالا صغارا بالنسبة الينا . لقد رأيت اعمال مكتب المظليين الثاني . التعذيب طوال النهار لاستنطاق الموقوفين . الانبوب الضاغط فى الفم حتى يخرج الماء من كل مكان . الايدي معلقة خلف الظهر ، ثم يعلق الموقوف من يديه حتى تتخلل المفاصل ، والضرب مستمر اثناء ذلك . بل اكثر من هذا : المجرى الكهربائي متصل بالعضو التناسلي ، والطرف الآخر بالرأس ... واكثر .. بعد ان تنفد قواهم ، توضع سكين بين الكتفين. اننا جميعا فى فرقة × نشعر بالغثيان .

وجاء فى رسالة آخر :

« روى لي م. انه شاهد فى قرية « ه.. » منذ ايام تعذيب شيخ مسن بالكهرباء : طرف السلك فى مؤخرته والطرف الآخر فى اذنه ... وهذا كله بحضور زوجته ! »

وصرح احد اعيان مدينة القسنطينية :

« اوقفني الجنود وبدأوا باستجوابي الذي استمر سبعا وخمسين ساعة تكبدت خلالها العذابات التالية : ــ الكهرباء فى الاصابع والاذنين ، الحمام المحرق ، الضرب بالسياط على الارجل ، الكهرباء فى الاعضاء التناسلية ».

ومن رسالة اخرى بتاريخ آذار ١٩٥٦ :

« بعد ظهر هذا اليوم ، السبت ، جرح الارهابيون احد الجنود جراحا خطرة . فكان رد الفعل ان قذف الجنود الفرنسيون بالمدفع جميع المسلمين المقيمين على مقربة من مكان الحادث ، واختاروا ستة منهم واطلقوا عليهم الرصاص . وفى اليوم التالي اطلق سراح ستة مسلمين فى المنطقة نفسها لعدم ثبوت اية تهمة عليهم ، ولكن جثثهم وجدت بعد ساعات فى الضاحية ، وصدر بلاغ بان اشتباكا حدث ، قتل فيه ستة من العصاة ... »

وجاء فى رسالة اخرى بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٥٦ :

« منذ اثني عشر يوما ، جرح احد حراسنا فى مركز للبوليس ، فسارع الجيش الى اخلاء المنازل وقبض على عشرة اشخاص كرهائن ثم قتلهم . وكانوا عمالا فى احد المناجم ، وقد اشمأز الاوروبيون من هذا العمل وكانوا يتحدثون عن المسألة والدموع فى عيونهم : لقد كانوا يعرفون هؤلاء العمال ويعملون معهم كل يوم . »

★

روى الكاتب الفانسي المعزوف ارمان سالاكرو ان قضية الشر حفرت فكره منذ حداثته ، عندما قرأ « لتاسيت » قصة تلك الفتاة التي امر الملك « تيبير » بانتهاك شرفها فى السجن ثم بخنقها حية . ولقد ظل الكاتب يسمع فى ضميره صراخ هذه الفتاة الذي يعلن عن جزعها ورعبها وبراءتها ، ورأى فى هذا الصراخ رمزا للاحتجاج الذي يرتعش عبر التاريخ كله والذي حملت معظم آثاره علامته وطابعه ... اجل ، ينبغي ان تحسن الاستماع الى هذا الصراخ الذي يجأر به الابرياء يوضعون فى السجون والزنزانات ويتكبدون اشد انواع التعذيب الوحشي ...

لقد سمع بيار هنري سيمون هذه الصرخة يصعّدها فتى عربي فى الثالثة عشرة من عمره ...

« ... فاجأته دورية يلوذ بالفرار فحكمت بانه انطلق يشي للثوار بمقدمها . وكان معه رعاة آخرون ، فاطلق الجنود عليهم النار فأخطأوهم ولكنهم تمكنوا من القبض عليه وعلى رفيق له عجوز ... »

ويتابع الجندي فى مذكراته : « وقد سمعت مساء الامس صراخا فحسبت انه عواء بنات آوى ، ولكن ذلك قد استمر ، فاضطررت الى الخروج ، وانا فى ثياب النوم ، وارهفت سمعي ، فاذا هي اصوات انين تتصاعد من خيمة الملازمين المجاورة . وقلت فى نفسي : ان من المستحيل ان يجربوا الكهرباء بالغلام ، فلعلهم انما يريدون استنطاق الشيخ العجوز ، وعدت الى خيمتي مشمئزا . لقد كانوا يعذبون الصبي فى الواقع .. وكان هذا صراخه » .

يقول مؤلف كتاب « ضد التعذيب » :

« ان انين الخوف والالم الذي كان ينبعث من هذا الصبي العربي ، اذ كان ضابطان فرنسيان يعذبانه فى الليل ليقسراه على الوشاية ببني جنسه ... ان هذا الانين منذ سمعته فى هذه القصة الحقيقية ، احمله فى قلبي كأنه حرق ... لقد انطلقت هذه الصرخة فى ظلام العجز واليأس ، وما كانت لتضيع لو عرف احد كيف ينشرها ويذيعها فى صدى من الاستنكار والحب ... ففي مثل هذا العصر المحمل بالفضائح والحماقات والاكاذيب ، غالبا ما يتفق للكاتب الحر ان يفقد الامل : ما الفائدة من نصب خطوط الكلمات الهزيلة وركم الكتب التي تخنقها اللامبالاة ولا بد من ان يكفنها النسيان ، ازاء الوحشية العمياء ؟ ومع ذلك ، فان عمل الكاتب لن يكون بلا فائدة ، ولن يكون خاليا من النبل اذا استطاع ان يلتقط صرخة هذا الراعي الصغير الذي أهينت الانسانية فى جلده ، فيساعد على تصعيد هذه الصرخة الى النجوم ، وعلى اجتياز البحر ، وعلى ايقاظ الانسان ، وايقاظ فرنسا . »

★

اما انا ، فقد وقفت امام عبارة صغيرة قالها ثائر مكافح من الجزائر ، لا امام صرخة اطلقها طفل بريء .

جاء فى رسالة احد الجنود :

« بعد ظهر ذلك اليوم من كانون الاول .. دعا الدركيون بعض العسكريين الى رؤية المشهد . وكانوا يعذبون عربيين اوقفا عشية الامس . وكان التعذيب الاول هو ان يعلق الرجلان عاريين تماما من الاقدام ، والايدي مشدودة الى خلف الظهر ، وان يغطس رأساهما فترة طويلة فى دلو من الماء لحملهما على الكلام . اما التعذيب الثاني فكان ان يعلقا مربوطي الاقدام بالايدي خلف الظهر ، والرأس هذه المرة الى فوق . وكان موضوعا تحتهما مرفع ، وكانت اللكمات تهبط عليهما فيتأرجحان بحيث ان اسفلهما كان يحتك بحديد المرفع الحاد كالشفرة ...

« وكانت العبارة الوحيدة التي قالها احدهما وهو يلتفت الى العسكرين الحاضرين : انني اشعر بالخجل من ان اظهر عاريا امامكم » .

أجل ، ان هؤلاء المكافحين الابطال ما يزالون يحتفظون بحس الطهارة الصافي الذي يحسبون انه يخدش اذا ظهرت عوراتهم امام الاعين .. انهم يتحملون اشد الوان العذاب ، ويكبحون لسانهم ان ينطلق بصرخة الالم حتى تدمى اطرافهم واعضاؤهم الحساسة ، ولكنهم لا يحتملون ان يظهروا عراة امام معذبيهم !

ايها المكافحون المعذبون فى الجزائر ... لن تكونوا ابدا عراة ما دمتم ترتدون ثوب الشرف !

سهيل ادريس

يا مغرب !..

يا مغربْ ..
عانقنا صوتك لمّا لعلع فيه الدّمْ
يا مغرب ..
أبصرْنا ركبكَ لمّا صارع حدّ الوهمْ
يا مغرب ..
إنّا في تيّارك ننسال على الجبهات الشمْ
يا مغرب ..
ثِق بالشعبِ الزاحف نحو القمّهْ ..
ثِق بدماءِ الجثث المندفعاتِ الجمه ..
إنا حطمنا ماضينا الأسود ..
حطّمنا الظلمهْ ..
سنسيرُ .. سنكبو
سنواصل هذا الموكبْ ..
لن نستسلم ...

***

الثورة يا وطني في كلِّ شعابكَ
في جنباتكْ .
نبعت من كلّ دروبكَ
من منحنياتكْ ..
غسلت بالنورِ ضحاياكَ ..
وغطّت لونَ الافق الغربي ..
هذا الافقُ الكابي المعتمْ ..
أفقُ الحريّه ...

ما زال هناك .. وراء جبال المغرب
يشخبُ بالدّم ..
هذا الأفقُ الكابي المُعتم ..
ما زال يُعانقُ في يافا ..
أظلالَ الكرم ..
ما زال يجرجرُ من يافا ..
أيامَ الظلم ...
أيامَ الحرمانِ الأسود ..
ما زال يُسوِّد أرضَ النورْ ..
بقيودِ الرُّعب ..
ما زال يُفجّرُ يا وطني ..
ألمَ الإيمان الأكبر ..
ألمَ الحريّه ..
مازال يلاحقُ قرصنةَ القرنِ العشرين..
وشراذمَ حرّاسِ الحريه !!
ما زال يُداوي بالخنجر ..
طعناتِ الخنجر !..
ما زالت طلقاتُ المدفع ..
في قبضةِ حرّاسِ الحريه !..
تنصبُّ .. تلاحقُ دنيا (ميّ ..)
وتكوِّرها جنبَ الكرمه ..
أنفاساً هدأت .. وتهاوى
حوليها قلبٌ .. غضٌ .. حيّ ..

قلبٌ كان يُرفرفُ بالحبّ ..
لم يعرف أبداً غيرَ الحب ..
الوادع خلف مدارج يافا ..
روّته عناقيدُ الكرمه ..
نسجته غصونُ الزيتون ..
غرست فيهِ أمانَ الأرض ..
حُبّ الإنسان ..
لونَ الفرحه ..
أشياءً غابت عن هذا القرن العشرينْ ..
غابت عن حرّاس الحريه ..
ما زالت تحصدُ .. ما زالت
تحصُدُ كلّ جموع الدّرب ..
ما زال الحُرّاسُ السّبعه[1] ..
ما زالوا في قلبِ المشهد ..
يلجونَ الأفقَ على موعد ..
هذا الأفق الكابي المعتم ..
في المغربِ .. في الارضِ الخضراء ..
حشدٌ يلطمُ صدرَ الهضبه
صدرَ المنحدراتِ الوعره ..
كلّ مروجِ الأرض الخضراء !.
كلّ شعابِ (الأطلس) ..

---

(١) دول الجامعة العربية في حرب فلسطين !.

قُل للقرصان الساكرِ بالدَّم ..
ماج الأطلس ..
ماجت مَوجاتُ البحرِ الشُّمْ ..
هجم الإعصارُ الداوي بالموت ..
سقطت كلُّ قلاع الظُّلمه ..
الثورةُ في الوطن الأكبر ..
قُل للقرصانِ الساكرِ بالدَّم ..
لم نُطلق كلَّ قوانا بعد ..
ما زال كثير ..
لم ننضب بعد ..
فلتُقبل أيامُ الظُّلمه ..
فليسودَّ الليلُ الباقي ..
فليتحوَّل كلُّ العالم ..
ظلماتٍ راعدةً جهمه ..
فليسقط منّا كلُّ
مغاويرِ القمَّه ..
وليتدافع كلُّ الموكبْ ..
ولتتحوَّل كلُّ ليالينا ..
إعصاراً مخبوءاً أسود ...
فليسقُط كلُّ رجال الصفّ ..
سنظلُّ نواصلُ هذا الزَّحف ..
سنظلُّ نكافحُ حتى القمّه ..
سنظلُّ نسيرُ ولا نصعد ..!
سنكونُ القنطرةَ الرَّحبه ..
لنلاحقَ ماضينا بالغد ..
سنناضلُ حتى تبزغَ يا وطني ..
شمسُ الحريَّه ..

سنكافحُ من أجل حياتِك
من أجلِ حياةِ الأطفال ..
من أجل الغَد ..
من أجل حياةٍ يصنعُها لحنُ الأبطال ..
لم نُلقِ سلاحَ الثورة بعد ..
لم نتحوَّل يا وطني أقزاماً ..
يخنقُها الرَّعد ..
لم ندخُل بعد شقوقَ الارض ..
ما زلنا نجتاحُ الثوره ..
ونعانقُ كلَّ شعابِ الومض ..
من أجل الحبّ ..
من أجل الكرمةِ يا وطني ..
يعتصرُ دواليها غرباء ..
من أجل الجثثِ المنحدرات وراء التلّ ..
جفّتْ ... همدت ... لبّتْ ..
يا وطني صرخاتِ الدّم ..
فلتتلاحق .. فلتتلاحق .. يا وطني
أيامُ الظلم ..
مازال بكلِّ شهيدٍ يهوي في ساحاتِك فم
ما زلنا .. ما زال الإصرار العاتي..
لم ينضب دمْ ..
سنناضلُ حتى يشرُقَ فجر الأطفال ..
حتى لا يجدُبَ وجهُ العالم بالبَسمه
حتى تبقى أيامُ الحبّ ..
فإذا مرُّوا بقبور الجيل الزاحف ،
مرّوا في الغَد ..
لن تبخل أيديهم يا وطني ..

أبداً بعناقيد الورد ..
لن تبخلَ باللمسةِ فوق جدارِ القبرْ ..
لن تبخلَ بالكلمه ..
وسيأتون لنا بالسَّعفِ الاخضرِ
في لونِ الفجرْ ..
وبأيديهم عبءُ النّصر ..
ويذرُّون تمائمَ حُبّ ..
وسينهضُ ذاكَ التاريخُ الدّامي ..
ينهضُ من تحتِ التّرب ..
ويمُرُّونَ بهذا القبرِ وهذا القبرْ ..
ويقولون :
كانوا أحراراً .. لم تقتُلهم ..
أبداً .. أيامُ الرُّعب ..
كانوا أبطالاً .. لم يقفُوا
أبداً عند حدُودِ الوهم ..
كانوا آباءً .. عرفوا ..
أن طريق الإنجاب .. الدّم .! »

***

يا وطني ..
ثِق بالشعب الزاحف نحو القمّه ..
ثِق بدماءِ الجُثثِ المندفعات الجهمه ..
إنا حطّمنا ماضينا الأسودَ..
حطّمنا الظّلمه ..
سنسير .. سنكبو ..
سنواصلُ هذا الموكب ..
لن نستسلم ..

القاهرة — **فاروق شوشه**

الجانب الإنشائي من الثورة الجزائرية

بقلم عبد الحميد المهري

قد يتساءل القاريء، اذ يقع نظره على هذا العنوان: « كيف يكون للثورة، وهي فى الاساس عملية هدم، جانب انشائي؟ » الم يكن الاصح هو ان نقول «المرحلة الانشائية» للثورة الجزائرية باعتبار ان عملية البناء لا تبدأ الا بعد اتمام عملية الهدم؟ والجواب هو ان الثورة الواعية هي عملية هدم وبناء فى وقت واحد. والثورة التي لا تستطيع البناء فى مراحلها الاولى، لا تستطيع البناء فى مراحلها الاخيرة، والثورة التي لا تستطيع الجمع بين عملية الهدم والبناء تكون ثورة مرتجلة وثمرة غير ناضجة، وبالتالي تكون ثورة محدودة الابعاد، قصيرة المدى.

واذن فموضوع المقال ليس هو ما تنوي الثورة الجزائرية بناءه فى المستقبل وبعد انتهاء المعركة، ولكن هو ما تبنيه الثورة الجزائرية الان وفى صميم المعركة. ان الثورة الجزائرية ترمي لتحطيم النظام الاستعماري الفرنسي وبناء نظام جديد بدلا منه، ولكنها لا تنتظر انهيار النظام الاستعماري نهائيا لتبدأ فى بناء النظام الجديد، بل انها شرعت فى البناء من الآن. ولكي نتصور اهمية الجانب الانشائي للثورة الجزائرية تصورا كاملا، يجب ان نرسم خطوطا عريضة للنظام الاستعماري الذي كان قائما فى البلاد حتى قيام الثورة، ولا اريد ان اذكر ارقاما واحصاءات لتصوير وطأة هذا النظام، فالارقام مملة ولا تعطي صورة حية عن الموضوع، بل اريد ان نتخيل اي بلد عربي (لنتخيل العراق او مصر أو سورية مثلا) جميع وزرائه فرنسيون، وجميع موظفيه الكبار والصغار فرنسيون، وجميع اداراته الكبيرة والصغيرة فرنسية، والجيش والدرك والشرطة فيه فرنسية. البنوك فيه فرنسية، والشركات والصناعات والمرافق الهامة كلها فرنسية، والتجارة الخارجية كلها بيد الفرنسيين، والتجارة الداخلية الكبرى ايضا بيد الفرنسيين، ونصف الاراضي الصالحة للزراعة بيد الفرنسيين، والقوانين يصدرها فرنسيون وتطبقها محاكم فرنسية، ولنتصور جميع المدارس فى هذا البلد لا تعلم الا الفرنسية، والصحف والكتب والمجلات التي تصدر فيه او تصل اليه فرنسية، وحتى رجال الدين الاسلامي يعينهم الفرنسيون، اذا رضوا عنهم، ويقيلونهم اذا لم يكونوا موضع الرضى!...

ولنا نتصور ما كابده الشعب الجزائري من آلام وتضحيات للحيلولة دون قيام هذا النظام، ولنا ان نتصور ما يجب ان يقدمه الشعب الجزائري من تضحيات فى ثورته الحالية لتحطيم هذا الجهاز الجهنمي الضخم.

لقد اقتضى وضع هذا الجهاز الاستعماري الضخم تحطيم كل تنظيم جزائري سابق له فى جميع ميادين الحياة. ولكن هذا النظام الاستعماري الدخيل لم يستطع ان يقوم مقام الانظمة السابقة فى سياسة الهيئة الاجتماعية وتهيئتها للتطور والرقي والحضارة، لانه كان غريبا عن طينة البلد، بعيدا عن روح الشعب. كان هذا النظام سيئا فى آثاره الظاهرة الملموسة، وكان ايضا سيئا فى آثاره الخفية العميقة، واعظم سيئات هذا النظام انه لم يستطع ان يملأ الفراغ الذي احدثه بتحطيمه للانظمة القومية السابقة. لقد كان الشعب راضخا لهذا النظام، ولكنه لم يكن منسجما معه. كان الشعب يعيش فى الواقع بدون نظام، كان يعيش فى حيرة وفوضى تحول دون تفتق عبقريته الخلاقة.

واقتضت طبيعة هذا النظام الاستغلالية ايضا ان القوة المسلحة هي حافظة لكيانه وحاميته من الشعب الذي يريد ان يتخلص منه، فكانت الثورات العديدة التي قام بها الشعب تنتهي الى الفشل، وكان النظام الاستعماري يغرقها دائما فى بحر من الدماء ويخرج سالما من المحنة، بسبب انه يملك من السلاح ما لا يملك الشعب الاعزل. وهنا نشأ عند الشعب خاصة بعد ثورة ١٨٧١ ما يمكن ان نسميه « بمركب السلاح »: لقد كانت كل محاولاته للتخلص من هذا النظام الجائر تنتهي الى الفشل لانه اعزل ولان عدوه مسلح، واذن فمفتاح القضية اصبح محصورا فى شيء عزيز بعيد المنال، اصبح محصورا فى السلاح الذي يحتكره المستعمر، ولهذا كان الشعب طوال فترة الكفاح السياسي ونشأة الحركات الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية يقابل بنوع من الاستخفاف هذه الحركات ولا ينصاع لها الا اذا لمس فيها اتجاها الى الثورة او ما يعتقد انه ثورة.

ويعود الفضل فى نجاح الثورة الحاضرة الى انها عرفت منذ البدء كيف تعالج هذه الآثار العميقة التي تركها النظام

« لم يعد استقلال الجزائر حلما بعيدا، بل هو غاية تدنو بسرعة لتصبح حقيقة واقعة. وان جبهة التحرير تتقدم بخطى واسعة لتهيمن على الحالة فى الميدان العسكري والسياسي والدبلوماسي. ان الجزائر تحضر اليوم الثورة العامة التي ستحطم النظام الاستعماري الفرنسي الى غير رجعة. »

الاستعماري في نفسية الشعب . فقد سبق اندلاع الثورة عمل تنظيمي استمر سنوات عديدة ، وتغلغل في جميع اوساط الشعب في المدن والقرى ، اخرج الشعب من الحيرة والفوضى التي كان يتخبط فيها ، ورباه من جديد على التقيد بالنظام والانصياع وراء قادة خرجوا من صفوفه وجابهوا الاستعمار بمقاومة لا تعرف الهوادة . كما تغلبت طلائع الثورة الاولى على « مكب السلاح » الذي كان يعانيه الشعب ، فاثبتت به بصفة عملية ملموسة ان السلاح يمكن ان ينتزع من يد العدو انتزاعا ، وان السلاح يمكن ان يأتي بالسلاح ، وان الثورة يمكن ان تغذى نفسها بنفسها ، فعادت الى الشعب الثقة بنفسه وانفجرت طاقته الكامنة وتفتحت عبقريته واندفع مثل السيل الجارف الذي لا يغلب .

وهنا نصل الى نقطة البدء فيما سميناه بالجانب الايجابي للثورة الجزائرية ، فقد كان من العبث توجيه الشعب الى العمل الانشائي قبل ان يسترجع الثقة بنفسه. وقبل ان تنفجر طاقته الكامنة الهائلة . ولكن ما العمل الآن وقد اصبح الشعب متدفقا كالسيل الجارف في ثورته ضد النظام الاستعماري ؟

لقد درس المؤتمر الذي انعقد في ٢٠ آب ١٩٥٦ في «وادي السمام » وضم قادة الجيش والمندوبين السياسيين للثورة هذه القضية فيما درس من شؤون وقضايا ، واتخذ في موضوعها القرار الاتي : « يجب ان تكون جبهة التحرير الوطني قادرة على تصريف الامواج الجبارة التي تهز الحماس الوطني ، ويجب ان لا تضيع الغضبة الشعبية الهائلة كما تضيع قوة السيل الجارف في الرمال . ولتحويل هذه القوة الهائلة الى طاقة انشائية منتجة يجب الشروع في عمل ضخم ينتظم ملايين الرجال . يجب ان تكون جبهة التحرير الوطني حاضرة في كل مكان . ويجب ان تنظم في اشكال عديدة كثيرا ما تكون مركبة ومعقدة جميع فروع النشاط البشري » .

كيف طبق هذا القرار في الواقع ؟ وماذا كان تأثيره على سير الكفاح المسلح ؟

لنستمع اولا الى الفقرة من التعليمات التي ارسلها روبير لاكوست الى السلطة العسكرية والمدنية في الجزائر « ان جبهة التحرير الوطني تبذل جهودا جبارة لتكوين ادارة سياسية وعسكرية في جميع التراب الجزائري وتقصد بذلك انشاء اطار من الجزائريين يراقبون السكان بصفة دقيقة ... ان هذا الاطار السياسي والعسكري سيكون له نفوذ كبير لدى الجماهير التي اصبحت تطبق تعليمات الوطنيين . »

وفعلا ، فان « جبهة التحرير الوطني » وضعت في مقدمة المهام الانشائية تكوين ادارة جزائرية وطنية تشرف على ادارة المناطق المحررة ، وتمتد حتى الى المدن الكبرى والمناطق التي لا زالت تحت الاحتلال الفرنسي . والوحدة الادارية الاساسية في هذا التنظيم الاداري هي « مجلس الشعب » ويتركب من خمسة اعضاء ينتخبون كلهم من طرف الشعب انتخابا مباشرا ، ويتولى مجلس الشعب الاشراف على الشؤون الآنية والاحوال المدنية والشؤون المالية كالضرائب والاكتتابات والتعليم والتموين والامن العام وعلى عاتق المجالس الشعبية تقع مسؤولية ادارة المناطق المحررة من الاستعمار ومسؤولية قيادة الجماهير وتنظيمها في المناطق التي لا زالت محتلة . وقد بدأت مجالس الشعب عملها باعلان التعليم العربي اجباريا للبنين والبنات وفتح المدارس في جيع الجهات التي يسيطر عليها جيش التحرير الوطني وفرضت الضرائب ونظمت جبايتها في كل التراب الوطني وقامت بمجهود جبار لتنظيم تموين جيش التحرير الوطني وتموين المناطق المحاصرة من طرف القوات الاستعمارية .

وقد روعي في انشاء الوحدة الادارية ، وهي مجلس الشعب ، ان تكون في تركيبها وطبيعتها قريبة من مجالس الجماعة التي عرفتها الجزائر منذ عصور قديمة «والجماعة» في القرى والبوادي الجزائرية هي كناية عن فضلاء القرية او البادية الذين يسهرون على مصالح الجهة .

وهنا احب ان اتعرض الى قضية طالما سئلت عنها وهي: هل تنوي جبهة التحرير الوطني تشكيل حكومة جزائرية تواصل معركة التحرير ؟ والجواب هو ان جبهة التحرير الوطني لا تعلق اهمية كبيرة على الناحية الشكلية لهذه القضية . وانما تهتم بجوهرها ، اي انها تهتم بوضع الجهاز الاداري والعسكري الذي يحل بالفعل محل السلطة الاستعمارية الفرنسية ، ومتى تم وضع هذا الجهاز كان من السهل — اذا لزم الامر — اعلان حكومة جزائرية .

وهكذا نرى ان جبهة التحرير في هذه القضية تريد ان تبتديء من حيث ينتهي البعض !

ومن النواحي الانشائية الهامة في الثورة الجزائرية قضية الاصلاح الزراعي ، فقد عمدت الثورة الجزائرية في المناطق المحررة الى استغلال الاراضي الزراعية على اساس توزيع

عادل بين الفلاحين . وقد قرر مؤتمر ٢٠ آب ١٩٥٦ انـه « يجب ان تندفع جبهة التحرير الوطني فى هذه السياسة الاجتماعية العادلة المشروعة لانها تذكي الحقد الشديد على الاستعمار الفرنسي وادارته وجيشه وشرطته وتوفر قوات احتياطية لا تنفذ لجيش التحرير والمقاومة وتخلق الظروف الصالحة لتوطيد المناطق المحررة وتنظيم مناطق جديدة اخرى على منوالها . »

وتستوحي جبهة التحرير الوطني فى السياسة التـي خطتها لتوزيع الاراضي طريقة خاصة نابعة من صميم الشعب ، فقد كانت الجزائر قبل قدوم الجيوش الفرنسية تجهل نظام الملكية الفردية فيما يتعلق باراضي الزراعة ، اذ كانت الارض ملكا للعروش ، والعرش عبارة عن عـدة قبائل تملك الارض فتزرعها وتقسم الغلة بين جميـع افرادها .

وقد اصيب المستعمرون بالهلع الشديد عندما بـدأت جبهة التحرير تطبق هذه السياسة فى المناطق المحررة ، وقامت الحكومة الفرنسية بدراسات كثيرة لهذه القضية وقدمت مشاريع عديدة لتوزيع الاراضي على الفلاحـين الجزائريين ، ولكن هذه المشاريع باءت كلها بفشل ذريـع لانه لم يوجد من الجزائريين من يعير هذه القضية اهتماما بالمـرة .

هذان هما المظهران الكبيران للجانب الانشائي فى الثـورة الجزائرية ، بناء الادارة الجزائرية التي هي اساس الدولة الجزائرية ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بالنسبة للطبقة الكبرى الغالبة فى الجزائر وهي طبقة الفلاحين .

وغير هذا توجد ميادين اخرى يبرز فيها العمل الانشائي الضخم الذي قامت به الثورة الجزائرية ، فقد وجهت كل قسم من السكان لمهمة خاصة ونظمته تنظيما يتفق مـع طبيعة عمله ، وأنا أذكر هنا باختصار بعض المنظمـات الشعبية التي تساند جبهة التحرير فى عملها الانشائـي الضخم وبيان المهمة التي كلفـت بها حسب مقـررات مؤتمر ٢٠ آب ١٩٥٦ .

١ ــ الاتحاد العام للعمال الجزائريين : وهو يشرف على كفاح الاستعمار فى النواحي الاقتصادية ، وينظم حركات الاضراب وتخريب الاقتصاد الاستعماري .

٢ ــ الاتحاد العام للتجار الجزائريين : ومهمته مكافحة الضرائب التي تفرضها السلطة الاستعمارية ومقاطعـة التجار المستعمرين .

٣ ــ الحركة النسائية : ومهمتها اذكاء روح الحماس فى صفوف الجيش واعمال الاتصال والمخابرات وتهيئـة الملاجيء واسعاف عائلات الشهداء والمعتقلين .

٤ ــ المثقفون : ويشرفون على تنظيم الدعاية العـامة ، ويصدر قسم الدعاية الآن عدة جرائد وله محطة اذاعـة تذيع ثلاث مرات كل مساء بلاغات جيش التحريـر وتوجيهات القيادة العليا للثوار والتعليق على الانباء .

يضاف الى هذا بعض المدارس التابعة لجيش التحريـر الوطني والتي تعنى بتخريج الاخصائيين من بعض النواحي الفنيـة .

وهناك عمل جبار قامت به الثورة الجزائرية وهو انشاء جيش منظم يقاوم منذ سنتين ونصف ٦٠٠ الف جندي فرنسي . ولكني لا اقطع بالحكم على هذا العمل بانه انشائي بل اترك للقراء الحكم فى الموضوع .

✶

والآن وقد استعرضت استعراضـا مجملا الجـانب الانشائي للثورة الجزائرية ، يحق لنا ان نتساءل : ما هـو الهدف الذي ترمي اليه الثورة الجزائرية من وراء كـل هذه التنظيمات ؟ والجواب نجده فى مقررات مؤتمر ٢٠ آب ١٩٥٦ : « يجب العمل بدقة واتقان على تحويل الجـزائر الى معسكر محصن منيع ، ولهذا فان الشعار الصحيح هو : دائما كل شيء لجبهة حقيقة واقعة . وان جبهـة الكفاح المسلح . ان استقلال الجزائر لم يعد حلما بعيـدا بل هو غاية تدنو بسرعة لتصبح حقيقة واقعة . وان جبهة التحرير تتقدم بخطى واسعة لتهيمن على الحالة فى الميدان العسكري والسياسي والدبلوماسي . ولهذا يجب العنـاية من الآن بتحضير **الثورة العامة** التي لا يمكن بدونها تحرير وطني سليم .

ان الجزائر تحضر اليوم الثورة العامة التي ستحـطم النظام الاستعماري الفرنسي الى غير رجعة .

عبد الحميد مهري

دمشق **مندوب جبهة التحرير الجزائري**

هواجس

هواجسي فيكِ ايمان وغالية
وانجم وفراش تعبد اللهبا
وسالفات رؤى ... حين اشتهيتِ لنا
فى البيد ، خيمتها السمراء والكثبا
هواجسٌ ، انت دنياها ومعدنها
فكيف تبدع الا النور والطربا
النازلات على قلبي ونعمته
حورا من الافق القدسي ، لا ريبا
المترفات ، واحلاها واملحها
طيف مع الفجر من اهدابك انسربا
روى لنا عنك ما ندًى سرائرنا
من المنى الشقر ، ان صدقا وان كذبا
تصوّف القلب ، تدليلا لساكنة
فما شكا عنت البلوى ولا عتبا
وكيف يوحش قلبي من سلافته
وقد ادرتُ عليه الحب والادبا

***

يا عذبة الثغر ... لو طاف الخيال به
قرأت في وجهك ، الاشفاق والغضبا
اذا تمناك قلب لا نجوم به
تعذب الفلكُ الغيران واضطربا
يردُ حسنُك اهواء النفوس تقى
ويسكب الخير والاطياب والشهبا
كأنه الكعبة الزهراء ، ما اجترحت
منى الحجيج بها اثما ولا لعبا

***

غيب لحبك من نعمى اليقين به
كأنني كاشف عن سره الحجبا
بيني وبينك انساب موثقة
هذا اللهيب بقلبي خيرها نسبا

فلو بخلت بنعماء العذاب لما
نشدتُ عندك الا جمره أربا
لم يشهد الله قلبٌ لا لهيب به
ويشرق اللهُ في القلب الذي التهبا

***

أعيذ مؤنس روحي بعد وحشتها
ان يسترد من النعماء ما وهبا
يا ضيعة النغم الاسمى ولوعته
اذا محا الخالق الفنان ما كتبا
شفعتُ عندك حبي في مواجعه
وما تمزق من قلبي وما سلبا
اخفيت ظلمك عن نفسي لارحمها
ثم ابتدعت له الاعذار والسببا

***

هواكِ عندي مقيم في مواطنه
فان تحول عن نعمائها اغتربا
احبك الحب تأليها خلعت به
على تدلهيَ الاجلال والرهبا

***

سكبتُ في دربك الاطياب والهة
وجلَّ كأسك عن عطري الذي انسكبا
لعله — والخطى الشقراء تسلكه —
يُعلها من حنيني بعض ما شربا
أغليت نعمى الهوى عندي ومحنته
فحب ما مرَّ منه ، حب ما عذبا
مدامعي فيك لو اكرمتِ جوهرها
اكْرمت فيها الهوى والشعر والعربا
أجل بابك عن طول الوقوف به
فقر الكريم تجلى صمته طلبا

بدوي الجبل

أزمة الأدب الإنساني في العالم

بقلم خليل هنداوي

هل فى عالم الادب ازمة على النحو الذي يستخدمه اهل الاقتصاد والسياسة مثلا فى التعبير عن القلق الذي يغمر الاسواق والمحافل السياسية « بالازمة » ؟

اننا نشكو أزمة محلية فى ادبنا ، ولكن كيف نشكوها ؟ والمطابع تغدق علينا ، كل يوم ، الوف الكتب المنقولة والموضوعة .

الحق ان الازمة كانت سابقا أزمة قلة القراء ، حين كان يخرج الاديب كتابه ، ويصفه على الرفوف حتى تأكله الارضة والغبار . والآن اصبحت الازمة ازمة كثرة القراء الذين تفتحت فيهم ثائرة النهم ، فهم يأكلون ولا يشبعون .

كانت الازمة ازمة قلة ما تعطيه المطابع ، وتنفقه المكاتب . واليوم اصبحت الازمة ازمة كثرة ما تجود به المطابع والمكاتب .

فالمطابع نفسها اصبحت اسيرة كالآلة التي لا تستطيع ان تهدأ ، اذ لا بد لها ان تعطي ، ولا مفر لها من ان تعطي مهما كانت قيمة هذا الشيء الذي تعطيه ، لا ليسد هذا الشيء المعطى حاجة، ولا ليقوم برسالة.. ولكن خلف ذلك الناشر التاجر الذي أخضع منتوجات الفكر كمنتوجات المادة وراح يبحث عما يثير القارىء من دوافع ،ورغبات صالحة وغير صالحة ، ويضع الكاتب امام الامر الواقع اذا أراد رواجا لكتابته ، اما قيمة هذا الشيء الذي يعطيه وينشره فى حساب الفكر الخالص ، والادب الخالص فشيء لا يدخل في الحساب ..

مثل ذلك هذا القصص الذي يترجم، او يوضع، وتغص به مطابعنا ومكاتبنا ، بالرغم مما فيه من حسنات اوسيئات لا يقبل عليه الاديب والناشر لانهما يريدان من ورائه تقديم رسالة ادبية خالصة ، وانما يقبلان عليه لانه بضاعة السوق الرائجة ، ولذلك تعبر هذه الآثار التي كتب بعضها بمداد من الدم والالم الانساني دون ان تترك خلفها الا سطورا من ماء !

على اننا لا نستطيع ان ننكر ان ازمة الادب كامنة فى الحقيقة ، فى روح العصر نفسه ، وليست هذه الازمة بوقف علينا ، لاننا لا نعرف عصرا انطلقت فيه القوى المجهولة ، وتفتحت فيه اسرار الطبيعة البخيلة كهذا العصر الجبار .

فمذ التفت العقل البشري الى « الواقع المادي » فى ميداني العلم والفلسفة ، واعرض عن المسائل الروحية والميتافيزيكية التي كان يطرقها عبثا وصل الى نتائج ما كان ليحلم بها .

وهذه النتائج التي ولدها العلم والعقل المادي أصبحت تتحكم في حياتنا ومقدراتنا . وهؤلاء العلماء الذين شدوا « زنبرك » الحياة ، ثم اطلقوه لن يستطيعوا ان يسيطروا بعد اليوم ، على تقييده .

ومن الحق ان يقبل الناس مدهوشين بهذه النتائج العلمية التي اخضعت لهم الحياة ، ويسرت لهم اسبابا كثيرة من الترف ، وباتوا لا يبالون كثيرا بمهمة الادب والقيم الروحية ، والمثل العليا فى الحياة . بل باتوا يتساءلون ساخرين : « ما شغل هذه القيم بعد اليوم فى هذا العالم المادي ؟ وماذا استطاع ان يبني الادب ؟ وماذا يصنعه الاديب فى مصير الانسان ؟ بل لاموه كثيرا على الاغراق فى خيالاته ، وروحانياته وبعده عن الواقع .

فرأينا الادب الخالص الذي كان يعنى بالمصير الانساني والنفس الانسانية ينطوي على نفسه ، وينسحب من الحياة منهزما او شبه منهزم . بل راينا بعض هذا الادب يساير واقع الحياة والناس حتى يصبح لونا من الوان الدعاية لفكرة او عقيدة ، او غرض سياسي . اما ظاهر موضوعه فالانسانية والانسان ، واما باطن موضوعه فمذهب معين ولون خاص من الوان الانسان .

وبذلك ، ضاع أثر التوجيه السامي للادب ، والاديب ، وامسى القراء اشتاتا فيما يقرأون . فالقراء الذين ارهقتهم الحياة يريدون الادب ضربا من ضروب اللهو والتسلية والترفيه . والقراء الذين يعتقدون بمذهب او عقيدة لا يقرأون الا الادب الذي يتصل بعقيدتهم ، اما الادب الذي لا يتصل بها فهو ادب ليس من الحق ان يقرأ ..

وهكذا بات الادب الذي يتصل بالانسانية كلها ، ويخص الناس كلهم لانه يعبر عن عواطفهم وحيرتهم وحقيقتهم مهملا غير جدير بالاعتبار . ولنا فى اكثر الادب الذي طغى على العالم قبل الحرب العالمية الثانية ، وهذا الادب الذي يطغى اليوم فى اقطار معينة شاهد على انه اصبح ملكا للدعاية ، وبوقا لاغراض

« سيظل الادب فى ازمة ما دام يهمل رسالة الانسانية ويكفر بتعاليمها السامية ، فاذا لم يؤد الادب العالمي رسالة انسانية صادقة ويوقظ ضمائر الناس على الحق والخير والحب فسيظل العالم فى ازمة ، ويظل الفكر العالمي معه فى ازمة لا يكون وقودها الناس والحجارة ، بل تكون ضحيته الاولى هذه الارض التي كتب تاريخها الانسان ثم يمحوه ـ ويا للاسف ـ هذا الانسان »

مقصودة ، واهواء محدودة .

واليوم دخلت أزمة التفتح العلمي الفجائي الذي كشف عن قوة الطبيعة التي انطلقت ، ولم يعد يملك الانسان تقييدها . وبدلا من ان يشيع الثقة والاطمئنان والايمان الانسانية ، فهل أيقظت هذه الازمة ضمير الادب والادباء ؟ الانسانية ، فهل ايقظت هذه الازمة ضمير الادب والادباء؟ لمن يتركون انقاذ العالم بعد ان نفضوا اليد من انقاذه ؟ ومن ذا يحمل على كاهله القيم الخلقية والروحية بعد ان باع الادباء ضمائرهم للشيطان ؟ فكان ان زادوا بذلك أزمة الادب الذي تخلى عن رسالته المعنوية ، وتناسى غايته الانسانية التي تهدف الى المحبة والالفة والسلام بين الشعوب .

عجبا للعلماء كيف يجتمعون فيمصنع واحد علىاختلاف جنسياتهم ، ليفتنوا فى الكشف عن اسرار القوة باسم العلم المجرد ، ثم يسكت الناس مخدوعين بهذا العلم المجرد الذي سيهدم العالم والحضارة والفكر الانساني باسم العلم المجرد ! ثم لا يجتمع الادباء ، ورسل الانسانية علىاختلاف جنسياتهم ، مترددين على حدود القومية الضيقة ، ليجدوا توجيها ضد هذا الانطلاق العلمي الذي يعبث بالارض ، أو توجيها يراد منه ، على الاقل ، بناء الضمير الانساني الذي يمتنع بنفسه عن التهديم .

اولئك يضعون تجاربهم بين ايدي رجال السياسة الذين لا ضمير لهم ، فاذا هم يملكون كل شيء من ادوات التخريب والادباء ليس ببعيد عنهم لو ارادوا ان يملكوا على ضمائر الشعوب كلها لو احسنوا التوجيه .

لقد تغنى الفيلسوف الفرنسي « غيو » في يوم ظهور الآلة الصناعية بمحاسن الالة ، لانها ستزيد الهام الادباء بما تخلق لهم من مشاهد جديدة. وليس جمالها عنده باقل جمالا من الوان قوس قزح .. ولكن هل درى صاحبنا اليوم انالآلة التي ابدعها الانسان لراحته وسعادته أصبحت مصدر عبودية للانسان والشعوب ؟

لقد كان الادب يقول : انني ملكت العالم فى الحلم والخيال ولكن العلم يقول الآن : أنني املكه فى الحقيقة والواقع ، وشتان ما الاثنان ! واحد يملك ليبني ويزخرف ، وآخر يملك ليهدم ويدمر !

من الحق اننا لا نستطيع توجيه الادب نحو غاية واحدة ، او رسالة معينة ، لان الادب ابن بيئته ، والحاجة التي تتسلط عليه ، واذا كان الادباء الاحرار والموجهون سواء فى هذا التعريف فكيف ينكرون على الادب ان يحس هذه الحاجة الانسانية التي هي ابرز الحاجات واسمى الاغراض فى هذا العصر ؟ واذا كان يحمد للادب ان يعالج مشكلة الفرد فكيف لا يحمد حين يعالج مشكلة الانسان فى اي زمان

ومكان ؟ وهذه الحاجة الانسانية الاجتماعية لم تكن فى يوم أحوج الى عناية الادب بها كمثل هذا اليوم .

ازمة الادب العالمي فى ان الادب لا يحس اليوم برسالته، ولا يثق بقوته ، وهو الذي همه ان يبني الضمائر بنـــاء صحيحا ، وينبهها الى ان القيم الروحية الانسانية اذا زالت فمعنى زوالها زوال الانسانية جمعاء .

رسالة الادب اليوم ان يقيم النكير على ما رد العلم الذي فتح له العلماء باب قمقمه ، ليبسط سلطانه الاعمى عـلى الانسانية ...

رسالة الادب اليوم ان يقيم النكير على مارد العـلم الذي
ــ كفى !

رسالة الادب ان يقول للعلم :

ــ ليست حقيقة هذا العالم فى اعداد هذه الاشياء المادية واخضاعها وانما حقيقته فى ان يتجه الىبناء الاشياء بحسب اتصالها وقدرتها علىخدمة الانسانية. وما نفعنا مناخضاع الوجود بعد ان فقدنا جمال الوجود ؟ ومـا جدوانا مـن تفتيت الذرة بعد ان اصبحت الذرة تنذر الارض كلهـا بالفناء ؟ والاشياء المادية بدون الروح ، سريعة الفناء ، سريعة الافناء ، وما كان الابداع الحقيقي الا سلاما وانسجاما ...

نحن لا ندعو الى ادب ميتافيزيكي سديمي ، او تصويري مجرد ، او فقاقيع تزيينية ، وانما ندعو الى ادب يخاطب الانسانية كلها ، لان آمالها اصبحت واحدة ، وآلامهـا اصبحت مشتركة فى عالم لم يكن يوما فى حاجة الى مثل هذا الادب الانساني كاليوم لاستنقاذه .

واذا تأملنا فى ادب اليوم فهل نجده الا ادب الاستمتاع بالحياة لا حبا بالحياة ، وانما فرارا من القلق ، وخوفا من الهدم ، وليس هو ادب الاستمتاع بالحياة الهانئة الهادئة ، فأين ادب الانشاء والبناء ؟ ولكن.. لمن يبني الفكر الانساني وهو يرى آثاره ستحول عما قريب رمادا ؟

الازمة ، هنا ، فى صميم هذا الفكر الانساني الــذي انسحب من المعركة ، ودعا شياطين المادة يعبثون كمـا يشاءون . فهم يقدمون بيد ظواهر الترف المادي الــذي خلقته الآلة ، وباليد الاخرى يضعون ما يحطمهم ، ويحطم ظواهر ترفهم . فما اعظمنا اليوم امام الذرة ، ولكن مـا أحقرنا أيضا !

سيظل الادب فى أزمة ما دام يهمل رسالة الانسانية ، ويكفر بتعاليمها السامية ، فاذا لم يؤد الادب العالمي رسالة انسانية صادقة ، ويوقظ ضمائر الناس على الحق والخير والحب فسيظل العالم فى أزمة ، ويظل الفكر العالمي معه فى أزمة لا يكون وقودها الناس والحجارة ، بل تكون ضحيته الاولى هذه الارض التي كتب تاريخها الانسان ، ثم يمحوه ــ ويا للاسف ! ــ هذا الانسان ...

خليل الهنداوي

بلا عنوان

ليلةٌ تمضي ، وماذا بعدها ؟ قُل لي ..
جبانٌ أنتَ ، قُل : « آخرُ ليلهْ »
لا تهدهد وجعي ، كفّاكَ من صخرٍ
وفي عينيك أعيادٌ ذليلهْ
... آه لا ! « ألحبُّ يمحو البعدَ :
ضماتٌ على البعد ، رسالاتٌ طويلهْ
وهدايا من كنوز الشرق »
عنواني ؟ ترى أين أكونْ ... ؟؟
ربما عدتُ لبَاريسَ ، لأحيي
ذكريات الجوع فيها والجنونْ :
شارع ، ليل ، مصابيحٌ ، سكونْ
وسكارى يعبرونْ ..
أترى أين أكونْ ؟
ربما عدتُ الى الكهلِ الحزينْ
علّهُ يغفر لي بعدَ سنينْ
سوفَ يأتيني بطفلٍ أتبنّاهُ
وأحيا زوجةً ، أمّا نبيلهْ
تمسحُ الامسَ سوى ذكرى جميله
يا حبيبي لا تقُل : « آخر ليله »
ملءُ عينيكَ وكفيك رياحينٌ ولينْ
ويقينُ الامس هل يُنسى وآثارُ اليقينْ
لطخٌ زرقاء في جسمي المهينْ .

★

ليلةٌ تمضي ، وماذا بعدها ربي
سوى بردٍ ، وجوع ، وجنونْ ؟
إنها آخرُ ليله !
إبتعد ، كفّاكَ من صخرٍ
وفي عينيكَ اعيادٌ ذليله

كيمبردج انكلترا **خليل حاوي**

صيحة الكفاح

كزهرة فريدة الوانهـا شـفق
تفجرت رواء
في التربـة السـوداء
نضالـك المجيـد يا وطـن
نضالـك المجيـد
من روحنـا .. من ارثنـا .. من هذه الحـقول
من عزمـة الفلاح
مـن وثبـة تحـررت .. طريقها كفـاح
من وحـدة رهيبـة كصيحـة القتـال
تفجـر النضـال
لتملـك القنـال
سـواعد سـمراء
تعيش في الظـلال
بعيـدة عـن فرحـة الضيـاء والحيـاه
... لكنهـا تثـور
في بعثهـا الجديـد
وتحمـل الاصرار والحـديد
لتهـدم السـدود
وتصـرع الطغـاه
وتحمـل السـلام والحيـاه
وفرحـة النجـاه
للزهـر .. للاطفـال .. للمحبـه
لزرقـة السـماء
فمرحبـا يا صيحـة الكفـاح
يا صوتنـا القـديم
يا ثأرنـا
يهم من « عرابي » « للاعسر » الشهيد
ترددي
ترددي يا صيحـة الكفـاح
ترددي .. ففي يـدي السـلاح
وفي دمي تاريخنـا الممزق الاليم
يزأر في احتـدام :
« ... يا ايهـا الابنـاء
اليـوم للفـداء
وفي غـد ستضحـك الفصـول
في هـذه الحقـول
وتصبـح الحيـاه
حيـاتكم
خصيبـة .. رخيـه
كمـاء نهـر النيـل .. »



القاهرة

كمـال نشأت



بين القصرين لنجيب محفوظ

قصة التمرد والثورة على الاستبداد

بقلم يوسف الشاروني

العمل الفني الكبير هو الذي يخصب ذهن المتذوق بحيث يولد لديه افكارا جديدة ويشارك فى عملية هي أقرب الى عملية الخلق ، وليس الاختلاف حول فهم العمل الفني معناه غموض هذا العمل دائما ، بل هو احيانا ما يكون دليلا على خصوبة هذا العمل بحيث يوحي بأكثر من فكرة واكثر من فهم .

والنقد المخلص الجاد ليس مجرد رصف جمل المدح والقدح ، التي لا يمكن ان تقابل بالاهتمام من كل مؤلف او قاريء يحترم نفسه وعقليته ، وليس هو ايضا ان تقف موقف الاستاذية والتعالي من العمل الفني ، لان ذلك من شأنه ان يجعل بيننا وبينه مسافة لا نستطيع عبورها ، وهذه الاستاذية هي التي تجعل الناقد يقع فى خطأ اذ يطالب فنانا عاش فى عصر ماض او بيئة أخرى بآراء واتجاهات وقوالب معاصرة او فى بيئة الناقد نفسه.

انما النقد هو ان نتتلمذ على العمل الفني وان نكون اصدقاء له ، ذلك لان محبتنا للعمل الفني هي الوسيلة الحقيقية لمعايشة الكاتب من داخل عمله ومن داخل بيئته بحيث نستطيع ان نساعد انفسنا ونساعد القاريء بل ونساعد الكاتب نفسه ان كان معاصرا على ان تتكشف جوانب العمل الفني ، وبذلك يكون النقد محاولة للفهم والكشف عن المعنى الانساني الكامن فى تطور العمل الفني من حيث هو قضية يعيشها اشخاص .

قصة « بين القصرين » (١) قصة اسرة عاشت فى الربع الاول من هذا القرن ، وتبدأ حوادث الرواية يوم « قبل العرش الامير احمد فؤاد او السلطان فؤاد كما سيدعى من الان فصاعدا ، وقد تم الاحتفال بتوليته اليوم فانتقل فى موكبه من قصر البستان الى سراي عابدين ... وسبحان من له الدوام « ص ١٣ »

وقد نقل هذا الخبر السيد احمد عبدالجواد تاجر البن والارز والنقل والصابون بالنحاسين ، وهو رب الاسرة التي تدور حولها احداث القصة، وهو ينقل الخبر الى زوجه امينة ، ونفهم من الحوار ان للسيد احمد عبد الجواد رأيا فى السياسة ، فهو معجب بموقف الامير كمال الدين حسين الذي ابى ان يعتلي عرش ابيه المتوفي فى ظل الانجليز ، وهو معجب بالالمان والترك وافندينا عباس لان كل هؤلاء يحاربون الانجليز كما نفهم ان زوجه امينه لا تكاد تعرف شيئا عن العالم الخارجي وما يصطخب فيه من امور سياسية ، وهي لا تهتم بانباء هذا العالم الا للسرور الذي يبعثه فيها ما تجده فى حديث بعلها معهـا فى هذه الشؤون الخطيرة من لفتة عطف تزدهيها ، والى ما فى الحديث نفسه من ثقافة يلذ لها ان تعيدها على مسمع من ابنائها وخاصة فتاتيها اللتين تجهلان مثلها العالم الخارجي جهلا تاما .

ومن تكرار القول ان نقول بان نجيب محفوظ هو انشط كتاب القصة المصرية الذين استطاعوا ان يعبروا عن الطبقة الوسطى فى كل ما كتب من روايات عصرية ــ كما يحلو له ان يسميها ــ غير ان ما يميز « بين القصرين » انها تتناول موقف هذه الطبقة فى نهاية الحرب العالمية الاولى حتى تنتهي بموت احد افرادها وهو يشترك فعلا فى الثورة المصرية عام ١٩١٩ ، بينما كانت جميع قصصه الاخرى وهي «القاهرة الجديدة » و « خان الخليلي » و « السراب » و « زقاق المدق » و « بداية ونهاية » تتناول تصوير هذه الطبقة بعد المعاهدة التي تمت بين الوفد والانجليز عام ١٩٣٦ . وهي الروايات التي لوحظ بحق انها تنتهي دائما بكارثة معبرة بذلك عن مأساة افراد الطبقة الوسطى فى تلك الفترة ، الذيـن كانوا يحسون ان حياتهم وصلت الى مأزق ، وقصة « بين القصرين » تنتهي بموت فهمي ، ولكن ما اعظم الفرق بين هذا اللون من المـوت الذي هو فى حقيقته انتصار ، وبين موت عباس الحلو فى « زقاق المدق » او نفيسـة وحسنين فى « بداية ونهاية » الذي هو اعلان واضح للهزيمة واليأس .

ونجيب محفوظ لا يقصد قصدا واعيا الى بث فلسفة معينة فيما يكتب ، على النحو الذي يفعله كتاب الاشتراكية او الوجودية اليوم ، بـل انه ليتعمد ذلك لانه يخشى ان تطغى الفلسفة على الاحداث فتوجهها توجيها مزيفا ، ولهذا لا يتبع الا احساسه العام بمصريته وبمشاكل الطبقة الوسطى فى المجتمع المصري والارتفاع بهذه المشاكل الى المستوى الانساني ، تعينه على ذلك ثقافته العامة وخبرته الفنيـة ودأبه وجهده واخلاصه لنفسه ، وهذه هي حدود الواقعية الفنية كما يتشبث بها نجيب محفوظ .

والمعروف ان هناك رأيين فى النقد الفني ، احدهما يرى ان وجـود فلسفة معينة يعي بها المؤلف ويهدف الى تحقيقها خلال عمله من شـأنه ان يرتفع بالمستوى الفكري للعمل الفني ، بينما يرى الرأي الآخر ان العمل الفني هو تعبير عن انفعالات الانسان فى مختلف صورها خـلال المجتمع والتاريخ ، وهذه الانفعالات لا تخضع ولا يجب ان تخضع لفلسفة معينة سابقة فى ذهن الكاتب ، ولعل هذه صورة من صور مشكلة الادب الهادف . وان كان الرد على ذلك بان لكل كاتب فلسفة يعبر بها عـن

(١) هي احد اجزاء ثلاثة من ملحمة نثرية كانت هي آخر ما انتجه نجيب محفوظ . وان عظمة هذه الملحمة ترشح المؤلف لكي ينال بكل جـدارة جائزة الدولة للادب فى مصر هذا العام . اما هذا البحث فقد القـي كمحاضرة فى « نادي القصة » بالقاهرة خلال شهر ابريل الماضي .

وعي او عن غير وعي فى عمله الفني ، ولهذا فان لم يعلن الكاتب عن فلسفته التي يبثها خلال عمله الفني، فان مهمة النقد ان تكشف وان تستخلص هذه الفلسفة . وهذه هي احدى مهام النقد الرئيسية التي طبقت على الاعمال الفنية فى مختلف العصور ، فساعدتنا على تفهم أوديب ودون كيشوت وفاوست وهاملت والارض الخراب . وقد اوضحت هذه المهمة ان الرسالة التي يريد ان يبلغها الكاتب للناس هي التي تفرق بين عملين ناجحين من الناحية التكنيكية ، هي التي تفرق بين رواية بوليسية ورواية لجوركي او سارتر .

ولهذا فان علينا ان نتساءل : ماذا يريد نجيب محفوظ ان يقول للناس من خلال عمل بذل فيه هذا المجهودالكبير؟

فاذا تتبعنا قصة « بين القصرين » وجدنا ان نجيب محفوظ يريد ان يصور لنا فترة تاريخية من حياة مصر . وهو يؤرخ اولا للحياة الاجتماعية للطبقة الوسطي فى ذلك الوقت ، وصلاتها البعيدة والقريبة بالتطورات السياسية ، ومن الملاحظ انه اختار فترة تحول تاريخي فى حياة مصر تتغير فيها القيم الاجتماعية والاوضاع السياسية وتعبر عن روح الكفاح التي يضطرم بها شعب مصر ضد مستعمريه . هذا هو الظاهر العام لقصة بين القصرين ، ولكن اذ تمعننا فى تسلسل احداث القصة وجدنا انها تعبر عنالتآزر التام بين التمرد على استبداد الاب فى اسرة الطبقة الوسطى المحافظة ، والثورة على استبداد الاستعمار بالمصريين ، مما يمهد لتغير القيم فى الحياة المصرية فيما بعد، وبالتالي فى الاجزاء المقبلة من«بين القصرين»وهما«قصر الشوق»و«السكرية».

فالسيد احمد عبد الجواد نموذج لرب الاسرة فى المجتمع الابوي ، بل انه يذكرنا بالاب القبلي الذي تحدث عنهفرويد فى كتابه و «التوتم والتابو» فهو يحرم على زوجته وبناته واولاده أي لون من الحرية ــ لاسيما الحرية الجنسية ــ بينما يبيح ذلك لنفسه .

لهذا كان للسيد جانبان ، جانب يظهر به فى بيته ، هو جانب المحافظة ، وهو فى ذلك يمثل اخلاق الطبقة الوسطي المصرية فى ذلك الوقت ، وان كان تمثيلا مغاليا متشددا عما كان سائدا فى وقته باعتراف المؤلف نفسه الذي يشير الى ذلك كلما أتيحت الفرصة ، وجانب متحرر تمثله سهراته مع اصدقائه التجار ، وهو فى ذلك يخرج عن تقاليد التجار من الطبقة الوسطي . ونحن نعثر على ذلك الايضاح فى الجزء التالي من قصة بين القصرين اي فى قصة « قصر الشوق » حين يتحدث جميل الحمزاوي وكيل السيد احمد قائلا « لو كنت اتخذت من التجار خلقهم كما اتخذت حرفتهم ، لكنت الآن من كبار الاغنياء (قصر الشوق ص ١٢٩) . ولكن اخلاق الطبقة الوسطى ما تزال ممثلة فى حرص السيد احمد عبد الجواد على مظهر الرجل الحازم المتدين يبدو به امام آل بيته وجيرانه رغم وجود هذا الجانب الخفي المرح فى حياته « فشانه شأن الطبقة الوسطى يستميت فى سبيل المحافظة على المظهر وان خالف الباطن ، فلا الناس يعرفون السيد الذي يقيم فى بيته ولا اهل البيت يعرفون السيد الذي يعيش بين الناس » (صفحة ٣٤) ولعل هناك صلة نفسية بين جو المحافظة الشديدة الذي يحرص عليه فى بيته والتحرر الاخلاقي فى الخارج ، باعتبار ان احدهما رد فعل نفسي للاخر .

والسيد احمد عبد الجواد ــ مثل السلطة السياسية فى البيت على حد تعبير المؤلف ص ٢٦٦ ــ يحاول ان يفرض نظامه وصرامته على زوجه امينة وابنتيه خديجة وعائشة وابنائه الثلاثة ياسين كاتب مدرسة النحاسين ، وفهمي الطالب بالحقوق ، وكمال الطالب الصغير بمدرسة خليل اغا . والسيد احمد عبد الجواد بالنسبة لهؤلاء جميعا اشبه بالانا الاعلى الصارم الذي لا يتسامح مع صاحبه لحظة واحدة ، ولكنه لقسوته وصرامته لا يستطيع ان يحتفظ بسيطرته دائما ، ولا على جميع الافراد بدرجة واحدة . ولئن كان البعض يمتص اراءه ويتعصب لوجهة نظره ، الا ان الاكثرية تتمرد عليه تمردا خفيا احيانا ، صريحا احيانا اخرى .

واول لون من الالوان التمرد على هذا السلطان هو تمرد عائشة الاخت الصغرى التي تفوق جمالا اختها خديجة ، وذلك حين تتبادل نظرات الغرام منخلال نافذتها مع ضابط البوليس الشاب اثناء مروره بالطريق، ولكنها تفعل ذلك وكأنها تقترف جريمة دامية (ص ٣٢) فلا تدري « أيجمل بها ان تقلع عن مغامرتها أم تتمادى في مطاوعة قلبها ، كلا الحب والخوف شديد » . ولكن هذا التمرد مايلبث أن يتلاشى ، لاسيما عندما تكتشفه اختها الكبرى خديجة وتقف منها موقف الاب صارمة محذرة (ص١٢٧) .

والابن الاكبر ياسين ثائر على طريقته ، فهو يثور على صرامة ابيه عن طريق مغامراته الجنسية « والحق ان عنف ابيه المعهود ، ولو انه اعتوره تغير ملموس منذ ان انخرط الفتى فى سلك موظفي الدولة الا انه لم يزل فى فطره نوعا من العنف الملطف بالكياسة فلم يزايل الموظف خوفه القديم الذي يملأ قلبه وهو تلميذ، وما ان ابتعد عن دكان ابيه وصار بمنجى عن عينه حتى استرد خيلاءه وعادت عيناه الى الذبذبة غير مفرقة بين الهوانم وبائعات الدوم او البرتقال، اذ كان العفريت الذي يركبه مولعا بالنساء كافة » (ص ٦٣) .



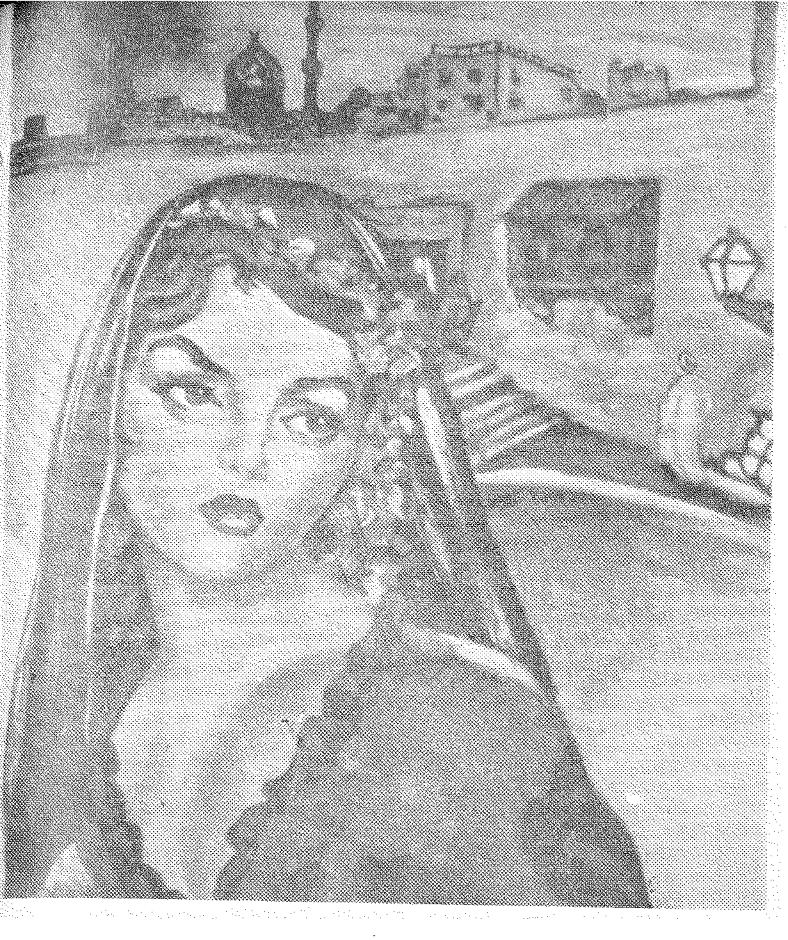
نجيب محفوظ

والواقع ان ياسين ورث من أبيه جانب الشهوة دون أن يجمع معها جانب الكرامة ، فالسيد عبد الجواد نجح في التوفيق بين الحيوان المتهالك على اللذات وبين الانسان المتطلع الى المبادىء العالية توفيقا ائتلافيا ... كما وفق من قبل في الجمع بين الدين والغواية في وحدة خالية من الاحساس بالذنب والكبت معا (ص ٢٠٠) .

وعندما اكتشف ياسين أنه لايفعل الا مايفعله أبوه لم يشعر بارتياح فحسب ، ولكنه فرح فرحة فاقت كل تقدير ، وذلك لانه كأكثر الغارقين في الشهوات المحرمة ــ يستأنس الى الشبيه ، فكيف اذا وجد « في شخص أبيه ــ القدوة التقليدية ــ الذي طالما ازعجه بشعور وبلا شعور ، أن يجد نفسهواياه على طرفي نقيض » (ص ٢٢٣) . وقالياسين لنفسه « هنيئا لك ياوالدي، اليوم اكتشفتك ، اليوم عيد ميلادي معنفسي»

ولم تكن حياة ياسين الجنسية من اعتدائه على خادمة الاسرة أم حنفي ، الى ملله من زوجه زينب ، الى اعتدائه على خادمتها نور ، الى مرافقته لجارته الست أم مريم ، ثم زواجه بابنتها مريم ومللـه منها، ثم زواجه بزنوبة العوادة، الا صورا متكررة لشخصية ثابتة لاتتطور.

وحين اكتشف السيد أحمد عبد الجواد أن ابنه ياسين يسهر الى الفجر ويعود سكران ، اعترف قائلا : « ان وراء ارادتنا دنيا وشياطين تهزأ من تصميمنا وتفسد علينا نوايانا الطيبة » (ص ٣٥٨) بل انه لايخفى ارتياحه الى ذلك « ثم عاد الى ياسين سريعا فراح يفكر ــ بباطن



مبتسم ـ في الطبيعة الواحدة التي تجمع بينهما .. كم يلذه ان يرىنفسه متزعرعة من جديد في حياة ابنائه ؟ على الاقل في ساعات الهــدوء والصفاء » (ص ٣٤٤) .

وبهذا الاكتشاف المتبادل من جانبي الابن وأبيه نستطيع ان نقول ان هذا اللون من التمرد قد انتهت أهميته ودلالته ، وهذا واضح حــين حاول ياسين أن يتمرد على تقاليد والده حين خرج مع زوجه زينب لقضاء سهرة عند كشكش بك ، ذلك انه مالبث أن عدل عن هذه المحاولة الثورية عندما خاطبه أبوه متوعدا « لهذا البيت قانون انت تعرفه فوطن نفسك على احترامه مارغبت في البقاء فيه .. » (ص ٢٧٩) .

واخيرا سنحت الفرصة كي « يشترك الجميع ـ وهم لايدرون ـ في الثورة على ارادة الاب » (١٤٨) وذلك عندما سافر السيد احمد عبد الجواد الى بور سعيد في مهمة تجارية ، واتفق ان سافر الرجل صباح الجمعة فجمعت العطلة الرسمية بين أفراد الاسرة وتجاوبت رغباتهم الظمأى الى الحرية في الجو الطليق الآمن الذي خلفه على غير انتظار رحيل الاب عن القاهرة كلها ، بيد ان الام كانت تحرص ان تلتزم الاسرة ـ في غياب الاب ـ الحدود التي تلتزمها في حضوره خوفا من مخالفته أكثر منها اقتناعا بوجاهة شدته وصرامته (ص ١٤٨) . ولان الام بدت تخشى مخالفته ولا تقتنع بوجاهة شدته وصرامته ، فقد شاركت في الثورة بل أصبحت بطلتها وهكذا بدت زيارة الحسين « عذرا قويا ـ له صفة القداسة ـ للطفرة اليسارية التي نزعت اليها ارادتها ، ولكنهـا لم تكن وحدها التي تمخضت عنها نفسها اذ لبت دعاءها في الاعماق تيارات حبيسة متلهفة على الانطلاق » (ص ١٤٧) .

وبهذه الثورة الواضحة تخرج القصة من رتابتها التسجيلية الاولى وتشيع فيها الحركة والحياة ، فأمينة ما تلبث ان تعترف بنفسها للسيد بأمر هذا الخروج الغريب على طاعته ونظامه ، فما يلبث أن يأمرها ـ بعد خمسة وعشرين عاما عاشاها معا ـ بالنفي الى منزل أمها ، ويضرب ياسين كف بكف وهو يقول محتجا « ان رجالا غيورين مثله منهــم اصدقاؤه لا يرون بأسا بالسماح لنسائهم بالخروج كلما دعت ضـرورة أو مجاملة ، فما باله يقيم من البيت سجنا مؤبدا » (ص ١٦٩) مما يبرهن على أن السيد احمد عبد الجواد كان يمثل صورة متطرفة من محافظة الطبقة الوسطى . حتى الصبي الصغير كمال شارك في هذه الثورة ، وذلك عندما افتقد أمه في المنزل فعرج على دكان ابيه ولــم يستطع أن يفصح له عن سبب مجيئه « وتحرك السيد عن مكانــه ليدخل ، ولكن عاودت الغلام الحياة بمجرد تحول ابيه عن عينيه وصاح بلا شعور قبل أن يغيب الرجل وتضيع الفرصة : « رجع نينة اللــه يخليك » وأطلق ساقيه للريح » (ص ١٩٠) .

وأقبلت حرم المرحوم شـوكت لتتوسط في عودة أمينـة وتعلـن في الوقت نفسه اختيارها لعائشة لتكون زوجا لابنها خليل . وهكذا عادت الام ، وهكذا تلاشت أيضا آخر مظاهر التمرد الذي أبداه فرد ثالث من أسرة السيد أحمد عبد الجواد .

بل ان أمينة تمتص اراء السيد حتى لتستنكر على ابن زوجها ياسين أن يسهر مع زوجه زينب عند كشكش بك « عابت هذا السلوك امرأة أمضت عمرها حبيسة وراء الجدران ، امرأة دفعت صحتها وسلامتها ثمنا لزيارة بريئة لزين آل البيت لا لكشكش بك ، فمازج انتقادها الصامت شعور طافح بالمرارة والغيظ وكأن منطقها غدا يردد فيما بينها وبــين نفسها اما ان تنال الاخرى الجزاء أو فلتذهب الحياة هباء » (ص ٢٧٥)

وكذلك عندما غضبت زينب حين ضبطت زوجها ياسين مع خادمتها نور فان امينة « لم تكن تقرها على غضبتها لكرامتها فعدتهاتدللا أثار استياءها ، وجعلت تتساءل كيف تدعي لنفسها من الحقوق مالم تدعه امرأة قط ؟ » (ص ٣٤٦) .

على أية حال فان احداثا مثل تلصص عائشة من خلف خصــاص النافذة تتطلع الى الضابط الشاب ، وخروج الام لزيارة الحسـين ، انما هي المحاولات الاولى التي كانت تقوم بها نساء هذه الطبقة على الوضع الذي كان يجعل من البيت سجنا لهن ، هذه المحاولات التي انتهت في « قصر الشوق » ـ والذي تقع حوادثه بعد خمس سنوات فقط من وقوع حوادث « بين القصرين » ـ انتهت بحق امينة في الخروج لزيــارة الحسين كلما ارادت « كيف كانت زيارة الحسين لديها امنية في حكم المستحيل ، ها هي اليوم تزوره كلما زارت القرافة او السكرية (حيث بنتاها المتزوجتان) ولكن ماأفدح الثمن الذي دفعته نظير هذه الحرية الضئيلة » (ص ١٦٥) نعم انها حرية ضئيلة لكنها مكسب ، وقد حصلت عليها فعلا نتيجة لشكها في ابنها فهمي ولكنها حصلت عليها على أيــة حال ، وهذه المحاولات نفسها هي التي انتهت اليوم باندفاع نســاء الطبقة الوسطى الى الجامعة ومنها الى مختلف المهن .

أما الثورة الحقيقية على الاستبداد الابوي ، فتأتي من فهمي ، الابن الثاني الطالب بكلية الحقوق ، وهي تمتاز بانها ليست ثورة منعزلــة فردية كثورة عائشة أو ياسين أو أمينة ، بل هي ثورة مرتبطة بثورة المصريين ضد الانجليز الذين يمثلون الاستعمار والاستبداد ، فلا عجب أن فهمي الثائر على استبداد الانجليز بالمصريين يثور بالتالي علــى استبداد والده به لا سيما اذا كان يقف في سبيل ثورته الوطنية .

فالحرب تنتهي وقد كسبها الانجليز والسلطان فؤاد ، ثم يقبل فهمي ذات يوم ليسأل ياسين باهتمام : الم تبلغك انباء جديدة ؟ وهنا ينضح

الفارق بين ياسين وفهمي ، ياسين مشغول بزواجه الذي انقلب بعد أشهر شربة زيت خروع ، وفهمي مشغول بالوفد المصري المكون من سعد زغلول باشا وعبد العزيز فهمي بك وعلي شعراوي باشا وكيف توجهوا الى دار الحماية وقابلوا نائب الملك للمطالبة برفع الحماية واعلان الاستقلال (ص ٢٨٥) . ويحس فهمي بأنه في حاجة الى « وطن جديد ، وبيت جديد ، وأهل جدد ، ينتفضون جميعا حيوية وحماسة ، ولكن ماأن يفيق على هذا الجو الخانق من الفتور والسذاجة وعدم المبالاة حتى تشب بين اضلعه نار الحسرة والالم .. فيود ان يجد نفسه مرة اخرى في جمع الطلاب من اخوانه فيروي ظمأه الى الحماس والحرية » ص ٢٨٩ .

ومن خلال المعركة يتطور فهمي في علاقته بالعالم الخارجي وبأبيه « لقد حي في الايام الاربعة الاخيرة المنطوية حياة عريضة لم يكن له بها عهد من قبل .. حياة تجود بنفسها عن طيب خاطر في سبيل شيء باهر أثمن منها وأجل » (٣١٩) . على ان شيئا ما ماينفك يعطل اندفاعه قليلا وذلك حين يعلم والداه بجهاده ، فما عسى ان يفعل معه استبداد أبيه وحنان امه ؟ وهكذا يواجه فهمي معركة عملية خارج البيت ومعركة نفسية داخل البيت ، وما يلبث ايمانه أن يتغلب لان هذا الايمان «أقوى من الموت وأشرف من الذل » (ص ٣٢٠) .

وعندما اكتشف ابوه انه يشترك مع المجاهدين في كفاحهم ضد الانجليز حاول ان يفرض سيطرته عليه كما فرضها من قبل على امينة وعائشة وياسين ، ولكن فهمي رفض ان يمتد استبداد أبيه الى هذا الحد ، ولتكن ثورة على الاستبداد ، ايا كان ، في الوطن أو في البيت ! ولجأ اولا الى التمرد المقنع ، الى الكذب « لم يكن الكذب في هذا البيت بالرذيلة المحزنة ، ولم يكن في وسع أحد منهم ان يتمتع بالسلامة في ظل الاب دون حماية من الكذب ، وهم يجاهرون فيما بينهم وبين أنفسهم بل يتفقون عليهم في الموقف المحرج ، وهل كان في نية الام يوم تسللت في غيبة السيد الى زيارة الحسين أن تعترف بفعلتها ؟.. وهل كان في وسع ياسين ان يسكر وهو (أي فهمي) ان يحب مريم ، وكمال ان يتعفرت بين خان جعفر والخرنفش بلا حماية من الكذب ، ليس الكذب مما يتورع عنه أحد منهم ، ولو انهم التزموا الصدق مع ابيهم ماذاقوا للحياة طعما » (ص ٣٧٥) .

ولكن أباه ما زال يضيق عليه الخناق حيث لا يستطاع الكذب ، فلا بد اذن من الافصاح عن الثورة ، وهكذا رفض ان يقسم على المصحف الذي قدمه له ابوه بأن يقطع كل صلة بينه وبين الثورة .

ولكن الثورة ماتلبث أن تصل الى السيد أحمد عبد الجواد نفسه ، فالطبقة الوسطى لاتستطيع أن تعزل نفسها عن الكفاح الوطني حتى ولو لم تكن هي التي بدأته ، بل هي تشارك فيه بارادتها كما شارك فهمي او بالرغم منها كما شارك السيد نفسه « لم يكن شيء في السماء ولا في الارض قد خرق المألوف مما اعتاد السيد ان يراه كل يوم ، ولكن نفس الرجل ، والانفس الموصولة بنفسه ، وربما انفس الناس جميعا ، تعرضت لموجة عاتية من الانفعال والشعور خرجت بها عن طورها او كادت حتى قال السيد انه لم تمر به ايام كهذه الايام اجتمع الناس فيها حول نبأ واحد وخفقت قلوبهم باحساس واحد » (ص ٢٩٠) .

ولا يلبث السيد محمد عفت ان يحمل الى صديقه السيد احمد عريضه يوقعها هو وغيره من التجار يوكلون فيها سعدا للتكلم مع الانجليز باسم الامة « ووقع السيد بامضائه في سرور تجلى في تألق عينيه الزرقاوين » (ص ٢٩١) . ولكن السيد احمد مايزال يعبر عن الحياد الدقيق الذي يحاول أن يقفه معظم افراد الطبقة الوسطى من القضايا السياسية . فقد « قنع دائما من وطنيته بالعاطفة والمشاركة الوجدانية دون الاقدام على عمل يغير وجه الحياة الذي آنس اليه فلا يرضى عنه بديلا ، لذلك لم يدر بخلده يوما ان ينضم الى لجنة من لجان الحزب الوطني على شدة تعلقه بمبادئه ، ولا حتى ان يجشم نفسه شهود اجتماع من اجتماعاته .. ليكن اذن وقته خالصا لحياته ، وللوطن مايشاء من قلبه وعواطفه وماله » (ص ٢٩٣) . ثم يضيف المؤلف قوله « لم يتصور ان الوطنية يمكن ان تطالبه بأكثر مما يجود به » اي ان المؤلف يعبر لنا عن خلافه مع رأي بطله ، ممهدا بذلك الى ان الاحداث المقبلة سترغمه على ان يتجاوز هذه الدرجة القنوعة من المشاركةالوطنية .

وعندما تبلغه انباء سعد يصيبه الحزن والوجوم ، وسرعان ما يستولي اليأس عليه هو واخوانه من فئة التجار وكأنما سعد قد انتهى بنفيه «رجل ولا كل الرجال ، بعث لحظة من الحياة باهرة ومض كالحلم وسوف ينسى فلا يبقى منه الا ما يبقى من حلم عند الضحى » ويفسر لنا المؤلف هذا اليأس ، لانه اقترن في ذهنهم بنفي افندينا الذي لم يعد (ص ٣١٤) أي ان هؤلاء التجار يتصورون ان ما حدث مرة لا بد وان يتكرر مرة اخرى ، ولا اختلاف بين حدث وآخر .

وهكذا شارك احمد عبد الجواد في الحدث العام ، وهكذا خرجت اسرته من قوقعيتها وكان لهذا تأثيره في العلاقات الداخلية في تركيب هذه الاسرة ، فان فهمي الذي « يلوذ بالصمت بين يدي والده ما لم يبدأه هو بالحديث نقل اليه في اسهاب ما اتصل بعلمه عن مقابلة سعد لنائب الملك » (ص ٢٩٠) . ومن خلال كمال يعرض نجيب محفوظ الاستجابات المختلفة لافراد الاسرة الواحدة لهذا الحدث العام « فبينما يجد فهمي ثائرا يحمل على الانجليز بحنق .. اذا بياسين يناقش الاخبار في اهتمام رصين مشوب بأسف هادىء لا يمنعه من مواصلة حياته المعتادة ، ثم السهر حتى منتصف الليل ، اما امه فلا تكف عن دعاء الله ان ينشر السلام .. ويصفي قلوب المصريين والانجليز جميعا ، والادهى من كل اولئك زينب زوجة اخيه التي افزعتها الاحداث فلم تجد من تصب عليه غضبتها الا سعد زغلول نفسه متهمة اياه بأنه سبب هذا الشر كله ، وانه لو عاش كما يعيش عباد الله في دعة وسلام ، ما تعرض له احد بسوء ولا اشتعلت تلك النيران .» (ص ٣٢٢) .

في هذه الفقرة نجد نجيب محفوظ يحرص على ان يلتقط الحدث من كل زواياه ، معبرا عن فكرته عن الواقعية ، فليس ابطاله كلهم متحمسين للقضية الوطنية ،فهذه مثالية بعيدة عن الواقع ، وليس ابطاله كلهم منصرفين او ثائرين على الحركة الوطنية ، فهذا ايضا مجافاة للواقع ، ان نجيب محفوظ حريص على ان يلتقط الواقع من كل زواياه بل وان يحتفظ بالتوازن الهندسي في لقطاته ، ففهمي في اقصىالطرف ثائر حانق على الانجليز ، مشارك في الثورة مشاركة فعالة ، وزينب في اقصى الطرف الآخر تصب غضبتها على سعد زغلول ، وبين هذين الطرفين توجد درجات من الحماس ، وهناك كمال او الكاميرا التي يمسك بها نجيب محفوظ لتسجل زوايا المشهد جميعها .

ولكن المشهد متطور ، فالحدث العام يزداد اقترابا من هؤلاء الاشخاص ، فقد عسكر الانجليز امامهم ، ولهذا فان الام تجزع بدلا من مجرد الدعاء لله ان تصفو قلوب الجميع ، واضطرت زينب ان تقول « ربنا على اولاد الحرام » وازدادت جرأة فهمي على مناقشة ابيه عندما امره بعدم فتح

باب المنزل وعدم خروج أي شخص . اما ياسين فانه برتكب في تلك الليلة جريمته الجنسية الجديدة مع نور خادمة زوجته .

وامينة تمثل اكثرية الامهات في الطبقة الوسطى ، اللاتي يقفن من مشاركة ابنائهن في الكفاح الوطني موقف المثبط والمعطل ، وهكذا تطلب من ابنها فهمي الا يبدي كراهيته للانجليز ان كان يحبها ، فهي تعرقل كفاحه الوطني بربطه اليها بروابط عاطفية نفسية غير منطقية ، وان الام في مختلف روايات نجيب محفوظ موضوع جدير بالدراسة في « بداية ونهاية » وفي « السراب » وفي « زقاق المدق » وفي « كفاح طيبة » وفي « بين القصرين » ، ولكننا مهما تتبعنا الام عند نجيب محفوظ لا نستطيع ان نجدها متطورة على النحو الذي صوره لنا غوركي مثلا ، لان نجيب يتحدث اولا عن امهات الطبقة الوسطى ، ولانه يضفي ثانيا على واقعيته احيانا صفة الاغلبية الديموقراطية ، فهو يريد لبعض اشخاصه ان يمثلوا الاغلبية ، ويرى فى الام كما صورها غوركي تعبيرا عن الاقلية في عالم الامهات ، ولهذا فهي تنحرف عن الواقعية كما يراها ، ولكن هذا الفهم للواقعية من شانه ان يعطل عمل الرؤيا لدى الفنان ، لان اختيار النموذج الذي يختلف عن الاكثرية ويتقدم عصره الذي يكون نادرا في الحاضر ، عاما في المستقبل ، هو لون من الوان النبوة التي يوهبها الفنان والتي عليه ان يجيد استغلالها ليضفي على عمله ميزة استشفاف المستقبل الى جانب الكشف عن الواقع الذي خلق مثل هذا النموذج .

وهذا هو الفارق بين « عودة الروح » لتوفيق الحكيم وقصة « بين القصرين » فكلتا الروايتين وقعت احداثهما اثناء الثورة المصرية عام ١٩١٩ ، ولكن « عودة الروح » وان كتبت عن تلك الثورة بعد وقوعها ، الا انها تحمل روح النبوة بالنسبة لكفاح الشعب المصري فيما تلا ذلك من احداث ، حتى وجدنا اخيرا من يقتبس فقرات منها ويبرهن بها على

ان توفيق الحكيم كان يتنبأ فيها بالتغيرات التي مرت بها مصر بعد كتابتها بنحو ربع قرن .

بهذا الفهم للواقعية يكشف لنا نجيب محفوظ عن موقف الحياد الدقيق الذي تقفه اغلبية الطبقة الوسطى من الكفاح الوطني ، وذلك عندما صور موقف السيد احمد عبد الجواد من ابنيه ، ابنه ياسين الذي اتهم بالخيانة في الجامع حتى كادت ان تتلفه النعال ، وابنه فهمي الذي اكتشف ابوه في تلك اللحظة انه عضو في اللجنة الثورية للطلبة ولولاه ما تم انقاذ اخيه من نعال المصلين .

فاحمد عبد الجواد يستنكر كيف يتهم الناس ابنه ياسين بالخيانة ، ثم هو غاضب على ابنه « هذا الثور ابن المرة لن يعفيك ابدا من متاعبه .. لا بد ان يسامر الانجليز كي ادفع انا الثمن للسفلة المتهجمين » (ص.٣٧٠) لكنه لا يلبث ان يقول لنفسه « ليس ياسين وحده المذنب ، ليس وحده الذي يتحفه بالمتاعب ، فهنالك البطل ويعني به فهمي ، وهكذا « انتهى دور الخونة وجاء دور المجاهدين » (ص ٢٧١)، على حد تعبير ياسين ، وكأنما يريد المؤلف بذلك ان يقول ان الطبقة الوسطى قد يوجد فيها من يتهمون بالخيانة امثال ياسين ، وقد يوجد فيها مجاهدون امثال فهمي، ولكن اغلبها يقف موقف السيد احمد عبد الجواد « انه لا يحتقر المجاهدين ، وهو ابعد ما يكون عن ذلك ، طالما تابع انباءهم بحماس ودعا لهم عقب كل صلاة بالتوفيق ، طالما ملاته اخبار الاضراب والتخريب والمعارك املا واعجابا » (ص ٣٧٢) ولكن الامر يختلف كل الاختلاف اذا صدر عمل من هذه الاعمال عن ابن من ابنائه كأنهم جنس قائم بذاته خارج نطاق التاريخ .. الثورة واعمالها فضائل لا شك فيها ما دامت بعيدة عن بيته .. فاذا طرقت بابه وتهددت امنه وسلامه وحياة ابنائه ، تغير طعمها ولذتها ومغزاها وانقلبت هوسا وجنونا وعقوقا وقلة ادب ، فلتشتعل الثورة في الخارج وليشارك هو بقلبه كله وليبذل لها كل ما في وسعه من مال .. وقد فعل ، ولكن البيت له وحده دون شريك ومن تحدثه نفسه فيه بالاشتراك فى الثورة فهو ثائر عليه هو لا على الانجليز، انه يترحم ليل نهار على الشهداء ويعجب كل الاعجاب بالشجاعة التي يتذرع بها آلهم فيما يروي الرواة ، ولكنه لن يسمح لابن من ابنائه ان ينضم الى الشهداء ولا تطيب نفسه بهذه الشجاعة التي يتذرع بها آلهم .. انزعج الرجل انزعاجا لم يشعر بمثله من قبل ، فاق انزعاجه في مازق الجامع نفسه » (ص ٣٧٣) أي ان انزعاج السيد من اخبار جهاد ابنه فهمي فاق انزعاجه من اخبار خيانة ابنه ياسين ، فحاول ان يخيف ابنه من عواقب عمله حتى صاح به في لحظة قائلا « انا اسلمك بنفسي الى البوليس » .

وهكذا يكشف لنا نجيب محفوظ عن صورة من صور الخوف الذي يملأ قلب الاب على ابنه وعن صورة من صور الآباء في الطبقة الوسطى الذين يبلغ بهم الخوف على انفسهم ان يشوا بابنائهم الى البوليس فهم لا يريدون خيانة ولا تضحية ، بل مجرد تأييد عاطفي لا نفع منه اذا جد الجد .

ولكن نجيب محفوظ ما يزال مخلصا لواقعيته ، فهذا التهرب من مسؤولية الكفاح لا يعفي اصحابه من الاشتراك فيه بدورهم ولو على الرغم من ارادتهم ، انهم يحسبون ان الامر اختياري ، يمكننا ان نخون او نؤيد ، يمكننا ان نشترك بعواطفنا واموالنا او نشي الى البوليس بأبنائنا واخواننا او لا نكترث اطلاقا ، لكن الحوادث ما تلبث ان تثبت ان الامر ليس باختيارهم تماما كما يحبون ان يتوهموا ، وان الاحداث

تدفعهم دفعا الى جانب دون آخر ما داموا لم يستخدموا حرية الاختيار التي اتيحت لهم ، فالسيد احمد عبد الجواد مصري وليس انجليزيا ، مستعمَر وليس مستعمِر ، ولهذا فهو يجد نفسه اولا امام ابنيه اللذين لم يكن يعلم عن تصرفاتهما شيئا فيصيح « يا اولاد الكلب .. الله يقطع الاولاد والخلف والبيوت » (ص ٣٧٠)« لماذا تسوقني قدماي الى البيت ؟ لم لا اتناول لقمتي بعيدا عن الجو المسموم ؟ » ان احمد عبد الجواد يحاول التهرب عندما يجد الاحداث تضيق عليه شيئا فشيئا ، وهو لا يحاول التهرب هذه المرة من الثورة التي شبت في شوارع المدينة بل هو يحاول التهرب من الثورة التي تسربت الى بيته .

غير ان الاحداث ما تلبث ان تمسك بتلابيبه هو ، لا مفر للطبقة الوسطى ان تهرب من الثورة في شوارع المدينة الى حجرات بيوتها ، ولا من حجرات بيوتها الى مكان خيالي بعيد ، حتى ولو كان السيد احمد عبد الجواد يلهو اثناء هذه الاحداث الدامية في منزل جارته الست ام مريم حتى منتصف الليل ، وكأنما نجيب محفوظ يريد ان يقول ان اللهو نفسه هو الذي عرضه للوقوع فى ايدي الانجليز ، كالفأر الذي يعدو بأقصى سرعته ليجد نفسه في فم الثعبان، فلولا سهره حتى منتصف الليل ما وقع في ايدي الجند الانجليزي وهو خارج في طريقه الى بيته ، وقد امره الجندي بأن يتبعه فركبه الفزع حتى « طارت الخمر وطار عقله » (ص ٣٩٤) ما اعظم التناقض بين اللحظة التي كان يعيشها منذ دقائق وبين اللحظة التي يعيشها الآن ، ومع ذلك فان احداهما افضت الى الاخرى .

وجعل يتساءل « فيم القبض عليه ؟ لا هو من الثوار ولا هو من المشتغلين بالسياسة ولا حتى من الشبان ، فهل يطلعون على الافئدة ويحاسبون المشاعر ، أو تراهم يعتقلون افراد الشعب بعد ان فرغوا من اعتقال الزعماء » (ص ٣٩٤) وهكذا يدرك الرجل الذي تهرب من المشاركة الجدية في الكفاح وحاول ان يثني ابنه عنه ولو بابلاغ البوليس ، يدرك ان هذا جميعه لا يعفيه من تحمل نصيبه هو شخصيا ، حتى ليتساءل عما اذا كانوا يطلعون على الافئدة ويحاسبون على المشاعر ، بل انه تذكر فى تلك اللحظة ابنه فهمي ــ الذي هدده بابلاغ البوليس عنه ــ واعلن حاجته اليه لو كان يعرف الانجليزية ليسأل آسره :.. اين فهمي ليحادثه نيابة عنه ؟ .. وخزه الالم والحنين ، اين فهمي وياسين وكمال وخديجه وعائشة وامهم » (ص ٣٩٤) الآن عندما دفع الى المعركة لم يعد يدعو الله ان يقطع الاولاد والخلف والبيوت ، بل انه يحن اليهم ويذكرهم ويحس انهم سنده في هذه المحنة ، وهذا هو الصدق الفني الذي يجعلنا نحس بنجاح العمل .

واخيرا وجد السيد احمد عبد الجواد نفسه مع آخرين وهم يؤمرون بملء حفرة كبيرة بالتراب ، وهنا وجد نفسه يقول « هنيئا لنا هذه المشاركة في جحيم الثورة ، لم لا ؟ البلد ثائرة كل يوم ، كل ساعة ضحايا وشهداء بيد ان قراءة الصحف وتناقل الاخبار شيء ، اما حمل التراب تحت تهديد البنادق فشيء آخر . هنيئا لكم ايها النائمون في اسرتكم ، اللهم احفظنا ، لست لها ، لست لها ، اللهم اهزم المشركين بقوتك ، نحن ضعفاء ، لسنا لها » (ص ٣٩٨) وهكذا تهز الثورة السيد احمد عبد الجواد ، وكأنما ينتقم نجيب محفوظ من هذا « الانا الاعلى » الذي يحيط نفسه بكل مظاهر القداسة والالوهية في بيته عندما جعله يحمل التراب بنفسه وهو يستطرد في تأملاته قائلا « لا طعم للحياد في ظل الثورة ، الثورة .. أي جندي يقبض عليك ، تحمل التراب بكفيك .. فهمي يقول لك لا ، متى تعود الدنيا الى اصلها ؟ صداع ؟ بل صداع وغثيان ، دقائق من الراحة لا اطمع في مزيد » (ص ٣٩٩) .

وفي اليوم التالي استرد السيد احمد « الكثير من روحه المعنوية ، فتعذر عليه ان يغفل الجانب الفكاهي من الحادث حتى غلب ما عداه فانتهى الحديث الى نوع من المزاح » (ص ٤٠٠) وهكذا حاول السيد احمد عبد الجواد ان يسترد سريعا هيبته وثقته فى نفسه ، لا يدرك ان هناك حدثا اخطر ينتظره ولن يجعله يعود الى مزاحه بمثل هذه السهولة وذلك اليسر.

وعندما قتل ابن الفولي في المظاهرات قال السيد احمد يائسا « هلك المسكين فلم يعد سعد ولم يخرج الانجليز » وعندما عاد سعد وزع السيد احمد الشربات كما توزع بقية الدكاكين واكثر ، كما علق صورة سعد تحت البسملة . وذلك لانه ــ على حسب قول السيد ــ قد مضى عهد الخوف والدمار الى غير رجعة . « ألا ترى المظاهرات تمر تحت اعين الانجليز دون ان يتعرضوا لها بسوء ؟ علق الصورة وتوكل على الله » (ص ٤٢٧) . بل اصبح اشتراك فهمي في المظاهرات من دواعي فخره حتى انه قال « ليته اشترك في الاعمال الكبيرة ما دام الله قد كتب له العمر حتى اليوم ، سأقول من الآن فصاعدا انه خاض غمار الثورة .. والله لو كنت شابا لفعلت ما لم يفعل ابنك » (ص ٤٣٤) وهكذا يكشف لنا نجيب محفوظ بوضوح عن نفسية هذه الطبقة المذبذبة التي تنكمش اذا أحست الخطر ، وتسارع الى جني الثمار اذا بدا الانتصار .

وها هو ياسين يقول لفهمي « احسبتني قائد الوطنية ؟.. المسألة اني لا احب الزياط والعنف ، ولا اجد حرجا في التوفيق بين حب الوطن وحب السلامة » وعندما أحرجه فهمي قائلا «واذا شق التوفيق بينهما ؟» اجاب في صراحة « قدمت حب السلامة .. نفسي اولا ، الا يستطيع الوطن ان يسعد الا بالتهام حياتي ؟ يفتح الله ، انا لا افرط في حياتي ولكني سأحب الوطن ما دمت حيا » فاجابت امه قائلة : هذا عين العقل (ص ٤٢٩) .

وامينة ايضا كانت تلقي اللوم على سعد كلما وقع حادث مؤسف ، لكن عندما عاد من المنفى لم تجد غضاضة في ان تعترف بأن رجلا يجمع الكل على حبه لا بد ان الله يحبه كذلك (ص ٤٣٠) ولكن امينة تستنكر وجود ام تزغرد لاستشهاد ابنها « أين ؟ على هذه الارض ؟ ولا تحت الارض في عالم الشياطين » (ص ٤٣٠) .

وهذه اقصى صورة من صور الايجابية لنساء « بين القصرين » ، وذلك لان نساء هذه الطبقة لم يشاركن تاريخيا في ثورة ١٩١٩ ، انما شاركت فيها بعض زوجات الساسة وبعض نساء الطبقة البورجوازية الكبيرة ، اللاتي كان لديهن شيء من التحرر كما يتبين لنا ذلك في الجزء الثاني « قصر الشوق » ، ومع ذلك فان الاخلاص التاريخي عند نجيب محفوظ جعله يحرص على ذكر الدور الذي قامت به النساء في تلك الثورة ، فاشار الى مظاهراتهن والى شعر حافظ ابراهيم في هذه المظاهرة . فان حدود الواقعية عند نجيب محفوظ تجعله يرى ان ايجاد نموذج من هذه البيئة يشارك في الثورة على النحو الذي شارك به فهمي بين الرجال انما هو افتعال وابتعاد عن الواقعية .

وهكذا يرسم لنا نجيب محفوظ التغيرات الانفعالية والعاطفية التي تمر بافراد الاسرة ــ كل من خلال شخصيته ــ بتغير الحدث العام : اولا عندما كانت الثورة مجرد انباء بالنسبة لهم ، ثم وهي تقترب منهم وتجذبهم اليها ، واخيرا وهي تنتصر ممثلة في عودة سعد زغلول .

واخيرا لقي فهمي مصرعه ، لقيه اثناء مظاهرة سلمية قامت للاحتفال

بعودة سعد زغلول وسمحت بها السلطة ، وكأنما نجيب محفوظ يريد ان يقول انه لا امان في ظل الاستعمار ، وان القدر طبيعته ، وكأنما يريد ان يعبر من ناحية اخرى عن فكرته « عن القدر » فهذا فهمي قد نجا من كل احداث الثورة السابقة ، ليلقي اليوم مصرعه اثناء اشتراكه في مظاهرة سلمية .

واسلوب نجيب محفوظ وهو يصف مصرع فهمي تعبيرواضح عن ارتباط المضمون بالاسلوب ، فهو يخرج عن اسلوب الرواية والحوار الى اسلوب المونولوج الداخلي « ما اشد الضوضاء .. ولكن بما علا صراخها ؟ هل تذكر ؟ ما اسرع ما تفلت منك الذكريات . ماذا تريد ؟ ان تهتف ؟ أي هتاف ؟ او هو نداء فحسب ؟ .. من ؟ ما ؟ في باطنك يتكلم ، هل تسمع ؟ هل ترى ؟ ولكن اين ؟ لا شيء ، لا شيء ، ظلام في ظلام ، حركة لطيفة تطرد بانتظام ، كدقات الساعة ، ينساب معها القلب ، تصاحبها وشوشة ، باب الحديقة .. أليس كذلك ؟ يتحرك حركة نموذجية سائلة ، يذوب رويدا ، الشجرة السامقة ترقص في هوادة ، السماء ؟ منبسطة عالية ، لا شيء الا السماء هادئة باسمة يقطر منها السلام ..

ان هذا الاسلوب لم يظهر عند نجيب محفوظ الا في اواخر قصة « بداية ونهاية » وهو يصف قصة موت نفيسه وانتحار اخيها الضابط حسنين . ولكن ما ابعد الفارق بين النهايتين ، فموت حسنين جاء يأسا بعد ان حمل اخته على الالقاء بنفسها في النيل ، وجاء تعبيرا عن انعزاله عن مجتمعه ، لذلك تساءل حسنين في مونولوجه الداخلي قائلا « ماذا فعلت ؟ انه اليأس الذي فعل .. واذا كانت الدنيا قبيحة فنفسي أقبح منها . ما وجدت في نفسي يوما الا تمنيات الدمار لمن حولي . فكيف ابحث لنفسي ان اكون قاضيا وانا على رأس المجرمين ؟ لقد قضي علي » . وينتهي مونولوج حسنين الداخلي ، بل تنتهي « بداية ونهاية » بهذه الجملة « فلأكن شجاعا ولو مرة واحدة . ليرحمنا الله .. » قارن هذا بموت فهمي الذي جاء تتويجا لاندماجه في المجموع ، لهذا كانت نهاية مونولوجه « لا شيء الا السماء هادئة باسمة يقطر منها السلام ».

وبعد مضي سنوات من مصرع فهمي « تذكر السيد احمد كيف ثار على الثورة .. وكيف ثاب رويدا الى مشاعره الوطنية الاولى لما اسبغه الناس عليه من تقدير واكبار بصفته والدا لشهيد نبيل ، ثم كيف انقلبت مأساة فهمي مع الزمن مفخرة يباهي بها وهو لا يدري » (ص ٧٨ من قصر الشوق) .

وهكذا يسلط نجيب محفوظ الكاميرا من جميع الزوايا سواء من ناحية وقع الحادث الواحد على عدة افراد في اللحظة الواحدة ، او وقع الحادث الواحد على فرد واحد في التاريخ الطويل .

وهكذا نجد ان التمرد على الاب الصارم الذي يشكل ضمائر ابنائه ويعبر عن ضمير عصره او ضمير الطبقة الوسطى في ذلك الوقت على الاقل ، هو الخط المعبر عن الواقع المتطور في قصة « بين القصرين » ، حتى المؤلف يشترك في هذه الثورة عندما يجعل بطله السيد احمد عبد الجواد يحمل التراب على كتفيه في منتصف الليل . ولعل نجيب محفوظ يعبر بذلك عن ثورته على تردد الطبقة الوسطى التي كونته وعلى طفولته التي استبدت بها صرامة الابوة وعلى ما ترسب في ضميره من ذلك كله ، وتصل الثورة الى قمتها الواضحة عندما يثور فهمي على استبداد الوالد واستبداد الاستعمار معا ويدفع حياته ثمنا لذلك فتتحطم سيطرة الانا الاعلى هذه المرة تحطما حقيقيا وينهار السيد احمد عبد الجواد انهيارا واضحا في قصة « قصر الشوق » مصاحبا في ذلك تقدمه في العمر وتميع الحركة الوطنية معا ، وعلى هذه الانقاض تظهر في « قصر الشوق » ثورة كمال العاطفية والفكرية على الطبقة المترفة والساسة الذين يخونون بلدهم ، وعلى الخرافات التي تلقنها عن امه وعلى العقيدة ، ويبحث عن قيم جديدة وضمير جديد يعكس تطور الطبقة الوسطى التي تأثرت بما جد من احداث وثقافات حتى يعلن ان « الدين الحقيقي هو العلم » (قصر الشوق ص ٣٥٣) ثم يهتف في صراحة ووضوح « ليسقط الاب المستبد » (قصر الشوق ص ٣٥٣) .

والذي لا شك فيه هو ان نجيب محفوظ في قصته « بين القصرين » قد برهن على انه سيطر سيطرة تامة على فنه الروائي الذي تمرس به خلال عشر روايات سابقة . ولا شك ان سر النجاح التكنيكي عند نجيب محفوظ هو النفاذ المباشر الى تجارب شخصياته عن طريق الاحداث والحوار الرائع ، وانعدام الوصف التجريدي ، وايجاد تنوع في شخصياته، بعضهم ثابت لا يتطور وبعضهم يتطور ، وحرصه على عدم وجود تناقض في تصرفات هؤلاء الاشخاص ، والتقاطه الاحداث والشخصيات من اكثر من زاوية .

ولكن الذي لا شك فيه ان الوصف التسجيلي بلغ درجة الاملال في بعض الصفحات ، ولو اننا نجد هذا الاملال في كثير من الملاحم الفنية الكبرى مثل « دن كيشوت » و « الحرب والسلام » و « الاخوة كرامازوف » . الا ان طبيعة العصر الحاضر لا تشجع كثيرا هذا اللون من الاسلوب ، وتفضل عليه الاسلوب المباشر الذي تغني فيه الاشارة او اللمحة عن الاسهاب والتفصيل .

ويبدو ان نجيب محفوظ نفسه قد اتخم هو بدوره من هذا الاسلوب حتى لقد ذكر لي ان نفسه الان اصبحت تعافه كما يعاف الشبعان من طعام كان متلهفا عليه وهو جوعان ، ثم اتيح له في كميات كبيرة فاقبل عليه حتى شبع بل حدث له ما يشبه رد الفعل . وهذا دليل على ان نجيب محفوظ لا يريد ان يكرر نفسه ، يريد ان يتطور ، يريد ان يجدد مضمونه الفني ، لان البحث عن اسلوب جديد معناه بالضرورة البحث عن مضمون جديد .

القاهرة **يوسف الشاروني**



افراح «غانا»

[مهداة الى شعب ساحل الذهب العظيم ..
في عيد ميلاد جمهوريته المستقلة]

***

كلما تدخل شمسُ ...
وضريح الأُفق الدامي .. مخاض لا يُحسُ ..
وسكونٌ شفقيٌ في ذُرا الغابات ينداح ويرسو
يخبزون الفجر .. فالظلمةُ افرانٌ ، وافراح ، وعرسُ
كلما تسقط نفس في الثرى .. تورقُ نفسُ !!
وعيونٌ في دروب الليل تمشي .. وتجسُ ..
فلقد ابصرتُ غانا
نفضت اوراقها الصفراء .. واخضرت
دوربا .. وجنانا ..
ورأيت الليل يبكي ..
ذبحته عند اعتاب الصباح الطفل .. غانا
وتسمّعت دبيب النور ينسابُ مزاميراً حسانا
واندفاع الدم في شريانها ... والخفقانا
هي غانا
فتحت للنور بابا
ومضت تغلق للظلمة بابا
واطلّت من شبابيك فروع الغاب غانا
ملتقــانا ..
مقلع الشمس الذي يغسل بالنور رُبانا ..

***

فلقد كنتُ اغني
عندما كنتِ تغنين على ضفه نهرِ
وتجرّين حبال الفجر كي يرسوَ من بعد غيابِ
فلقد اقبل من بعد غياب
فاحرسي الباب .. اجيلي الطرف في كل شهاب
عابرٍ بين الضباب ..
فعيون القوم مازالت وراء الغاب . . تصغي وتحابي
واحذري من همسات الريح في الارض الخراب
واحذري من حُزم النور السرابي .. !
عندما يوغل في الغابات برّاق الاهاب ! !
الف مشروع قديم .. الف ناب ..
الف لون .. ورداء ..
من اقاموا حولنا الف مساء وشتاء
اوصياء ...
يزرعون الليل في احد اقنا السمراء ... باللاوصياء !

***

مثلما تزحف بالسطح جماعات الطحالب ..
مثلما تُقفَلُ قمصانُ الدياجير على ضوء المغارب
سوف تُخفي كنزك الوضاء آلاف الزواحف
سوف تأتي من جحور الليل آلاف الزواحف
سُفناً ... يعرفها الليل .. عريقه
رضعت .. حتى عروق القاع ... لم تُبق عروقه
غير أشلاء نثيرات وأعماق مزيقه
فاهمسي في أذن الغاب واسماع الجنادل :
أوصدي بابك ... فالظلمة .. قسيسٌ تطاول
أطفأت كل المصابيح .. واضواء المشاعل
ليمر السارق العجلان تحميه المقاتل .. !
فتلال الذهبِ
سرقت عند انفلات المغربِ
لبلاد أتخمت من دمنا .. منذ طويل الحقب
عصّبت أعيننا بالغيهب
إيه غانا .. !
أغلقي للظلمة الرعناء بابا
وافتحي للنور بابا
ملتقانا ...
مقلع الشمس الذي يغسلُ بالنور رُبانا ! !

محي الدين فارس

عضو رابطة الفنانين السودانيين بالقاهرة

نظرات تحليلية في ديوان صلاح عبد الصبور

الناس في بلادي

بقلم عبد الله الشفقي

١

في مسرحية (العاصفة) ، يتحدث شكسبير عن ملك غريق فيقول «لقد تحولت عيناه الى لآلىء » . ويهتم ت. س. اليوت ـ الشاعر الانجليزي المعاصر ـ بهذه الظاهرة الفريدة فيستخدمها في قصيدته المشهورة « الارض الخراب » . وهذه العبارة التي أوردها شكسبير ترمز الى تحول الاشياء المادية الى جوهر اكثر نبلا وقدسية . تسيطر هذه الفكرة على صلاح الدين عبدالصبور في قصيدتين من قصائد الوثبة الوطنية التحريرية الاولى بعنوان « مرتفع ابدا » وفيها يناجي الشاعر العلم المصري الذي ارتفع على مبنى البحرية في بور سعيد في يونيو من عام ١٩٥٦ فيقول:

فداء تلك اللحظة المجيدة الثريه
مضى الى السكون من احبابنا الوف
(كي يجعلوا قلوبهم تلا من التراب)
(يقوم فوقه العلم)
(ليفتلوا عروقهم سارية مجيدة)
يزين فرعها العلم
(لينسجوا ايامهم ديباجة خضراء)
ترف في الهواء
كوجهك النبيل ... يا علم
(ومن بياض المقلتين حين تشخصان للسماء)
تستمطران ـ في ليالي اليأس ـ بسمة الرجاء
(هلالك الوسيم .. يا علم)

هذا في القصيدة الاولى ، اما في القصيدة الثانية « الشهيد » وهي آخر ما في الديوان من قصائد فيقول الشاعر :

يا عجبا ! كل مساء موعدي مع المضرج الشهيد
كان منديل الشفق ..
دمه
كأن مدرج الهلال كفه ومعصمه
كأن ظلمة المساء معطفه
وبدرة السنا ازرار سترته .

ان هذه الظاهرة الفريدة اكثر من مجرد اغراق في الوصف او الخيال . ان الشاعر يحس هنا بشيء من الحنين ازاء بعض الظواهر الطبيعية من ليل او نجوم ، من هلال او شفق فهو لا يستطيع ان يراها بمفردها كوحدة مستقلة . وانما تحمل هذه الظواهر في باطنها معاني انسانية عميقة . والعلم في القصيدة الاولى ليس مجرد رقعة خضراء يزينها الهلال وترتفع فوق سارية ، صلاح عبد الصبور يرى ما وراء هذه الاشياء ، ويلمس القوى الخفية التي اخرجتها الى حيز الوجود ، وأعطت لها دلالتها . فليس للعلم دلالة بدون تضحية اجدادنا ، وليس لليل الرهيب دلالة في اعقاب معركة بور سعيد بدون هذا الشهيد الذي لا يبارح مخيلة الشاعر ابدا . يسيطر هذا الحنين على نظرته ، فتتحول الاشياء العرضية من قلوب وعروق واحداق الى علم يخفق ، ويتحول دم الشهيد واطرافه ومعطفه الى شفق وهلال وظلمة مساء .

ووراء هذه الظواهر التعبيرية تكمن تجربة الشاعر في النظر الى الاشياء. فالشفق لا يعني بالنسبة للشاعر هذه الالوان التي تظهر وقت الغروب وانما يرتبط معناه بتجارب شعرية عميقة ، تظهر في صور وتعبيرات مختلفة ، فالشفق في قصيدة (نام في سلام) مرتبط بمعاني التضحية والجهاد ، فمحمد نبيل فتى في العشرين مات مجاهدا ، والمعلم قد مات وهو ينشد الحكمة والمعرفة .

ومن ثم يرسم الشاعر صورة خلفية لهذه المأساة فيقول في نهاية القصيدة:

وكان في وجه السما سحابة من الشفق
حمراء مثل دم
وكان في طرف المدى نوارة الحقول .

كما يرتبط الشفق في قصيدة (مرتفع ابدا) بمعاني بذل الدم فداء للوطن . فالشاعر يدعو للعلم الاخضر ويباركه قائلا :

ليستريح على وساد الشمس خدك الرقيق
الى الابد ....
لتضحك السماء لك
سحابة سخية تظللك
والقمر الزاهي يقبلك
والشفق المخضوب بالدماء يغسلك

وفي قصيدة (الشهيد) يتحدث الشاعر عن الشفق قائلا انه دم المضرج الشهيد :

يا عجبا ! كل مساء موعدي مع المضرج الشهيد
كان منديل الشفق ..
دمه

ويضع كلمة الدم في سطر مفرد لأهميتها .

هل نعتبر وجود هذه الشواهد مجرد صدفة ؟ لا ! فالشاعر يعرف متى يستخدم الصورة ، ومتى ينظر الى الشفق مرتبطا بمعاني الدم والتضحية . وحين يتحدث الشاعر عن الغرام يتخلص بالضرورة من هذا المعنى المفجع وحينئذ يرتبط الشفق بشفتي حبيبته فيقول في (أناشيد غرام) :

حبك
عصفور ينقر في بيدر
قلبي بيدر
عيناك نعاس مخمور
والخصلة ظلي من وهج من وهج الخدين والشفتين
خط شفقي عانق خطا

يتضح من هذا كله ان (الكلمة) في يد الشاعر ـ وفي يد كل شاعر مجيد ـ لا تعني مجرد معناها، وانما تتخذ صورا مختلفة باختلاف الظروف والمشاعر . والظاهرة الفريدة في شعر صلاح عبد الصبور تتلخص وقد ينظر القارىء العابر الى هذه

فى تعدد استعمالاته للكلمة الواحدة على انها مجرد تكرار ممل او ضعف فى الحصيلة اللغوية ، بيد ان القراءة المتعمقة للديوان تكشف لنا عن تمتع الشاعر بثروة من التجارب يستخدم فيها الكلمة الواحدة فى معاني مختلفة متباينة . وكلمة « الشفق » التي استخدمها فى اكثر من موضع تدل على هذا . ولنضرب مثلا آخر ، وهو استخدامه لكلمة «البيادر» و«ينقر» . لقد استعلمهما الشاعر استعمالا مباشرا فى قصيدته الغامضة (رحلة الليل) . وفى المقطع الذي يحمل عنوان (أغنية صغيرة) يغني لحبيبته قائلا :

اليك يا صديقتي اغنية صغيره
عن طائر صغير
في عشه واحده الزغيب
والفه الحبيب
يكفيهما من الشراب حسوتا منقار
ومن بيادر الغلال حبتان .

وفجأة يستخدم الشاعر هذين اللفظين استخداما فريدا فى (أناشيد غرام) ، فلا يعبر بهما عن الطعام وانما عن الحب والخدر الذي يحسه المحب فى قلبه فيقول فى ايجاز ودقة:

حبك
عصفور ينقر في بيدر
قلبي بيدر .

ثم يذهب الشاعر بكلمة « ينقر » بعيدا بعيدا ، ويستخلص منها أقصى ما تستطيع طاقته الشعرية ، ليعبر بها لا عن الطعام او دغدغة الحب ، وانما عن الحاجة الى الحب والوداد والذكرى فيقول عن شهيد غزة فى قصيدة « سأقتلك » :

كان اسمه ... نبيل
وكنت في محبتي ادعوه بلبلي الحبيب
وكان راعف الجناح دائب الاسفار
وكان حينما يعود ينقر الوداد من فؤادي
.... حبتين ، حبتين
فحبة لجوعه ، وحبة تذكار

وتسيطر على الشاعر ظاهرة تعاقب الليل والنهار سيطرة كبيرة واضحة، فمعظم قصائده يتحدد فيها الزمان فضلا عن المكان . والزمان لا ينداح حتى يبلغ الشهور والاعوام ، وانما تحدث الاحداث الهائلة حين يقبل الليل وتتغير المشاعر ، وربما تتألق حين يشرق الفجر . وتبدو هذه الظاهرة فى اولى قصائد الديوان . والليل هنا يحمل معنى الضياع ، بل ان القصيدة بأجمعها تحمل عنوان (رحلة الليل) . الظلام بالنسبة له محنة ، لانه غريب ، وفيه يمر الشاعر وصحبه بتجربة الفشل والخسارة وهي تجربة تتكرر ابدا ، ما دام هناك ليل ونهار :



صلاح الدين عبد الصبور

فحين يقبل المساء يقفر الطريق .... والظلام محنة الغريب
يهب ثلة الرفاق ، مجلس السمر
« الى اللقاء » ـ وافترقنا ـ « نلتقي مساء غد »
« الرخ مات ـ فاحترس ـ الشاه مات !
لم ينجه التدبير ، اني لاعب خطير
الى اللقاء » ـ وافترقنا ـ « نلتقي مساء غد »

وفىالليل تتجسد القسوة ويتعرض الضعفاء الوادعون للمحنة ـ فالقدر القاسي لا يهبط على الطائر الصغير الا :

ذات مساء حط من اعالي السماءاجدل منهوم
ليشرب الدماء
ويعلك الاشلاء والذماء .

بل ان المساء يسيطر على الشاعر سيطرة حزينة ، فيملي عليه نوع القصة التي سيحكيها لصديقته :

معذرة صديقتي .. حكايتي حزينة الختام
لانني حزين ..

كمايتكرر معنى الضياع فىقصيدة (هجم التتار) فيرتبط الضياع بالليل، ولكنه هنا ضياع امة وضياع جيش:

فى معزل الاسرى البعيد
الليل ، والاسلاك والحرس المدجج بالحديد
والظلمة البلهاء ، والجرحى ورائحة الصديد
ومزاح مخمورين من جند التتار

ثم تتجسد القسوة مرة اخرى فى نفس القصيدة ، وترتبط بالليل ، فينبثق الرعب :

امي .. وانت بسفح ذاك التل بين الهاربين
والليل يعقد للصغار الرعب من تحت الجفون

والناس يموتون بالليل ، اما الشنق ـ شنق زهران ـ فيتم فى رائعة النهار .. يموت الناس بالليل حيث يقبل عزرائيل ليختطف روح عم مصطفى ، وهو انموذج لهؤلاء الذين يعيشون فى بلد الشاعر :

وفى مساء واهن الاصداء جاءه عزريل
يحمل بين اصبعيه دفترا صغير .

وفى المساء تثور الذكرى ، ويبلغ الشجن ذروته فيصرخ الشاعر :

جنت الريح على نافذتي
فى مسائي
فتذكرت ابي .

هذا عن الليل ، فماذا عن فجر الشاعر ؟ يحمل الفجر بالنسبة لعبد الصبور معنى الخلاص والانعتاق ، وهو يعبر عن هذا تعبيرا ذاتيا فى (رحلة الليل) فيقول :

فى الفجر يا صديقتي تولد نفسي من جديد
كل صباح احتفي بعيدها السعيد
ما زلت احيا ! فرحتي .

اما التعبير الموضوعي عن معنى الخلاص والانعتاق فيجيء في قصيدته (هجم التتار) :

وأنا ـ وكل رفاقنا ـ يا أم حين ذوى النهار
بالحقد أقسمنا سنهتف فى الضحى بدم التتار
اماه ! قولي للصغار
أيا صغار ...
سنجوس بين بيوتنا الدكناء ان طلع النهار
ونشيد ما هدم التتار .

اما الفجر فى قصيدة (أبي) فيمر بمرحلتين مختلفتين . ان الفجرمتعة لشاعرنا ، يحس فيه بالقناعة والرضى والميلاد الجديد ، ويتلون الفجر بهذا الطابع فى مطلع القصيدة ، فيجلس الشاعر وأسرته وجده فى غياب الاب . صحيح ان المطر ينهمر والقطط تصرخ والضباب يتراكم ،

ولكنهم لا يعبأون ، وانما يوقدون النار فى المدفأة البدائية ، ويلقي الجد بنكتة يضحك لها الجميع :

كان فجرا موغلا فى وحشته
ورعود قاصفة
قطة تصرخ من هول المطر
وكلاب تتعاوى
مطر يهمي وبرد وضباب
واتينا بوعاء حجري
وملأناه ترابا وخشب
وجلسنا
ناكل الخبز المقدد .
وضحكنا لفكاهه
قالها جدي العجوز
وتسلل
من ضياء الشمس موعد
فتفاءلنا وحيينا الصباح .

وفجأة يقبل رجال مكفهرون يبلغونهم نبأ الوفاة ، وفاة الاب مشجوج الجبين : في هذه اللحظة الخاطفة تتغير نظرة الشاعر إلى الفجر ، وتتغير نظرتنا الى عواء الكلب ومواء القطة ، وتتخذ هذه الانطباعات مظهرا جديدا كريها ، والشاعر بحساسيته يدرك هذا ، فلا يسعه الا ان يكرر المقطع الاول ليتخذ فى ختام القصيدة هذا الطابع الكريه المشؤوم .

اما الظهيرة فتنذر بالسوء وتحمل معنى الفشل وحبوط المسعى ، فالتتار يهجمون على مدينتنا ويرمونها بالدمار ، وسرعان ما

رجعت كتائبنا ممزقة .. وقد حمي النهار

ويتمدد زهران المؤلم فى الظهيرة حين يموت جنود الاعداء من وهج الشمس بعد ان فروا هاربين بعد صيد الحمام :

مر زهران بظهر السوق يوما
ورأى النار التي تحرق حقلا
ورأى النار التي تصرع طفلا

اما جنازة محمد نبيل ، فقدطوت شوارع المدينة

فى ظهر يوم قائظ ، والناس مطرقون

٢

ولننتقل الآن الى الموضوع الهام الذي عالجه صلاح عبد الصبور فى ديوانه ـ ألا وهو الناس ، الناس فى بلاده . فمن هم هؤلاء الناس ؟ انهم ينقسمون فى ديوانه الى فئات . فمنهم الاصدقاء ، اصدقاء الشاعر نفسه ، تجري فى دمائهم فورة الشباب وهم يفكرون ويتعذبون بالفكر ، ويشربون ويمزحون ، وينقمون على الاوضاع ، ويدور دولاب حياتهم رتيبا مملا ، يوما يكسبون ويوما يخسرون فمرة :

تهب ثلة الرفاق ، فض مجلس السمر
« الى اللقاء » ـ وافترقنا ـ « نلتقي مساء (غد »
« الرخ مات ـ فاحترس ـ الشاه مات !
لم ينجه التدبير ، اني لاعب خطير .. »

ومرة :

« الرخ مات ـ لا ترع ـ فالشاه ما يزال »
« والشاه بالبيادق التام » .

تعبر هذه النقلة عن الكسب بعد الخسارة ، وعن وجود بقية امل ، بيد ان الاصدقاء سيتقابلون بعد ذلك ، ويخسرون مرة اخرى! وحين يضحك هؤلاء

يضحكون ضحكة بلا تخوم

ضحكة عريضة جامحة لا تعرف حدودا ، ضحكة مصرية صميمة . هذه هي الواقعية الصريحة ممثلة في عبارة موجزة ، ولكنها تكتسي خمارا شاعريا رومانتيكيا حين يتحدث الشاعر عن ضحك الناس فى قصيدة « الناس فى بلادي » فهو يقول :

وضحكهم يئز كاللهيب فى الحطب

وهي صورة غريبة تعتمد على التأثير لا على الوصف الواقعي الحي . والشباب الضائع فى مصر لا يختلف عن الشباب الضائع فى أي بلد ، فهو يتحدث عن الخمر والنساء

ـ « لا شيء فى الدنيا جميل كالنساء فى الشتاء »
ـ « الخمر تهتك السرار »

يقدم الشاعر هذه النماذج البشرية التي تحيا فى بلاده بشيء من العطف ، ولكن عطفه يزداد على اقرانه الشعراء الذين يحسون ويتعذبون ، ويقضون الليالي فى جدال ، جدال ضائع ضيعة الشاعر فى ظلمة الليل ، ويتجلى هذا فى قصيدتي (السلام) و (حياتي وعود) ففي الاولى يتحدث عبد الصبور عن اقرانه وعن نفسه ، لقد كانوا عصابة من الاشقياء تتعذب (كالآلهة) ، تتعذب

بالكتب والافكار والدخان والزمن المقيت
طال الكلام .. مضى المساء لجاجة .. طال الكلام

وفى الثانية يتذكر كيف انه حكى لحبيبته عن ليالي الصعاليك ورفقة الحان الذين يقرضون الشعر . ما هي الرسالة التي تقع على عاتق هذه الفئة الضائعة من اصدقاء الشاعر ؟ هذه الفئة التي تشرب وتقرأ وتفكر وتجادل ؟ انها تريد ان تصنع شيئا . هذا الشيء لم يحدده الشاعر صراحة فهو لا يعرف جيدا ماذا يريد ويريد رفقاؤه على وجه التحديد ، انهم يأملون فى الخلاص وفى انبثاق النور :

واذا يولد فى العتمة مصباح فريد
فاذكري
زيت نور عيوني وعيون الرفقاء
ورفاقي تعساء
ربما لا يملك الواحد منهم حشو فم
ويمرون على الدنيا خفافا كالنسم
ووديعين كأفراخ حمامه
وعلى كاهلهم عبء كبير وفريد
عبء ان يولد فى العتمة مصباح وحيد

وينتقل الشاعر من هذا التعميم الغامض الى التخصيص الواضح وذلك حين يتحدث عن زهران وعن عم مصطفى ، والشيخ محي الدين ، ومحمد نبيل ، وامه ، واخيه (اخي وابن امي) ، وكلهم مصريون يمثلون الشخصية المصرية المكافحة التي تناضل ضد الاستعمار . لقد تحدث الشاعر عن نبيل فى قصيدتين (نام فى سلام) و (سأقتلك) :

وساءلت مشيرة عجوز
« فى ذلك الصندوق من هذا الذي ثوى ؟ »
« هذا فتى مجاهد قد مات فى العشرين »

اقسمت بالاخ الذي مضى .. وخلته بلا ثمن فى عامنا الماضي ، ولم يلف حول جسمه كفن لانه احترق
على تراب « غزة » البيضاء بالطائرة احترق .
كان اسمه .. نبيل .

الشاعر يحب الحياة ، ويحس

بالاسى لانه فقد نبيل وزهران ، وبفقدهما تفتقد الانسانية قطاعات نبيلة رقيقة تحب الحياة ، والحنان ، والوداد . وحين يندب شهيدا لا يسعه الا ان يذكر ماضيه ، فقد ذكر كيف كان محمد نبيل «راعف الجناح» « ينقر الوداد » ، ولا يسعه الا ان يذكر زهران فى فورة الشباب :

ذات يوم

مر زهران بظهر السوق يوما

واشترى شالا منمنم

ومشى يختال عجبا مثل تركي معمم

فما هدفه من هذا ؟ انه يستخدم هذه الطريقة ــ طريقة استرجاع الماضي ــ حتى يعمق من شعورنا بالخسارة ، ذلك الشعور الذي بلغ ذروته فى آخر قصائد الديوان : « الشهيد »، حيث يطوف الشهيد بالمدينة حين يقبل الليل ، ويمضي خفيفا اذا ما صاح ديك الصباح فيئن الشاعر

كل مساء ينزل الشهيد فى مدينته

يبثها أشواق قلبه البريء

ويناشـــده

لا تله عن موعدنا .. الى اللقا

ثم ننتقل الى طابع آخر يتميز به اناس الشاعر الذين يعيشون فى بلاده، ويمثل هذا الطابع الشيخ محي الدين ، وعم مصطفى ، وأم الشاعر . تسيطر على هذه الفئة النزعة الدينية التصوفية ، والتي لا تخلو من خرافة محببة . والشيخ محي الدين رجل عجوز مجذوب يجد الشاعر لذة في التحدث الى صديقته عنه

وكان فى حياته يعاين الاله

تصوري ! ويجتلي سناه

....

وصدقيني حين مات فاح ريح طيب

من جسمه السليب

وطار نعشه، وضجت النساء بالدعاء والنحيب

اما عم مصطفى فرجل من القرية « يحب المصطفى » ويحكي للفلاحين

حكاية تثير فى النفوس لوعة العدم

وتجعل الرجال ينشجون

والرجل يتساءل فى استسلام :

ما غاية الانسان من اتعابه ؟ ما غاية الحياه ؟

هذه النزعة القدرية يصورها الشاعر فى تسامح فى هذه القصيدة ولكنه يثور عليها حين يرى انها كانت تودي بالبلاد فى كفاحها مع الاستعمار واذنابه . فالشاعر يتساءل وهو يرى الرجل المستعمر ذا الوجه الكئيب :

من اين جاء ؟

ويقول سادتنا الاماجد حين يزوون الجبين

شأن الثقات العارفين

من السماء ..

....

هذا ابتلاء الله ! هذا من تدابير القضاء

اما النسوة فى ريف مصر فقلوبهن عامرة بالايمان والحنان . فأم الشاعر تحدثه عن العذاب والنار ، وهي برة طاهرة تهتف باسم النبي حين تعثر قدماه او ترمد عيناه ــ والمشيرة العجوز تبكي حين ترى جنازة محمد نبيل ، تبكي وهي لا تعرفه

... امرأة غريبه

لكنها من قومنا ، فى قلبها كنوز

وتعرف الحنان والاحزان

ولكنه لا ينسى هذه « اللقطة » الطريفة!.. حب الاستطلاع المتأصل فى دماء نسائنا :

وساءلت مشيرة عجوز

« فى ذلك الصندوق من هذا الذي ثوى ؟

انتهينا من حديث الشاعر عن اصدقائه وعن النماذج البشرية التي قابلها او سمع عنها . ولننتقل الآن الى حديث الشاعر عن المصريين بصفة عامة . لقد دفعه التعميم الى التحدث بلهجة خطابية مبالغ فيها ، فأهل بلاده حين يسغبون :

... يشربون من صفاء القلب

وحين يظمأون يشربون نهلة من حب

وفى موضع آخر يقول :

الناس فى بلادي جارحون كالصقور

غناؤهم كرجفة الشتاء ، فى ذؤابة الشجر

وضحكهم يئز كاللهيب فى الحطب

خطاهمو تريد ان تسوخ فى التراب

وهو يضطر الى انتهاج هذه الوسيلة الخاطئة حين يتحدث عنهم فى معرض التفاخر والدفاع ، ولكنه يعود مرغما الى تقرير الواقع مستدرجا :

والسحب ما تزال

تسح ، والمخاض يلجىء النساء للوساد

ويلعب الاطفال فوق اسطح البيوت

لعبة العريس والعروس ، والتبات والبنات

✶

ما زال القارىء يتساءل فى حيرة: ماذا عن القصيدة الاولى (رحلة الليل) ؟.. وهي قصيدة غامضة معقدة افتتح بها ديوانه فأعجز القارىء او كاد ؟

ويجدر بالذين يقرأون الديوان الا يبدأوا برحلة الليل. ان فهمها يتوقف على فهم بقية القصائد التي يكتظ بها الديوان . وقد تعمدت الا اشير اليها اشارات صريحة في هذا التحليل ، وانما أخذت منها بعض الامثلة فى حذر وخفية . وقراءة الديوان بعد هذا التحليل العابر لبقية القصائد سيجعل من قراءة القصيدة الاولى لذة لا تعدلها لذة . فهي جماع تجربة الشاعر فى الحب والضياع والذكريات . وهي صورة مصغرة لقصيدة ت. س. اليوت (الارض الخراب) مع وجود بعض الفوارق .

لقد استخدم اليوت طريقة الاشارة الى التراث الفكري القديم ، فأشار الى الكوميديا الالهية لدانتي ، والى العاصفة لشكسبير، واستخدم صلاح عبد الصبور هذا المنهج فى حديثه عن السندباد . وتحدث اليوت عن لعبة الشطرنج ، ولم ينس شاعرنا ان يتحدث عن الرخ والشاه ــ لا ليعبر لك عن السحر والتنبؤ بالمستقبل كما فعل اليوت ــ وانما ليقول ان الحياة تدور ، يوم لك ويوم عليك ، ففي المقطع الاول « بحر الحداد » يموت الرخ والشاه ، وفي المقطع الاخير « الى الابد » يموت الرخ « والشاه ما يزال »« والشاه بالبيادق التأم ». وفي قصيدة اليوت يتحدث الشاعر عن صورة واقعية من صور لندن ، حيث تلتقي فتاة بفتى في لحظة من لحظات اليأس والضياع والشهوة وفى قصيدتنا تتلخص الصورة الواقعية فى وصف الاطفال وهم « يلعبون لعبة العريس والعروس » ، وعن

المخاض الذي يلجىء النساء للوساد.

وفى (الارض الخراب) يحس البطل بالحنين الى الحياة فى الجبال صارخا : « هناك فى الجبال تحس بالحرية » ـ يتردد هذا الصدى فى رحلة الليل :

وفى لقائنا الاخير يا صديقتي وعدتني بنزهة (على الجبل

اريد ان اعيش كي أشم نفحة الجبل

ويتساءل حين تشرق انوار الفجر:

صديقتي ! عمي صباحا ، هل ذكرت نزهة (الجبل ؟

بل يتردد ذكر الجبل فى قصيدته العارمة (منحدر الثلج)

فوالهفتا ! كم احب التلال

وكم اشتهي ان ارى عاريه

ان التلال فى قصائد شاعرنا المصري تعبر عن الفرار والرغبة في الخلاص .

ولا احب ان امضي في هذه القصيدة بالذات اكثر من هذا ،حتى لا افسد على القارىء متعة التفسير والاستنباط ، فهو وحده الذي يستطيع ان يستخلص منها ما يلذ له بعدمطالعة باقي القصائد. واعتقد ان (رحلة الليل) ستثير جدلا كبيرا وتتعرض لتفسيرات كثيرة متضاربة ونحن كنقاد نرحب بهذا ، اذا ما كان الهدف سليما .

اذا ما كان الهدف البناء ـ لا الهدم !

محمد عبد الله الشفقي

القاهرة

موطني

موطني
قمرٌ ومنجم معدنٍ
وأهلّةٌ من أنجمٍ
عبرَ الجزيرةِ ترتمي

شلاّلُ أخيلةٍ وضوءِ
من ألفِ لا شيءٍ وشيءِ
صنعَ العصورَ
ولم يَنِ

هو واحةٌ بسماء ذاتي
أطعمتُها فلذَ الحياة
وبهالةٍ من ذكرياتِ
سيّجتُ ماضي موطني

مجذافُ اغنيةٍ رتيبه
فيها التقتْ سبأٌ بطيبه
الليلُ فيه رؤىً غريبه
رضعتْ أمانينا حليبه
وجلاَ الهلالُ به شحوبه
الأمسُ ألهمَ عندليبه
فَرَوى لنا شدواً حروبه
كَمْ من نبيّ عاشَ فيه
فاضتْ عقائدُنا بفيه
أبقى لنا (ذكرى) صليبه

كَمْ كوكبٍ في الليل غافِ
يبدو بمنعطَفِ الضفافِ
وكأنَّ أرملةَ السنينِ
غسلتهُ في شط الحنين

شعراً كلون الشمسِ صافِ
رشّفته في ليل القوافي

موطني
خمّارةٌ من ألفِ عامِ
من دنّ خابية الغرام
طفحتْ اباريقُ النعامِ
يسقي بها المُهجَ الظوامي
فتسيل أفئدةُ الأنامِ
ظمأً لخمرة موطني

أسطورةٌ من ألفِ ليله
وحصادُ أخيلةٍ جميله
كَمْ شاعرٍ روّى غليله
لم يرتض الدنيا بديله
رضعَ الشبابَ من النجومِ
وأقامَ مملكة الحريمِ
كم شهرزاد أو دليله
فيها حواءُ وكَمْ سدومِ

موطني
أيامه دعةٌ وتوقُ
وهوىً يعذبُه وشوقُ
أحببتُه فسقيتُ عهده
وحفرتُ في الأعصار مجده
وجعلتُ قرص الشمس حده
كلّ النجوم لثمن خده
كلّ النجوم بموطني
تحنو عليه وتنحني

بغداد صفاء حيدري

الطبيعة والحضارة

بقلم عزمي مورلي

اذا رفضنا ان نقبل بفكرة التطور الصاعد نحو ما هو احق واجمل واعدل ، اي اذا رفضنا بذلك معنى الغائية فان المدنية من حيث هي شيء قائم في ذاته تتحول الى قوة وحشية ينبغي القضاء عليها والعودة الى المطاليب المباشرة لحياة بسيط مجدية وعفوية ، فهل سبق ان بحث حول هذه النزعة ؟ لقد بحثت مرات عديدة خلال التاريخ منذ القديم ولكن في الحقيقة كان البحث يجري بشكل متردد او كمخطط مستمد من الاحلام الرومانسية ، فلقد كان على كل باحث ان يشعر ، وذلك في مرحلة فاصلة من تطوره الشخصي، بعدم التناسب وبالطابع الهستيري في حدود مختلفة لكل حضارة . وهكذا فلقاء اضطراب مجرى الحوادث والاختلافات التي يبدو ان لا وفاق البتة بينها ، فان الحضارة الراهنة التي هي حضارة غربية خالصة تجمع كلا من اوربا وامريكا خاصة ، ولكن لها تأثيرها العنيف الذي امتد الى المعموره كلها ، هذه الحضارة يراها بعض المفكرين كأنها الاشارة الواضحة للهستيريا الجمعية المطلقة بحيث انها صائرة حتما ، مارة خلال مراحل متتابعة من الاضمحلال ، الى كارثة كلية ستكون في جملتها نهاية حضارة او لنقل انها ربما كانت نهاية الانسانية جمعاء .

ان ما يبرر بالنسبة لهؤلاء المفكرين هذا اليقين ، المبالغ فيه احيانا ، هو ان الحضارة ، التي هي موضوع البحث ، بايجادها وسائل للتهديم مريبة الى اقصى حد ، وبانقسامها على ذاتها الى كتل متعاكسة ، يستحيل اتفاقها ، ستعمل عاجلا او آجلا على تفجير الطاقات الهائلة التي لا يمكن كبت عناصرها . اي انها سوف تستعمل اسلحتها ضد نفسها ، وتقضي هكذا على وجودها .

فنحن ازاء خصومة صميمية وانفصام عميق في صلب الحضارة . بهذه التعابير اعتقد انه يمكن ترجمة اضطراب معاصرينا الذين فقدوا جأشهم تلقاء مشكلة هي في الواقع جد مقلقة . ولكن تلك هي ملاحظة غير كافية ، لا تملك اكثر من قيمة موضوعية لمجرد ملاحظة . « فان كنت املك سلاحا فهو للقتل . »

واذا كان الموضوع حاضرا على هذا الشكل ، فان الانتباه البطيء المتأخر له ، لا يمكن ان يربح في الحقيقة الا من حيث انه راهن واقعي . ولكن المشكلة اكثر تعقيدا مما يتراءى ، وتستحق ، ولا ريب ، التعمق فيها اكثر . ولست لادعي انني ساجمل في نظرة خاطفة مجموع المعطيات التي ينتج عنها بالضرورة بناء مذهب شامل متماسك . فتلك هي مهمة تتجاوز في الواقع طاقتي . فانشاء مذهب شامل على هذه الصورة ربما يتطلب الصبر والتعاون الواسع لجملة من العلماء الاختصاصيين ، لكي يمكن مقارنة الفروع المختلفة للفعاليات الانسانية واقتراح المعطيات الاساسية ، وفحص النتائج التاريخية والعلمية بواسطتها، وابراز جميع القيم الانسانية ، وبذلك اقامة القواعد النهائية لعلم كلي ، يكون موضوعه ابانة الطريق والهدف للانسانية ، التي ما زالت حتى اليوم تائهة عنه . وبدون ذلك فان كل نزعة جزئية ، وكل مذهب لا يهتم بالقوانين الاساسية لهذه النزعة الانسانية ، سيغرق بالوهم ، ومن حيث هو انتاج الخيال او لبعض الجدل الاعتباطي ، فلا يفسر بالتالي الا الصعوبات الناتجة عن العمليات الثانوية ، التي ليست هي الا افتراضات اختلقتها الحضارة ، فانه سيوجه عاجلا او آجلا الى فصل رابطة التفاهم التي تصله بالطبيعة والى العودة هكذا الى حالته الاولية الاصلية ، اي الى الطبيعة ذاتها .

وعلى ذلك ، فان الاضطرابات الكبرى التي تزعزع عصرنا والهزات المخيفة التي تهدد الجماعات ، كما تهدد الفرد ، تنبيء بوضوح عن الصراع القائم بين الطبيعة والمدنية . وهو ليس باعتقادنا سوى عبارة عن تكثيف الطاقات الحيوية المستعارة والمجمعة . وبما اننا نشيد بناءنا من العناصر المقتبسة من الطبيعة فالى الطبيعة ذاتها سنعيد لا محالة العناصر التي تخصها لذاتها .

ولكن ها نحن نجد انفسنا في صميم المشكلة التي تشغلنا. فما هي الحضارة ؟ « ان الحضارة هي مجموع الفعاليات المكتشفة والنتائج المحصلة والموجهة لغاية السيطرة على الطبيعة » . فهي بحسب مظهرها الخارجي الموضوعي لا علاقة لها بالفعل ، وانها عبارة عن تقنينه ومحصول تجريبي ، انجز وتكامل بفعل التعميمات . ولكن في الحقيقة فان كل الرفاه الذي ندعيه ، والمساعدات التي قدمها الينا نمو الصناعات الحديثة ، ان هو الا امر متواضع اذا قورن بمختلف انواع الشقاء اللامتناهية التي لا تكف عن معاقبتنا . اذ ان الانسان ، بحسب قانون نفسي صارم ، يتحد ، بشكل لا مناص منه بوظيفته ووسطه وعصره وتقاليده وبفكرة ما او مفهوم ، ودين ، ومكان وزمان. ويتحد اخيرا باله يخلقه حسب صورته . وهكذا فان الذات التي تحيا بفضل عملية فكل توحيد يفترض ذوبان الذات في الموضوع.



مضاعفة داخلية وخارجية ، تثبت بواسطة الموضوع الذي تتمثله وتسقطه في آن واحد . عندما اتحد مع موضوع فانني اصير الموضوع ، والموضوع يصير اياي . وهكذا على المستوى الاجتماعي كما هو في المستوى الفردي ، فان كل عضو ، وكل موضوع مبدع نتيجة الضرورات الواقعية، يفترض وظيفة متكافئة ، وتلاؤما ، ويفترض اخيرا اتحادا كاملا بهذه الوظيفة. وكذلك فيمجموعة الوظائف الثانوية(١) التي لا تحصى ، اي في كل ما لا ينهض مباشرة من الطبيعة ، فالانسان المتحضر طبعا ، والمفكرون خاصة بحسب درجة ذكائهم وقدرتهم على التلاؤم ، الا ندرة من الشواذ ، ينتهون الى الاتحاد ، بشكل لا شعوري ، مع هذا المستوى الثانوي الذي ندعوه اجمالا الحضارة او التاريخ . وسواء اكانوا ملتزمين ام غير ملتزمين ، فانهم ينجزون ويتقبلون في آن واحد فعلا هو لهم ، وفي نفس الوقت ، هو فعل تابع للجماعة التي تفرضه عليهم . وها هم يستولي عليهم اختلاط لا يرحم، ويجعلهم فريسة لفعاليات الآلة الاجتماعية التي يتزايد تعقدها دائما ، بحيث يصبحون فيها من جملة عجلاتها التي لا تحصى ولا تقاوم .

وحينئذ يكفون عن كونهم هم انفسهم تحت تأثير الموضوع . فليس لهم انا خاصة . ويخضعون ويتلاشون تحت شخصية الوظيفة التي يمثلونها . وقد يعترض علينا بالقول انه امر طبيعي ان يتحد الفرد مع بعض الموضوعات الموجودة بالضرورة في العالم الخارجي ، والا فان الانسان يتحول الى تجريد فارغ من كل محتوى ، وينتهي ، كما في بعض الحالات المرضية النفسية ، الى ان يفقد حتى معنى الانا ، التي من وظائفها وظيفة تقوم حتما في العلاقة التي ينشئها الانسان مع العالم الخارجي ، او بالاحرى مع الموضوع الذي يتمثله ويجعله من ذاتيته .

ولكنني ، كنت اشرت مرارا ، حسب وجهة النظر التي تشغلنا ، الى ان هذا الامر ، بالنسبة للحضارة ، ان هو الا اتحاد مع الوظيفة الثانوية التي ابتكرتها امكانات المستوى الاجتماعي الاعتباطية الذي نعيش فيه . فما ينبغي انجازه عفويا ، بالتطابق مع قوانين الطبيعة ، يتحقق هنا بالتبادل والتواطؤ . وعلى ذلك فان الانسان ، وقد اصبح مركزا للتناقض ، يدور حول مشاكل يحاول عبثا حلها . وهذه الحالة تخلق في نفسه الشعور بالعبثية فيسعى الى ان يشيد عليه فلسفة في الوجود . فيتحدث عن العدمية والقلق والجنسية . وبعد ان فقد تذوق الحياة تحت تأثير الكبت ، فانه سيناضل ضد ضيقه وشدته باصطناع الرصانة والنباهة . ولكن تفكيره وهمي ، وانتاجه فريسة التعارض ، وما هو بعد هذا الا مخلوق مسكين غريب ، وتلميذ ساحر سخيف ، يحارب يائسا في محيط من الصعوبات تتضخم دون انقطاع ، صعوبات كان هو قد صنعها ودون ان يدري . ولقد يصل احيانا بشيء من التعليلات المرضية الى اشادة نظم فكرية متماسكة ، واقامة مذاهب قابلة ، بفضل شمولها ، لضم عدد لامتناه من الاوهام والاخطاء ، والترهات واحتواء الضلالات ، نتيجة اختلال التوازن ، الذي هو ، لا مراء ، الطابع المميز لكل تواطؤ فكري مصطنع . فالحضارة هي التواطؤ ، وعلامة هذا التواطؤ ، كما نعلم ، هي الهستيريا الفردية والجمعية .

وقليلا ما نستطيع ان نجرد فكرنا من عاداته التقليدية ، اي اذا توصلنا عن طريق عملية تجريدية ، الى تعرية الافراد من خصائصهم وتصانيفهم المتفق عليها ، والتي هي كما رأينا تحديدات اعتباطية ، تمثل في أحسن اشكالها ، مجرد علائق صورية ، وباعتبار انها وظائف خاصة ، فأنها تجعل للعلائم المميزة للافراد العائشين في المجتمع طابعا ذاتيا ، وهذا ينطبق سواء على المشرعين والاطباء والمحامين والمهندسين الخ ... اقول فاذا تحررنا من هذا التصور التصنيفي الاسمي ، فاننا نرى انفسنا داخل بحران هائل من العلاقات المختلفة المتداخلة في اسبابها ونتائجها ، علاقات من الافعال والقابليات ، من البراءة والاجرام ، من الحاجات والاعتداءات ، وانواع الكبت ، والحب والكره ، والحرب والسلام . وها نحن اخيرا تلقاء تعليل حركي للعناصر المتفرقة اشد الافتراق ، التي تؤلف في جملتها اطار الحضارة والاقتصاد النفسي والحيوي للنوع .

وما ان نتعمق هذه المشكلة ، حتى تثير انتباهنا مجموعة من الوقائع البالغة الاهمية . وهكذا نصل ، بدراستنا للاشكال العالية في الكبت التي يعانيها الفرد المتمدين ، الى ان نلاحظ ، بفضل مبدأ الاتحاد مع الموضوع الذي درسناه بصورة مجملة ، وبفضل آلية الكبت كعامل توازن مع طبيعة التواطؤ ، نصل الى ملاحظة ان المختصين ، او بالاحرى ، التجسيدات النموذجية للوظائف الثانوية ، المتجلية مثلا في الاطباء والمحامين والمهندسين ... وحتى الفلاسفة ، بحسب درجة اتحادهم الجزئي او الكلي ، هذه التجسيدات تقدم الصورة الكاملة للتناقضات والتعارضات التي تميز عصر هؤلاء .

واليوم يتحقق الكثيرون ان هذا الصخب الجهنمي للآلات ، وهذا السباق العاجل ، الذي ما هو في الحقيقة الا فرار ، وهذه السرعة المتفانية ، ان هي الا الاسباب المباشرة لعدم التوازن ، والقلق ، والجنون النسبي الذي نحيا فيه جميعا . غير ان الثورة الاجتماعية قد حققت ، على ما يبدو ، ثمارها ، وهو ان الجهل والتعصب قد ازيلا ، والدين الذي كان يبدو انه مخدر الشعب ، قد اضمحل ، والجحيم الذي كان في المستوى الاعلى المرجو اصبح منذ الآن هنا ، وهو ما كنا انشأناه نحن بيدنا ، وقد اصبح جزءا من نظام وجودنا . فقديما كان الجحيم معوضا عن القلق ، ولعله شيء لاصق بطبيعة الانسان ، وقد اراد الانسان ، بفضل نوع من التواطؤ ، ان يسقطه خارجا عنه ، الى ما وراء الموت . وبهذا الشكل يؤجل عقاب الخطيئة ، التي كان يمكنه ان يخفف منها في الماضي بواسطة الاضاحي

---

(١) اعني بالوظائف الثانوية ما ليس هو ضروريا مباشرة لحفظ النوع.

والطقوس الخاصة . اما اليوم ، فان جهنم قد اصبحت في هذا الزمان والمكان حيث نحيا نحن ، نعاني الالم الرابض على صدر كل لحظة ، وجها لوجه تلقاء الواقع القاسي الذي يسحقنا ويهلكنا ، دونما امل او انعتاق . « فليس في الامكان احسن مما كان ». والمنطق الخالص يقول :تعذب ومت. وامام هذا المشهد من البؤس والخجل والخزي والذل ، ومن الثورة والخيبة ، نرى بعض النبلاء من ذوي الفطنة والشجاعة يخفضون الصوت ، وينغلقون على انفسهم ، ويحاولون عبثا ان يجدوا الايمان بالعودة الى ملجأ اعلى . ولكن للاسف فانهم خابوا وضلوا !

وهكذا ، فالعالم الانساني مضطرب حتى اسسه العميقة ، وفكر الملايين من الناس يتحلل او يتحول الى فكر آلي . وكل فرد يمضي مسرعا كيما يقبع اخيرا في قرارة الهوة . وفي هذا العالم اللامبالي ، المليء بالعدم والمشقة الكبرى ، يجد بعض البحاثين والكتاب جميع عناصر الفوضى والتحلل، فيحاولون انشاء مذهب انساني او فلسفة في الوجود ، (وباستعمالهم لطريقة في الجدل مركبة من جميع القطع المستعارة) لا يلبثون ان يعتبروا ان كل شيء عبث . ولكن ليس هذا موقفا جديرا بمفكر حقيقي ، وان هو الا صوت (الانسان — الحيوان) الثائر ضد وضعه الخاص وهو (الانسان — المتمدين) وان ذاك لهو الدفاع الاصم للغريزة ضد وحشية النزعة العلمية والنزعة الآلية ، كما هو ضد النزعة التوفيقية المقابلة . ونحن لا نشك ان الوجود في صميمه ، ان هو الا صراع الغرائز التي تفترض ، بسبب الوجود ذاته ، الالم الداخلي . ولكن هذا الالم صحيح ، مشروع وضروري . ومن العبث ان نقبل بموقف معاكس له ، وهو ينطوي على ثورة او خيبة ميتافيزيقية. اذ انني موجود ، ولكوني موجودا ، فلا يمكنني الا اوجد . وهكذا ، فانني باتحادي مع الصفات السلبية للاوجود ، التي لا تملك اي معنى ، انفي عن نفسي بارادتي ميزة كل اثبات جوهري ، الاثبات الذي هو مبدأ او مصدر كل حياة .

اذ ان الحياة ، باعتبارها مظهرا من الوعي ، لا يمكنها ان تكون الا اثباتا لذاتها ، اولا تكون شيئا على الاطلاق . فهؤلاء الذي بالغوا في تذوق واستساغة الوهم والعدم والوحشة التي تعم كل ميتافيزيقا، يعتمدون بذلك على بعض الافكار . فالعالم ، وهو في الحقيقة بسيط في جوهره ، ساذج وعفوي في غرائزه ، قد شوه واذل بفعل تحلل انصاف الحكماء . وهذا يسمح لي ان اضيف ، وليس ذلك عن غير جدارة ، بل باعتباري مواطنا في هذا العالم وانسانا بين الناس ، مما يمنحني الحق بان احكم على امثالي ، فأقول ان هناك قدرا كبيرا من عدم الجدارة الواضحة والانانية المضخمة المقنعة بشجاعة هلوع ، في موقف كثير من الكتاب والمفكرين العصريين ، فهؤلاء ، عشاق الافكار السوداء ، لتقبلهم ، بهذا ، نوازع العصر ، يبغون بأي ثمن كذلك ، ان يكونوا الاوائل في فن الالم وفي اثارة الالم . فلا يقبلون بأي ثمن كذلك ، ان يكونوا من القانعين الطيبين الكرماء ، خشية ان يوصموا بانهم من الاغبياء غير العصريين . حتى ان مجتمع النخبة يقبل ان يغامر مغامرة الضجر القتال حتى يبقى محافظا على رفعته في عين ذاته والآخرين .

ودونما حاجة الى الكلام هنا حول الم الوضعاء ، او كما يقال اليوم (شقاء الكتل) ، اقول ان العالم قد استذل اذن في اشد عناصره فعالية ، واكثرها عمقا ودلالة الا وهو المه . في الحقيقة فان الم الانسان المعاصر يتناسب معه قليلا وهو الم مرضي مؤذ ، يبالغ فيه غالبا ويساء توجيهه ، حتى فقد كل عنصر من الجدارة او التمييز والتسامح . فلا يمكن ان نملك اية عاطفة رأفة او تقدير اتجاه اي انسان ، تجرد المه عن الرفعة الحقيقية ، ودون ان يستوحي موقفه على الاقل من استسلام اعف شجاع تلقاء الحياة . فهذا هو وحده العظيم من يتقبل المه ، ويجعل منه الما نبيلا ، بالتأمل ، بالعمل والايمان ، وبشيء من الشجاعة العنيدة التي لا تتنافى مع البطولة والطيبة .

فالرحمة والعذوبة والطيبة ، ان هي اليوم الا قيم مشكوك فيها . وقد اسيء فهم (ارادة القوة) عند نيتشه، من قبل هؤلاء الذين لم يعرفوا كيف يتعاطفون مع اليـاس الوحشي الذي عاناه المبدد العظيم للاوهام : نيتشه .

بعد هذا الاستطراد القصير ، لنعد الى ما هو اهم في موضوع دراستنا ، واسعى ، قبل انهاء ملاحظاتي المتعلقة بالحضارة ، الى ان افحص بشكل اعمق ، موقف اوربا من الصراع الحالي ، الذي بقدر ما هو مهد للحضارة ، فانـه خاص بها .

فماذا نرى ؟ علماء ، فنانين ، ادباء ، شعراء ، جميعـهم يرفعون عقيرتهم ، ويتسابقون ، في عبقرياتهم ، الى اظهـار العناصر الكامنة في اساس الانهيار . وقد وضعوا اصبعهم على الشر الدوري الذي يفترس ، بغمضة عين ، مدينـة محتضرة . وجميعهم قد حللوا وفصلو ، وغـرقوا في الجزئيات ، وليس ثمة ، من عمل واحد تركيبي انشائي . ولا نكاد نسمع بعض اصوات مدوية هنا او هناك ، الا وهي مرتعدة مترددة ، بعد ان قامت بتحليل لامتناه ، ارجعت فيه كل شيء الى اللاشعور الابتدائي ، الذي ما هو الا شكل من العدم .

ان اوربا تعاني الهزيمة ، وممثليها الروحيين قد قرعوا ناقوس الخطر . ومن جهة ثانية ، الم يشاركوا هم انفسهم، في العمل التهديمي عن طريق ايمانهم بالنزعة العدمية ؟ ان اللاشعور الجمعي يفترس ضحاياه وان المحكمة الخفيـة لا تبريء منهم احدا مطلقا ، حكاما ومحكومين . فالحاكم يجسد الجريمة . والطبيب يكافح يائسا ، المرض الـذي يحمله في ذاته . والسياسي ، هذه الدمية التعسة الغافلة، ينوء تحت ثقل اتهامه لذاته اللاشعوري . ولا يستثنـى منهم ، رؤساء العقائد والجمعيات المختلفة ، الصميمون . انهم يعلمون ، رغم كل شيء ، انهم لا يمتون الى الجماعة الانسانية باقل مما يمتون الى جماعاتهم ، وبهذا فهـم يشعرون بوضوح فشلهم .

فالزعماء قد اعلنوا الخطر . ويجهدون في تجاهل المعول الهدام ، او بالاحرى في الفرار منه ، المعول الذي يحملونه في ذاتهم ، والذي يقودهم ، لا محالة ، الى الاستقرار في جوف الهوة ، هم ومدنيتهم المحتضرة التي يمثلونها . ويمكن ، بكل تأكيد التحدث عن تصفية النزاع والتحرر والوعي ، ولكننا نعلم كم هو الامر صعب ، لتوجيه الطاقات اللاشعورية المحررة خاصة فيما يتعلق بمشكلة جمعية على هذا الجانب العظيم من الاتساع والشمول .

ولقد اصبح من السهل ان نعلم لماذا قد رجع بـعض الباحثين الى الدين كوسيلة للسلام ، او كنوع من السحر اللاهوتي الضروري لاعادة التوازن النفسي ، وذلك تلقاء افلاس النزعة العلمية والآلية ، وتجاه الذعر الذي يهـدد بزوال كل شيء .

غير ان اله الغرب قد مات . الم يشرح ذلك نيتشه ؟ وفرويد وتلامذته الم يأخذوا على عاتقهم التشريح؟ وما زالت بعض العقول الجريئة المستنيرة تحاول ان تحصل عـلى بعض البركات من الجثة المشرّحة . غير ان الزمان يثور ، والايمان يضطرب ، والمخلصين ان هم في الحقيقة الا اشخاص غير مؤمنين ، والبخور لا يكاد يعلو فوق البلاد الدخاني الذي ينثره الانفجار الذري . وليس كل هذا الا بهرجة عقيمة تريد اخفاء حاجة التعالي الكاذب .

لقد خسرت اوربا المعركة ، وقد أصاب الهلع اعظـم المتنبئين ، في عالم بدون اله . ولا شيء غير التنبؤ عن زوال العالم « فليس في الامكان ابدع مما كان » .

هل يمكننا ترى ، نحن شعوب الشرق والغرب ، بفضل جهود بطولية ، خارجية عن كل عقيدة او طقـس مـن الطقوس الجامدة ، ان يخلق ثانية انسانية عالمية ، بدونها يكون الانسان بعد تصعيد طويل مجيد ، قــد اضاع البوصلة الروحية ، مفرغا من كل جوهر انساني ، ذلك الارث المقدس النازل الينا من الملايين ، هذا الانسان يكـاد ان يبتلعه السلم الحيواني ثانية ، الذي هو فيه يشكـل اختلافا واضحا . فالانسان باختلافه عن الحيوان بالفكـر والابداع ، يريد ان يتحول الى مبدع وان يرتفع الى مصاف (الآلهة) ، واليوم ، يتضح الامر كما لم يتضح من قبل ، فان الانسان لن يستطيع باي ثمن ان يفر من المفهوم الميتافيزيائي العالم ، اذ ان اعماقه الخلفية التي لا تسبر ، انما تتصـل بالالــه .

وارجو ان تعذروني ايها الاوربيون اذا انا خضـت في مشاكل هي خاصتكم بالدرجة الاولى . غير انكم بالرغـم من كل شيء ، ان انتم الا اوربيون تحيون في اوربا المذعورة، اي انكم بالضرورة محوطون بزوبعة من الوقائع الـتي تتجاوزكم . **واكثر ما يمكنكم هو اعلان الخطر ، ولكن ليس الشفاء منه .**

ان الابن الرهيب ، الذي هو اوربا ، اللحـوح الخـائب باطماحه واطماعه ، تغذى حتى الآن من احشاء امه العميقة اسيا ، بعد ان فجرت جميع مصادر قواها اللامحدودة ، تجد نفسها اليـوم ، وقـد خدعتهـا طيبتهـا ، مهضومة الافضال التي ينبغي ان تعود اليها بشكل طبيعي. غير ان الام الرهيبة تهدد ، وتعلن حقوقها . والابن العقوق يخرج من احضانها ، بعد ان سبب لها المزيد من الالم . وانها لتطالبه في النهاية الحساب عن جميع ضلالاته .

ان الصين ، والهند ، واليابان ، وافريقيا والعرب ، وجميع الشعوب العربية من الشرق الادنى قد استيقظت. وان الام الجبارة للشعوب الباغية (اوربا) قد اخـذت في الصعود ، فمن سيوقفها ؟

لن اطيل البحث اكثر ، او بالاحرى لن اسعى الى معرفة

ما اذا كانت الازمات التي تخترم العالم تنبيء عن نهاية مدنية ، او انها اشارات عن بعض الانحرافات والاضطرابات الخطيرة . ولا يبدو ان ذلك سيكون على شكل انهيار يودي بالحضارة فجأة الى اعماق الهاوية . ان الحضارة بالاحرى تخضع الى قانون عملية بطيئة من عدم التوازن ، يصاب دوريا بانفجارات مفاجئة ، تترجم ظواهرها المميزة بالثورات والحروب .

فليس اذن باستطاعة الانسان ان يتنبأ او ان يقيم المجرى الصحيح للحوادث التاريخية لكي يحدد نقطة التحول الفاصلة فيه التي ستسجل نهاية او بداية حضارة ما . ولربما كانت هذه النهاية الموهومة ما هي الا صلة وصل او معبر ، يشتمل فى نفس الوقت على تغير اساسي فى القيم ، ينجزه انتقال الطاقات الناتجة عن المحتوى الفكري والاقتصادي لشعب من الشعوب او لحضارة من الحضارات .

ولنشر الى ان انتقال الطاقات الكتلية من الحضارات مرحلة الحرب منه فى المرحلة المسماة بالسلم ، وهي الحرب المدركة فى معناها الطبيعي المباشر ، التي ان هي فى جوهرها الا حركة دورية لتجديد النمو الحيوي فى عملية مزدوجة التأثير فى الافناء والخلق التلقائيين . ان هذا الاستمرار الحركي يمثل فى وحدته اللامتغيرة الثابتة ، الحياة ذاتها وان هذا الفعل لمستمر دائما ، وليس فى قدرة البشر ولا « الآلهة » ايقاف جريانه . وما يبدو منه فى ايام السلام بشكل معتدل ، منبئا عن استعداد له ، بصورة تختلف انتظاما ، او موازنا فى قوى الطبيعة ، فانه ينتشر فى ايام الحرب على شكل حركات مفاجئة وانقطاع واختلال توازن فى الطاقات المستعملة لغير اهدافها الاصلية ، بحيث لا بد ان يعود التوازن المختل بقليل او كثير من الطاقات المستعادة .

فمن الضروري اذن حدوث اضطراب كلي فى القيم فى سبيل اعادة التوازن فى نظام جديد هو نتيجة المنازعات التي تؤدي الى نوع من التركيب الجديد للاوضاع التي لعبت دور الضحية ظاهريا .

ان هذا الزوج روسيا ـ امريكا سيحقق هذا التركيب التاريخي الذي سينعكس من الان فصاعدا على آسياالواسعة، التي عليها ان تشخصه . وعلى ذلك فان الوحدة الانسانية دون ان تكون مجرد طوبائية ، لا بد ان تتحقق . ومع هذا فاننا سنحتاج الى اعادة الشباب الى روح الانسانية القلقة المستنفذة . ولكننا سنترك هذه المهمة للاجيال القادمة ، الى اولادنا ، الينا نحن الاحياء الاموات .

وفى الفصل الاتي سنعالج على ضوء النتائج المحصلة، المظاهر العليا للتعسية الانسانية وعلاقتها مع الحضارة . (*)

عزمي مورلي

تعريب « الآداب »

(*) فصل من كتاب « الانسان فى العالم » المعد للطبع ، وهو باللغة الفرنسية



قصائد من نزار قباني

منشورات دار الآداب ، بيروت — ٢٠٨ ص

●

مافتيء النقاد منذ شعر الانسان الاول بالهزة الروحية امام الجمال... جمال حواء ، وهم يبحثون حول ما هو زائف وما هو صحيح من اثر هذا الجمال . ولا اظن انهم استطاعوا حتى الآن ان يحددوا المعالم او ينيروا السبيل القويم الى هذا التمييز . وذلك لاسباب عديدة اولها ان حكم الانسان على شيء ما بانه جميل يتوقف على مدى احاطته بدنيا الجمال وطول معاناته . فاذا كانت دائرة اختياره ضيقة اباح لنفسه بطبيعة الحال ان يرعى كل ميسور له بالقبول ، في حدود دائرته الضيقة ، دون تحديد للقيم التي تخفى وراء القيم . وثانيا لان الذوق لايظهر على اصالته في التفريق المجرد بين القبح والجمال قدر ظهوره في التفريق بين جميلين قرب بينهما الجمال او كما يقولون في لغة الاقتصاد في الدرجة لا في النوع . وهنا لا غناء للناقد من الرجوع الى اختياره الذاتي الذي لا يستطيع ان يشاركه فيه سواه لانه جاء نتيجة للممارسة الطويلة لعمله الواعي في النبذ والاختيار .

على ان هناك ميزانا واحدا لايخطيء ابدا . فالاثر الجميل يروعك .. لابد يروعك ... لاول وهلة .. الى حد . ولكن من الزم صفاته انه يدفعك — بعد — على ان تعاود اثره لتجدد عهدك بتلك الروعة مرة بعد مرة في قابل الايام . فلا يزداد الاثر على طول التقادم وترديد النظر الا جدة وجمالا . أو كما قال أبو نواس :

يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظرا

ومن بين شعرائنا الذين يتسم شعرهم بهذه الصفة في الجمال نزار قباني الشاعر المفتون الذي اخذ على نفسه ان يستوحي المرأة سر فتونها تحت كل سماء .. من انقره الى لندن .. ومن قرطبه الى باريس .. بله ماتتمتع به دمشق بلد الشاعر وحدها من آثار الفتون . هذا من ناحية الموضوع . واما من ناحية الصياغة فكأنما قدر له ان لايترك بابا للتجدد والابداع الا طرقه منتقلا من عمود الشعر كما عرفه البحتري .. الى الشعر الحر الذي أخذ يتنافس فيه شعراء العراق .. الى الشعر المرسل الذي يتفتق عنه لبنان وهو يميل به النسيم الغربي .. الى الشعر المنثور الذي هو في اصالته تراث عربي بحت ... كما سترى في شعر هذا الشاعر الرقيق .

اني اعتز بصداقة نزار الذي تفضل فبادهني بالمراسلة يوم كان في انقره ، ورحب بي عشية اجتمعنا في بهو النادي العربي بدمشق . ورافقني في سهرات لاتنسى عندما القيت عصا التسيار في عاصمة الانكليز . وكان في كل الظروف شخصية حلوة جذابة تعديك بتفتحها وتفاؤلها وابتسامها للحياة وصراحتها التي لا يشوبها في النغمة كذب او نفاق . وقد ظهر اثر كل ذلك في شعره الذي جعله اليوم يقف بين المدارس المعاصرة مدرسة وحده .

وماذا اروي لك من شعر نزار وكل شعره جميل من الفه الى يائه .؟ اسمعه كيف يوجه قوارعه الشعرية الى تلك التي احبها ثم اتهمها باللؤم .. الى لئيمة .

ماذا لديك .. فعندي — من راحتيك اعتراف
رسائل .. ورسوم .. — تترى . فماذا اخاف
اكداس حب .. فهذا — رسم .. وهذا غلاف
خزانتي منك ملأى — بيض ... وزرق لطاف
لاتحرجيني .. فثارى — ثار . وسمي زعاف
وذاك .. رسم قديم — اطاره رفاف
رسم لنا يوم كنا — بنا تضيء الضفاف
لاتهتفي ليس خطي — فللسطور هتاف
الحرف حرفك .. فيه — تأنق والتفاف
هذي وثائق حقدي — وكلها اهداف
وتصرخين .. « جبان » — زور .. وقول جزاف
انا جبان ؟ سوادي — ثلج وعهري عفاف

...

لالن ينولك غيري — وفي يدي اعتراف

هذا في شعره الذي داعب فيه القافية مداعبة العاشق لمن يعشق . ولكن اصالة هذا الشاعر تتجاوز القافية الى الكلمة الى الحرف الى الصدى ... حتى الصدى عنده لاتنقصه الاصالة . هذه قطعة له كتبها في غرناطة قبل عام :

الراقصة الاسبانية .
تقول باصابعها كل شيء ...
والرقص الاسباني هو الرقص الوحيد الذي يستحيل فيه الاصبع الى فم .. النداء الساخن ..
والمواعيد العطشى ..
والرضى .. والغضب .. والتمني .. والحنين ..
كل هذا يقال .. بشهقة اصبع .. بنقرة اصبع ..
انا في محلي
وسمفونية الاصابع .. هناك .. تحصدني ..

تشيلني ..
تحطني ..
على تنورة اندلسية .. سرقت زهر الاندلس كله .. ولم تسأل ..
وسرقت نهار عيوني ولم تسأل ..
انا في محلي ..
والكأس العشرون في محلها ..
وسمفونية الاصابع .. في اوج مدها وجزرها ..
والمطر الاسود .. المتساقط من فتحات العيون الواسعة ..
شيء لايعرفه تاريخ المطر ..
لاتذكره ذاكرة المطر ..
انا في محلي
فيا مطر الاعين السود .. سألتك لاتنقطع .

فهذا شعر وان جاء بدون وزن ولا قافية . شعر لان اصالته فيه وعاطفته فيه وموسيقاه فيه . شعر لانه يصدر عن فم شاعر .

ولنزار محاولات ناجحة في الانطلاق من قيد وحدة القافية . كما في قصيدته « حبلى » التي انشدني اياها في منزله العامر بدمشق اول لقائي به . وكان غير واثق اذ ذاك من نفسه فشجعته على المضي في التجربة وهو في غير حاجة الى التشجيع . حتى انتهى به الشوط الى اعلى عليين . وكانت قصيدته « حبلى » فاتحة تجاربه الجديدة ... واليكها

لاتمتقع . هي كلمة عجلى
اني لاشعر انني ... حبلى
.. وصرخت كالملسوع بي
« كلا »
سنمزق الطفلا
واردت تطردني
واخذت تشتمني
لاشيء يدهشني
فلقد عرفتك دائما نذلا ...
وبعثت بالخدام .. يدفعني
في وحشة الدرب
يامن زرعت العار في صلبي
وكسرت لي قلبي
ويقول لي مولاي ليس هنا ..
مولاه الف هنا ..
لكنه جبنا ..
لما تأكد انني حبلى
ماذا ؟ أتبصقني
والقيء في حلقي يدمرني
واصابع الغثيان تخنقني
ووريثك المشؤوم في بدني
والعار يسحقني
وحقيقة سوداء تملأني
هي انني حبلى ...
ليراتك الخمسون
تضحكني
لمن النقود ؟ لمن
لتجهضني
لتخيط لي كفني
هذا اذن ثمني ؟
ثمن الوفا يا بؤرة العفن ..
انا لم اجئك لمالك النتن ..
شكرا
سأسقط ذلك الحملا
انا لااريد له ابا نذلا

هذا هو الشاعر نزار قباني شاعر الكلمة المتبرجة في الاسلوب الانيق من ناحية الديباجة وشاعر حواء الاول من ناحية الموضوع *

ابراهيم العريض



سورية في الادب المصري القديم

دراسة بقلم انيس صايغ

مطابع لبنان ، بيروت – ١٧٨ ص

مهما قيل في دراسة التاريخ وماهيته كعلم يبقى اعتباره قصة استشراق الانسان فى الزمان ، حيث يتعرف الى ماضيه الذي يحيا فى خاطره ويتفهمه فى تخطيط مستقبله ، يبقى هذا الاعتبار واقعا لا سبيل الى نكرانه . ودراسة تاريخنا القديم تدخل فى نطاق هذا الاعتبار اذ انها تعرض قصة الشعوب التي عاشت في هذه البقعة من العالم وعلاقاتهافيما بينها في الحرب والسلم على الصعيدين الدولي والشعبي وتعكس لنا فى حاضرنا الواقع الذي هو ماضينا .

مصادر الدراسة التاريخية القديمة ليست سهلة المنال ولا هي وافرة العدد . فالارشيف كما نعرفه اليوم فى دولنا الحديثة منبعا يستقي منه المؤرخ معلوماته ويقرأ بين سطور وثائقه ترجيحاته النظرية والتفسيرية لم يعرفه القدماء ، وان كانوا قد عرفوه واعتمدوه على نمط مختلفة ولغاية اخرى فلم يبق لنا منه الا النقوش على الحجر الاثري او بعض لفائف البردي واطماره ، كما هي الحال فى رسائل تل العمارنة . والكثير من آثارنا لا يزال مدفونا في بطن الارض ينتظر العالم المنقب لكي يبعثه من

* اذيع من محطة اذاعة البحرين .

جديد ويدرسه ويستخرج منه معلومات جديدة واضافية للتاريخ . فالتنقيب عن الاثار يكشف عوالم جديدة ويفض مجاهيل كثيرة امام المؤرخ .

وثمة مصدر آخر لا غنى للدراسة من اعتماده والاستعانة بذخائره ـ الادب . فهو مرآة تعكس الى حد بعيد أوضاع الشعوب في جميع نواحي حياتها وفى علاقاتها فيما بينها ونستشف من خلال قراءتنا لنصوصه نفسية الشعب التي تكمن فى مدلولاته ومستواه الحضاري الذي تعبر عنه معاني مقطوعاته . والادب القديم ـ على الخصوص ـ من اطرف المصادر فى دراسة التاريخ لانه ينبوع معلومات يحتاج الى الناقد الفاحص والمدقق كي يستخرجها ويصوغ من مدلولاتها المقومات التي يعتمدها في تأريخه وبناء مقدماته التي ترتكز عليها نتائج دراسته .

وكتاب انيس صايغ عن « سورية فى الادب المصري القديم » يدخل ضمن دائرة هذه الدراسات التاريخية التي ما زلنا نفتقر اليها والى الوضوعية والتجرد والنظر الثاقب فى معالجتها وبحثها . فقد اعتمد المؤلف على الادب كدلالة على علاقات تاريخية قائمة بحكم الجوار والجغرافيا نمت وتطورت وعبر عنها الادب فى ابداع فني جميل . وكان قد درس هذه العلاقات عبر التاريخ من نواحيها المتعددة مفصلا فى كتابه « العلاقات السورية المصرية فى التاريخ » الذي لولا اوضاع خاصة ـ نذكر منها موقف دور النشر فى لبنان من المغامرة باصدار مثل هذه الدراسات ـ لكان الاستاذ صايغ طبعه ونشره قبل هذه الدراسة عن سورية فى ادب مصر القديم . لان هذه الاخيرة هي تكملة او تطبيق ملحق للنتائج التي توصل اليها فى بحث العلاقات التاريخية بين البلدين . وفضلا عن ذلك فدراسة العلاقات فى التاريخ تسهل على قاريء هذا الكتاب ان يتتبع ظروف القطع الادبية التي تعتمدها هذه الدراسة .

وفى اعتماده على الادب كمصدر لدراسته رجع الى نصوص مقطوعات من الادب المصري القديم فترجمها عن اللغات التي نقلت اليها مقابلا الترجمات العديدة والمختلفة احيانا مع بعضها البعض ومتمسكا بحرفيتها قدر الامكان بعد ان كان قد مهد لكل منها بدراسة تقديمية عن تاريخ تدوين النص واكتشافه ودراسته وعن الاسلوب والقيمة الفنية البارزة فيه . وهو فى هذه الدراسة ـ كما يذكر فى مقدمتها ـ يوجه عنايته الكبرى « الى الغاية الكامنة وراء الترجمات والتعليقات وهي النظر فى مدلولات ذكر سورية فى الادب المصري القديم ودوافعه وحقائقه ونتائجه . »

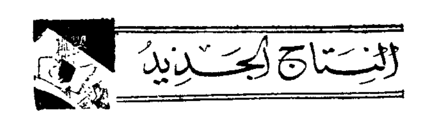
فالمؤلف ينشر لنا مدلول ذكر سورية اينما ورد فى هذه القطع حتى وجد نفسه يلقي ضوءا جديدا على تلك « العلاقة الادبية العاطفية المحدودة » التي يجزم بانها تعكس كل العلاقات التاريخية بين البلدين .

والكتاب يقسم الى قسمين تبعا للتصنيف الذي يجريه المؤلف على المقطوعات الخمس والعشرين التي يبحثها ، قسم اول يدرس ادب الرحلات المصرية الى سورية وتمثله اسطورة ايزيس واوزيرس وقصة سنوحي الشهيرة وقصة الاخوين وغيرها من المغامرات والتقارير ، وقسم ثان يشتمل على ادب الحروب السورية ـ المصرية يبحث فيه عن الهكسوس ، ملوك الرعاة السوريين ـ فى مصر وعن قصة احتلال يافا التي تذكرنا بخدعة حصان طروادة فى الياذة هوميروس وعن ملحمة قادش وبعض الحكم والمدائح المنوعة . ويلاحظ المؤلف من خلال دراسته لهذه النصوص نمو العلاقات بين البلدين ونطورها فى ادب مصر القديم . وهو يرفض فى كثير من الاحيان تحيز الادب المصري ضد السوريين وتحامل المصريين على مدنية سورية ورقيها الحضاري . فمجرد الذكر المتواصل لسورية يدل على مركزها الثقافي فى العالم القديم ومنزلتها عند المصريين .

ولا بد من التساؤل « ترى ماذا سيجد المؤلف فى دراسة « لمصر فى الادب السوري القديم » لو انه حاول تتبع ذكر مدلولها فى هذا الادب . اقول هذا ولا يوجد عندي اية فكرة عن المصادر التي يمكنه الاستعانة بها للقيام بهذه الدراسة المماثلة . عندها نستطيع مقارنة الروايتين واستقراء السمة العامة لعلاقاتهما فى التاريخ .

هذه الدراسة تمتاز اول ما تمتاز بجدتها وطرافتها وبكونها الدليل القاطع على استمرار الماضي فى الحاضر . فالمؤلف قد راعى الحقيقة التاريخية بدقة وامانة ولا تنقصه الموضوعية فى معالجة معطياته وصوغ الظواهر التاريخية العامة منها . فالكتاب من احسن ما اضيف الى المكتبة العربية من الدراسات التاريخية الطريفة التي صدرت فى هذه الحقبة . وقد جاءت ترجمة مقطوعاته بلغة سهلة واسلوب جميل مما يقربه الى القاريء . ولا ينقص مؤلفه النظر الثاقب والتحليل المجرد فى حسه التاريخي الذي تنبض به انحاء دراسته .

اسعد رزوق
الجامعة الاميركية ـ بيروت



نظرة في كتاب

"منجد العلوم"

بقلم : محمد حسن عواد

لم ينكر احد في العالم العربي من طبقة المتعلمين والمثقفين مابذله اصحاب المطبعة الكاثوليكية ، والاباء اليسوعيون في لبنان من جهود جبارة في خدمة اللغة العربية ، وهذه كتبهم المتداولة تنطق بهذه الحقيقة المشهورة في اكثر بلاد الشرق .

وقد اخرجت هذه المطبعة — حديثا — سفرا علميا دعته « منجد العلوم » تفريقا له عن منجد اللغة المعروف ، وهو عبارة عن كتاب مستقل طبع كملحق للمنجد ، وقد تناول تراجم المشهورين ، وتعريفات للعلوم ، وجولات قصيرة في التاريخ ، فكان بمنزلة دائرة معارف صغيرة قد لايستغني عنها كاتب او طالب او مثقف ، وهو تأليف « الاب فرناند توتل » احد اولئك الاباء اليسوعيين وهو موصى عليه بهذا من مؤلف المنجد ، كما سجل ذلك في المقدمة .

تناولت هذا المنجد الجديد ، او هذه الدائرة العلمية الصغيرة للاطلاع والاحاطة ، والتعرف والنقد ، فاذا بي امام سفر قيم مفيد اشير باقتنائه وهو على قلة صفحاته ، وهو من القطع المتوسط ، جامع لكثير من ضروب المعرفة حديثها وقديمها .

ولكن هذا الكتاب لم يسلم من النقص والخلل

وقل ان يسلم عمل عظيم من الخلل والنقص ، فسبحان من له الكمال المطلق . وقد خضع هذا الكتاب لهذه القاعدة ، وهأنذا اميط اللثام عن مواضع نقصه وخلله لاتعاليا عليه ولا انقاصا من قيمته العلمية ولكن غيرة على هذا الاثر النفيس ان يشوه حسنه بهذه الاخطاء التي ارجو ان يكون العامل الاساسي في وجودها هو السهو أو العجز عن الوصول الى الدقة المبتغاة لا عامل الغرض او التعصب للمذهب الكاثوليكي كما قد يتسرب الى ناقدي الآباء اليسوعين والمستشرقين الاجانب من المرسلين الامريكان واضرابهم ممن تصدوا للبحث العلمي ولخدمة الادب واللغة والثقافة العامة .

في هذا الكتاب الفاظ مشكولة بالغلط توضع عليها الضمة مثلا مكان الفتحة والفتحة مكان الكسرة وهكذا ، ومن هذه الالفاظ — على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر فهي اكثر من ان تحصر — كلمة « بقيع الفرقد » وهي المقبرة المعروفة بالمدينة المنورة فقد شكلها صاحب الكتاب بصيغة التصغير في صفحة ٨٠ وحقيقتها غير ذلك فهي بصيغة الصفة المشبهة على وزن رفيع وسعيد وعزيز ، و « البنجاب » في صفحة ٨٥ شكلها بضم الباء وصوابها الفتح فالبنجاب مقاطعة معروفة في الهند ويدل على ان صحتها بفتح الباء اصلها الهندي فهي كلمة مركبة من لفظتين : « بنج » بفتح الباء بمعنى خمسة و « آب » بمعنى ماء ، وهي تشير الى الانهار الخمسة التي تنبع وتعبر في المقاطعة وفيما حولها من البلاد ، واذن فلا معنى للتشكيل بالضم ، و « الخضر » في صفحة ١٧٧ وصوابها « الخضِر » بفتح الخاء وكسر الضاد وهو اسم الولي او النبي الذي التقى به موسى وتتلمذ عليه ، و « قُنا » في صفحة ٤٢٢ وصوابها « قِنا » بكسر القاف لا بضمها كما شكلها وهي بلدة مصرية معروفة فى الصعيد .

هذا انموذج من خطأ التشكيل ، والتشكيل فى حد ذاته ليس بالامر الهائل الا انه معرض للخطورة عندما يختلف المعنى باختلاف الشكل وهناك يقع القاريء فى ضلال كبير .

ولو اقتصر امر هذا الكتاب — فى خلله ونقصه — على مسألة خطأ الشكل لما استحق ان نوجه اليه عنايتنا بهذا النقد ولكنه تجاوز هذا المدى من الخطأ الى امداء اخرى بعيدة تتصل بالمعاني والاهداف والحقائق العلمية .

جاء فى صفحة ٣٠٥ من هذا الكتاب فى مادة « اخوان الصفاء » ان اساس مذهب هذه الجماعة هو ان الشريعة الاسلامية في حاجة الى الفلسفة . والواقع ان اي مفكر او اي عارف بالقوانين والشرائع او اي فيلسوف لا يمكن ان يخطر فى باله مزج الشرائع بالفلسفة او بالنظريات الفلسفية لان طبيعة الشرع طبيعة ايجابية حتمية صارمة تملى الاحكام وتضع الحدود ، اما طبيعة الفلسفة فعدم الاملاء وانما هي تشرح حوادث الوجود وتعللها وان ادى هذا التعليل الى مخالفة الاديان ، والتعبير بالشريعة الاسلامية فى هذا البحث بالذات يصرف النظر الى الدين الاسلامي فلا يلبث الامر ان يسرع التطرق الى قاصر النظر بان الدين الاسلامي فى حاجة الى الفلسفة ، او هو كذلك فى نظر اخوان الصفاء على الاقل ، واخوان الصفاء مفكرون احرار ولكنهم قبل ذلك مسلمون فاهمون مرامى الدين الاسلامي تماما بصورة اوضح من الصورة التي فى ذهن الاب توتل على الاقل ، وهذا الدين غير محتاج الى تطعيم فلسفي ، ويعد فهم مذهب اخوان الصفاء على هذه الطريقة عجزا عن فهم روح هذه الجماعة الفلسفية قبل ان يكون عجزا عن فهم روح الاسلام .

وجاء في صفحة ٣٠٤ في سرد الجرائد المعروفة في العالم ان في مكة جريدة اسمها «الحجاز» مع اننا لانعرف في مكة جريدة بهذا الاسم فاسم الجريدة الرسمية « ام القرى » والاهلية : « البلاد السعودية » وكان اسمها سابقا : « صوت الحجاز » — لا الحجاز —

وجاء في صفحة ٢٥١ في ترجمة « يوسف اليان سركيس» انه سجل في فى كتابه « معجم المطبوعات العربية والمعربة » اسماء الكتب ومؤلفيها من ظهور الطباعة الى سنة ١٩١٩ م. والحقيقة ان هذا الكتاب تناول المطبوعات المشار اليها الى ما بعد سنة ١٩٢٧ م بدليل انه ادرج اسم كتابي « خواطر مصرحة » بين هذه الكتب ، وكان تأليف هذا الكتاب فى سنة ١٩٢٧ م ، ومن الجائز ان فى الرقم خطأ مطبعيا فهو يريد سنة ١٩٢٩ بدلا من ١٩١٩ م

وجاء فى ترجمة الفارابي انه تعلم الفلسفة على علماء النصارى وهذا

شيء لم يثبت في التاريخ ، ولو ثبت في التاريخ لكان خاليا من اي دليل يشير الى تأثر فلسفة الفارابي بعقائد علماء النصارى ــ الامر الذي يوهم به تعبير المؤلف ، لان فلسفة الفارابي ابعد الاشياء عن هذه العقائد

وفي مقابل هذا نشم من الكتاب رائحة نفي التأثر من علماء النصارى بعقائد المسلمين فقد نفى تأثر « يوحنا الصليبي » المتصوف المسيحي بعقائد متصوفة العرب المسلمين في اسبانيا (الاندلس) واخذ يداور في التعبير لكي ينفي هذه الحقيقة او يبعدها عن الاذهان رغم انها معروفة ثابتة ، فقال في صفحة ٣٠٩ : « وقد تؤدي اقواله (اي اقوال يوحنا الصليبي) مادة للمقابلة بينها وبين اقوال العرب المتصوفين في الاندلس ».

وجاء في صفحة ٥٣٢ ذكر كلمة « النحو » ولكن الكتاب لم يعرفه كعلم بل استبدل بتعريفه سرد اسماء النحاة المشهورين من ابي الاسود الدؤلي الى ابي سعيد العسكري ، هذا مع انه عرف بعض العلوم العربية في موادها كالطب والفلك .

وهكذا فعل في الصحافة فلم يزد على سرد اسماء الجرائد دون تعريف لمعنى الصحافة مع انه عرف الطباعة تقريبا .

وهذه ناحية من نواحي النقص الاساسي في الكتاب ! ومن اهم مظاهر هذا النقص انه لم يذكر « الميثولوجيا » ولا في الملحق مع نقله عنها شتى الموضوعات والاسماء والنصوص كنهر « ستيكس » وغيره

وذكر في صفحة ٣٠٥ ترجمة الشاعر « مردر » باختصار ولكنه شكل الكلمة بفتح الدال مع انها بالضم لان لفظة الدر معروفة ، وذلك برغم انه اشار الى المعنى اشارة مقابلة وتعليل بقوله « لان اباه كان يلقب بصربعرلشحه ، وقد اخطأت المطبعة هنا في زيادة نون في كلمة « شحه » بين الحاء والهاء ففيرت المعنى .

ومن آفات الكتاب اكثاره من ذكر كل شيء مسيحي ، ولاسيما ما يتعلق بالرهبانية والكنائس والكهنوت والقديسين ، حتى ما يكاد القارىء يفتح صفحة واحدة من الكتاب ويجدها خالية من ذلك حتى ولو من الاشارة الضمنية او من التحايل والتمحك ، الامر الذي يوحي بان هدف الكتاب محصور في خدمة اغراض الرهبنة والكهنوت وترويجها وليس هو هدفا عالميا او كتابا عاما الف لخدمة العلم المجرد .

ومن ابرز هذه الامور زجه الفقرة الاخيرة من تعريف «آدم» وهي ان آدم وحواء وعدا بالمسيح ، وهذه عقيدة طائفية محلية ضيقة غير معترف بها في الاديان ولا دليل يقوم على صحتها ، وهي تذكرنا بتلك الدعايات الصوفية السخيفة التي يزجها متصوفة المسلمين او بعضهم في العقائد كقولهم ان الله قال لمحمد لما عرج به الى السماء في ليلة الاسراء : « لولاك لولاك ما خلقت الافلاك » ،

ولست هنا في صدد توهين عقائد الصوفية وعقائد الكاثوليك ، ولكني اربأ بموسوعة تتطلب ثقة القراء العرب على اختلاف مذاهبهم وثقافاتهم ان تصطبغ بصبغة عقيدة محلية وتندفع وراء عواطف طائفتها الدينية فتخلط بين الحقائق العلمية والعقائد .

ومن امثلة هذا الخلط وهذه الطائفية ما ذكره المؤلف في صفحة ١١٤ (مادة تنين) وصفحة ١٣٤ (مادة جرجس) وصفحة ١٧٧ (مادة خضر) من التوحيد بين شخصيتي الخضر صاحب موسى والقديس جرجس القبادوقي حيث زعم انهما شخصية واحدة ، وذلك برغم ما بينهما من فرق الزمن الذي يبلغ سبعة عشر قرنا ، فالاول كان حوالي القرن الرابع عشر قبل المسيح والثاني قتل في اوائل القرن الرابع بعد المسيح . وقد زعم المؤلف ــ عفاالله عنه ــ ان المسلمين يكرمون جرجس هذا ، وهذا زعم مبني على الوهم السابق ــ وهو الخلط بين الشخصيتين ــ ومبني ايضا على تشبث بعض الصوفية وتعلقهم بالخضر وحوكهم حوله خرافة الخلود او الانتظار (اي انه من المنظرين كابليس) .

والادهى من هذا كله ان يزعم المؤلف ان القرآن رفع قدر الخضر فوق الانبياء باعتباره معلما لموسى . وهذا القرآن بين ايدينا صريح في عدم وصف الخضر بالنبوة فلم يقل عنه اكثر من قوله انه كان « عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمنا من لدنا علما »

ويناقض المؤلف نفسه بقوله انه ولي من اولياء المسلمين ، وبردت هذه العبارة بان القرآن رفعه على الانبياء ، والمعروف عند المسلمين ان الولي دون النبي قدرا لان الانبياء فوق كل البشر وفوق الملائكة ، ولم يسرد القرآن اسم الخضر بين الرسل والانبياء بل ولم يلفظه باسمه صراحة!

وفي الكتاب اخطاء مطبعية ويجوز ان تكون اخطاء تأليفية كاسقاط كلمة (ابن) بين الولد وابيه فقد جاء في صفحة ٧١٤ « احمد عبدالله » وصوابها : احمد بن عبدالله ، وجاء في صفحة ٧٢٦ « لبيد ربيعة » وصوابها : لبيدُ بن ربيعة .

واسلوب التأليف ركيك كأساليب معظم رجال الدين ــ والمؤلف من سميمهم ــ وتلاحظ هذه الركاكة في كثير من التعابير ومنها قوله : « ستنا خديجة ، وستنا مريم » بدلا من سيدتنا على ان هذه السيادة الاضافية ليست من الدين في شيء ، وكان يجب ان يقال : السيدة خديجة والسيدة مريم .

ويبدو لي ان المؤلف غير بصير بعلم العروض والقوافي واوزان الشعر بدليل انه يروي ابياتا اربعة للشاعر صريع الدلاء وكلها مختلفة الاوزان، وهذه هي من صفحة ٣٠٥ :

من لم يرد ان تنتقب نعاله	يحملها في كفه اذا مشى
من اراد ان يصون رجله	فلبسه خير له من الحفا
من صفع الناس ولم يدعهم	ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من طبخ الديك ولا يذبحه	طار من القدر الى حيث شا

والابيات برغم انها مجونية فان مجونيتها لا تسمح للشاعر ولاسيما الكلاسيكي ــ ان يخرج على اوزان الخليل ولا على التفعيلات المقررة لكل وزن منها ،

وفي الامكان ان تضاف واو الى اول البيت الثاني ليستقيم وزنه ، اما البيت الثالث فيكفي لتعديل وزنه ان تكتب كلمة« يدعهم » بواو بعد الميم فتصير « يدعهمو » وبذلك تتم استقامته . ولن يستقيم البيت الرابع الا بتغيير كلمة « الى » ووضع كلمة « وولى » مكانها ، وليس في البيت الاول كسر ولكن فيه خطأ نحويا وهو جزم « تنتقب » بدون جازم .

هذه المامة عابرة غير مشبعة لم تأت على جوانب النقص والضعف العلمي الفني في الكتاب ، ولكنها قد تفيد المطالع وتشجع الناقد وتفتح للدارس باب الحذر وتوحي اليه ان لا يتقبل كل نتاج المطابع بدون ان يعمل الفكر.

« جدة » **محمد حسن عواد**



الشمس زال سلطانها عن الارض ، والظلام الهاجم بدأ يلف الحقول بأرديته الشديدة السواد ، وصراصير الليل بدأت مهمتها عنيدة مثابرة كعادتها ، وهو جالس وعينه على الافق البعيد رغم الظلام المتكاثف ونفسه موزعة يمتزج فيها الخوف بالقلق ، يحاول جاهدا ان يطرد من خياله افكاره القاتمة السوداء ، وان لا يسمح لتلك الذكرى المرعبة بالتسرب الى نفسه ، ولكن ما حوله كان يدفعه اليها دفعا ، فها هو ابوه قد تأخر وها هو يجلس نفس الجلسة المترقبة ينتظر ان تنشق عن ابيه شعاب السفح المقابل ، وسرعان ما وجد نفسه يعود سنوات قليلة الى الوراء ويرتد الى تلك الذكرى المؤلمة التي عاش يختزنها في ذاكرته .

كان يومها ينطر حبات البندورة ، ويقتل الوقت بمطاردة العصافير التي كانت تصر على مقاسمتهم الحبات حتى قبل ان تحمر، عندما افاق الى ان اباه قد تأخر وان الظلام قد داهمه ، فلم ير بدا من مغادرة المكان مضحيا بينه وبين نفسه على الاقل بشجاعته التي طالما حدث عنها اباه ، فكان ان تعبط الجبل يقطع الطريق في سرعة مجنونة وكله رغبة في ان يصل الاسفلت قبل اشتداد الظلام، فبعد الاسفلت اطراف القرية واطراف القرية امان . وحين وصل الاسفلت سمح لنفسه بالتوقف لحظة يجمع فيها انفاسه ، ويعيد الى قسمات وجهه شيئا من الهدوء يستر به فضيحة خوفه . وفجأة تحسس في اعماق خاطره سؤالا : ترى لماذا يخاف الليل ؟ في النهار كان يؤكد لنفسه بحزم واصرار انه يستطيع قطع هذه الطريق في سواد الليل دون ان يخاف. ما الذي فيها يخيف ؟ هذه الضاربة في الفضاء زيتونة ، وتلك المتكبرة المتحدية مجرد صخرة ، وهذه الكرة الدائرة على نفسها هي غاشة دار فليفل التي طالما نزع اوراقها واغصانها ليطعم بها عنزتهم السوداء ، وهذه الاشجار المتقاربة المتآلفة هي « تينات حجاز » التي طالما نعم بظلها الظليل . كل هذا لم يتغير ، ولكن الامر قبل لحظات كان على العكس . فتحت الزيتونة سرب من الضباع لا ينتهي والغاشة غول هائل ينقض على كل عابر سبيل ، وبين التينات كل الارواح الشريرة المؤذية التي طالما حدثته عنها جدته الحاجة انيسه ، ومضى في طريقه متمهلا تتقاذفه الهواجس والافكار ، فما لبث ان انتهى الى وضع وجد نفسه يقف فيه موقف المقارنة مع ابيه .

أبوه ؟!! أبوه يقضي الليل كله وسط هذا الظلام ولا يخاف . ويقطع هذه الطريق في الليالي التي لا ترى فيها العين الاصبع دون ان تقف له شعرة .

وبدا انه سيستمر في هذه المقارنة التي لا تزيده الا حنقا على نفسه لولا ان تذكر البارودة وحديث والده عنها . السلاح في الليل صاحب ، بل هو خير صاحب ، صاحب يعفي مرافقه من الثرثرة والكلام ، واذا نطق كان كلامه القول الفصل . وسره ان تجسدت في خياله البارودة ماسورة حديدية مخروقة لها قاعدة خشبية ملساء يصل بينهما سير من الجلد ، يجبر العنق ان تميل نحو الكتف ، رآها بعينه دون ان تلمسها يده . اهم ما يعرفه عنها انها تقتل ولكن اقتناءها خطير قد يجر صاحبها الى الموت . وتذكر اول مرة رآها فيها ، كانت يوم ان اسرف قط الجيران في السطو على الارانب ، استلها ابوه من حزمة حطب عتيقة فوق بوابة الدار الهرمة وصوبها الى القط الذي كان يتبختر في مشيته فوق جدار الفناء ، وظل القط يومها يدور ودمه ينزف ، وينزف دمه ليعاود الدوران من جديد حتى انكفأ على الارض جثة هامدة ، وقد تلاشت من ذهنه يومها خرافة ـ البسباس بسبع رواح ـ وكان الذي حيره ان العيون، كل العيون في بيتهم وفي بيوت اعمامه كانت مشدودة الى الاب والى البارودة في يده ، وحتى بعد ان نفق القط فقد ظل حبل من القلق والخوف يشد هذه العيون الى الاب حتى اختفى الرجل في حاكورة الدار يبحث لسلاحه عن مخبأ امين .

اذن فالعيون لم تكن تخاف القط وانما كانت تخاف شيئا رهيبا مجهولا لا بد ان له علاقة قوية بخروج البارودة من مخبئها . وفجأة وجد نفسه امام مئات من الاسئلة ترسم بمجموعها وضعا عويصا لا يفهم منه سوى ان يحقد عليه كباقي الناس . الوجوه الحمراء المنتفخة التي تهبط القرية بعد يوم او يومين من اطلاق رصاصة فيها ، والكلاب السوداء الفخمة تسعى بين يدي الخيول ولا تتسلق الا اكتاف رجل بعينه دون بقية الناس ، ورجال القرية يحشرون زجرا فى رقعة البيدر الضيقة ، واطفال القرية ونساؤها يتكسدون فى مسجد القرية ، وهمهمة خافتة عنيدة تسري بين الناس ، وكلمة جاسوس تتبادلها الالسن فى أسف وحقد مريرين .

وانقذه من كل هذه الاسئلة ان خياله سرح مع الكلاب . لقد تمنى على والده ان يسمح له باقتناء كلب يعاونه على الحراسة ويزيد من شجاعته ، ويكون له كما هي البارودة لابيه . ولكن الاب اقنعه بعدم امكانية ذلك . الكلب في الصيف ذو نفع عظيم ، يقوم بدور فى الحراسة كبير ، ولكن بعد الصيف شتاء ، والكلب يرفع رجله ويبول ، يبول حيث يشاء وامه لن تسمح بتلويث الساحة التي تملأ البئر بماء المطر ، انها ستكسب الماء مدرارا سبع مرات على كل شيء يلحسه الكلب دون ان تطمئن الى ان الطهارة قد عادت اليه .

كانت اقدامه وخواطره قد اقتربت به من القرية حين عاد الى ذهنه تساؤله عن تأخر ابيه ، فدخلها والجو ظلام ، وتوجه دون ابطاء الى منزلهم .

فى مدخل الزقاق كان صبية كثيرون يتجمهرون ، تعلقت عيونهم به حين رأوه ، كأنما كانت تدفعه الى الداخل ، ومن سطوح المنازل المجاورة كانت تطل أشباح كثيرة لنسوة يتبادلن الهمس ، ومع نسمة الريح الغربية صافح سمعه صهيل ووقع حوافر الهمس ، ومع نسمة الريح وفجأة انهالت عليه كل الافكار والهواجس التي اجترها فى طريقه وأحس بها تعود اليه واقعا حيا وقدرا محتوما ، فى رأسه دارت دوامة أخذت تنفخ رأسه وتبعث طنينا هائلا يتفجر لهبا في اذنيه ، وتقدم ما بقي عليه من خطوات .

تحت شباك غرفتهم الصيفي المتجه نحو الغرب كان يقعي كلب ، كلب أسود ضخم ، بين يديه رغيف بأكمله دهن باللبن يأكله بهدوء واطمئنان مثيرين وكأنه لا يعلم شيئا عن الام وحرصها على طهارة ساحة البئر ، ولا

يحفل بجموع الصبية الذين ما رأوا كلبا الا واشبعوه ضربا ، وتطلع فرآه كومة غضة سوداء في ارض احلامه ومعتقداته الناصعة البياض ، ومعولا ضخما يهدم بقسوة جدار مثله التي وعاها عن امه وابيه .

وفى الباب تجمهر خلق كثير بينهم كل اقاربه ، ومن بين اصوات الجميع ارتفع صوت قريبه «ابو رشدي» المختار عاليا مدويا كعادته ، يحلف ويكرر القسم بأنه لا يعرف عن صاحب البيت الا انه مسكين لم يفكر طوال حياته باقتناء سلاح ، بينما انشغل قسم كبير من اقاربه فى نقل اطباق عديدة من الطعام الى الخارج ، كان يبدو انها حملت من الطعام الكثير ، ربما اكثر مما شهدته الدار المتواضعة خلال تاريخها الطويل ، واندس بين الارجل يحاول معرفة شيء مما يدور في الداخل ، واستطاع بعد لأي ان يتبين طرفا من الوجوه الحمراء المنتفخة وهي تجعس على الفراش والاحذية الضخمة السوداء اللامعة ما زالت فى أرجلها ، تميل على اناس من بني جلدته الى جوارها ، تسر اليهم بتمتمات مبهمة طالما سمع عنها دون ان يحفظ منها سوى كلمة (فكن عرب) . ومرت لحظة رهيبة من الصمت توتر خلالها الجو ، وما لبث ان اندفع صوت والده مسنونا حادا كمواء قط محاصر يقول :

« خلوني قبل ما اروح اشوف الصبي » وعرف انه المقصود بالصبي فاندفع يريد ان يصل الى حبيبه صاحب الصوت ، وشق ابوه الصفوف وكأنه معه على موعد ، ومرت لحظة انتقل رأسه خلالها الى حجر ابيه ، وسرت فى خياشيمه رائحة عزيزة عليه قريبة الى قلبه ، رائحة عرق الفلاح الممزوج بتراب الارض الخيرة . وفى رأسه وبين ثنايا اعماقه كانت تسري موجة لا تلبث ان تتحول غصة تطعن الحلق وتورثه الما حادا في الصدغين ودموعا تتحجر فى المقلتين . ورفع رأسه الى الوجه الحبيب الذي طالما الفه كأنما يسأله الجواب فجاءه الجواب قويا حاسما ، انهم لن ينالوا شيئا ، وان البارودة ستظل تنعم فى مخبئها رغم سياط الجلد والماء المالح .

وأفاق الى نفسه والى وضعه الجديد المشابه لتلك الذكرى البغيضة التي عاش يجترها مئات المرات . ها هو اليوم وبعد شهور هي في حساب الزمن سنوات قليلة قليلة يجلس نفس الجلسة السابقة وها هو والده قد تأخر ، وها هو الكون من حوله ظلام ، وما زال الطريق موحشا مخيفا كما قطعه اول مرة ، ولكن يشعر رغم ذلك ان شيئا ما قد حدث ، غيّر وجوه الاشياء والحوادث ، وجعل لها مذاقا خاصا حلوا على الرغم مما فيه من حرارة .

حوادث اطلاق النار تكررت ، والخيول هبطت القرية مئات المرات ، والوجوه الحمراء اخذت تبدو مكدودة مرهقة رغم ستار كبريائها ، الزائف وبرودها المقيت ، وحذر الناس قد قل ، والهمهمة الخافتة العنيدة تطورت استعدادا ضخما وعملا دائبا في الليل والنهار ، واهل قريته اخذوا يتحدثون بفخر واعتزاز عن اناس منهم ومن القرى المجاورة لا يهبطون القرى الا لماما وانما مساكنهم الحقول والاودية وبطون المغاور ، والناس حين يستقبلونهم، بالاهازيج والزغاريد وانباء كثيرة عن مصرع جاسوس هنا واخر هناك .

وتمطى في جلسته وتثاءب ، ولم ير بدا من مغادرة مكانه الى القرية . انه لن تخيفه الضباع تحت الزيتونة ولا الارواح الشريرة بين شجيرات التين هذه المرة ، ففي اعماقه احساس قوي بانه على موعد مع حدث هام هناك فى بيتهم حيث لا بد تأخر والده .

واجتاز عتبة الدار هذه المرة ايضا ولكن بشعور يطفى فيه الامل على كل شيء عداه ، كانت الدار مضاءة كلها بالمشاعل حتى لكأنها مع الظلام فى حرب ، صافحت سمعه مع النسمة الغربية الحنونة جلبة ووقع حوافر ، ودار ببصره الملهوف الى حيث كان يقعى الكلب الاسود ، الذي ظل طوال تلك المدة يطمس احلامه ولكنه وجد بدلا منه وجوها تفتح لها قلبه ، فهو يعرفها جيدا منذ خلق دون ان يراها ، هذا سوري بلكنته الشامية الحبيبة ، وذاك عراقي قطع مئات الاميال وعشرات المغاور ، وثالث قطع نهر الاردن على ظهر جمل والكل منهمك فى مسح سلاحه واعداده . احس وقتها بذكراه المشؤومة تبارح خياله واحس بالوجوه السمراء الحبيبة تطغى على الوجوه الحمراء العفنة حتى لكأنها تسحقها، ودار ببصره في الفناء الواسع يبحث عن ابيه ، فكان ان رآه يتجمع كله فى نظرة هادئة مطمئنة تقول :

ـ لا تخف يا بني ، انهم ثوار .

صبحي ذيب شحروري

عنبتا ـ الاردن

العروبة والمذاهب المعاصرة

بقلم علي بدور

تحدوني عدة عوامل لان اخوض هذا الغمار المقدس ، وبخاصة بعد ان سبقني اليه ، على التتابع الاساتذة : عبدالله الدائم ، وحمادي ، وشرارة . وماذا يفعل الجنود اذا وجدوا ضباط اركان الحرب فى طليعة من يحملون البنادق ؟ الا انني احب ان اوضح اني لن احارب على طريقتهم . كل ما فى الامر انني راض بدوري الذي ساقوم به ، فى معركة العروبة المقدسة . وما دامت القضية لا تزال مشتعلة الاوار ، ووقودها اقلام الكتاب والمفكرين ، فان الذي يصقل هذا السنا ليزيده مقدرة على الضياء، انما هو فتح الصدور والقلوب لكل رأي ... ولكل فكرة ، وسماع وجهات النظر بروح منصفة ، لا تفرق في الاعتبار بين كبير او صغير الاضمن حدود شفافة للحقيقة ، تلك التي نفديها بما تملك ايماننا ، وتقوى عليه افئدتنا، من صادق الشعور ونبيل المقاصد السامية .

تبقى انبل الافكار ، مرسومة على الورق ، اذا لم تعتبر بواقع المجتمع وظروف الحياة التي تحياها الشعوب ، وبخاصة اذا كانت هذه الافكار شديدة الالتصاق بمستقبل امة ما ، ولعل من البداهة القول ان ما كان يصح التفكير به والدعوة اليه فى القرن التاسع عشر ، لم يعد يؤهل الناطق به للاحترام فى هذا القرن العشرين ، والعصور حافلة بالامثلة على ذلك ، واذا كان فلاسفة اوروبا قد امضوا زهاء قرنين فى مناقشة حق الملك ومصدره ، اهو الله ام الشعب ، فاننا اليوم لا نسمح بانفاق خمس دقائق لتقرير ما هو بدهي ، بالاضافة الى ما كانت تجده فكرة الحروب الدينية ايام الحملات الصليبية من تشجيع الكنيسة ، الامر الذي غدا ضربا من المحال حتى باتت الكنيسة اليوم ، داعية الى السلام والمحبة ، بين البشر في مشارق الارض ومغاربها .

وقبل ان نمضي في الطريق المؤدية الى ايجاد مذهب عربي مستقل ، متميز عن المذهبين الغربيين ـ اصلا ونشأة ـ ينبغي ان نحدد وضعنا على خريطة العالم ، فنقف مليا على التيارات التي تشمل فيما تشمل كل الشعوب والامم والدول ، بله القارات التي تعيش اليوم حاضرها ، باذلين جهدنا ، لوضع النقاط على الحروف ، بما يخص شمول هذه الحضارة الحديثة ، للانسان الحديث ، ومدى تأثيراتها على استعداده الفطري والمكتسب للمساهمة في احياء تراث الحضارة الانسانية ، ضمن المجموعة العالمية ، مبينين مدى ما يمكن ان نفعله دون الاستعانة بغيرنا ، واضعين نصب اعيننا اهدافنا في التحرر والوحدة والاستقلال .

نعلم جميعا ، ان الحضارة الحديثة ، اضحت طابع العصر المميز . ولم تعد الامم تعيش في عزلة فتقفل على نفسها باب الاتصال ببقية العالم ، لتغدو وحدة لها صفاتها وعناصرها الخاصة بها ، والتي لا تشبه بقية المجموعات الاخرى في قليل او كثير . فجاءت الحضارة الحديثة تفك قيود هذه العزلة على اوسع نطاق عرفه التاريخ ، واصبح نور الكهرباء ، هو ذات النور الذي يضيء شوارع نيويورك .. وساحات موسكو ، واي بيت عربي في مراكش او مصر او العراق ، وبات القطار الحديدي يصل موسكو ببكين ، ويقارب ما بين نافذتي امريكا على الاطلسي والهادىء ، حتى الذرة التي بعثرت هيروشيما .. توشك اليوم ان تبعثر مدن الحلفاء الذين انتصروا على المحور في الحرب العالمية الثانية ، واصبح سوق بورصة نيويورك ، يؤثر في سعر الصوف السوري ، وغدا مزاج الشعوب ، متوقفا على مزاج البرازيل ، وباعة النبيذ في بوردو ، وقشمري قصب السكر في كوبا . وغدت الكرة الارضية تطوى في ساعات بطائرة نفاثة ، وصار اللاسلكي والهاتف والرادار ، مقام الحمام الزاجل والنار المشتعلة على ذروات الجبال في العصور القديمة ، واضحت العزلة بمعناها الواسع ، موتا محتما ، وبمعناها الضيق ، موتا محتما ايضا ، حتى نحن هنا في الشرق العربي ، اخذنا نتقرب شيئا فشيئا من محوري النظامين ـ المختلفين في كيفية اقامة هذه الصلة بين الفرد والدولة ، وعلى أي اساس ينبغي بناؤها ، والمتفقين في الاخذ باسباب الحضارة الحديثة . حتى استخدام الذرة في الاغراض السلمية .

وهذه الدعوة الداعية الى اعتناق مذهب جديد ، لا هو شرقي ولا هو غربي ، انما هو تعبير صرف عن طبيعة الشعب العربي والامة العربية ـ بعدما تبين لها ان في العالم مذهبين احدهما شرقي والآخر غربي ، هل تنظر هذه الدعوة الى هذه الحضارة الحديثة نظرة جدية فاحصة أم انها اكتفت بملاحظة النتائج .. ولم تحاول العناية بأسباب وبأصول هذه الاتجاهات الحديثة ؟! أتبين الداعون الى اعتناق مذهب جديد بتخريجه وبعثه ، مطبوعا بطابع القومية العربية والحضارة العربية ، والاتجاه العربي في الحياة ، ان لذلك اسبابه ومقدماته التي لا بد منها ، وهل يحق للانسان ، كائنا من كان ، ان يغفل اوضاع المجتمع وطبيعة العصر ، والتيارات التي تتفاعل فيها الامم والشعوب ؟ الا ان هذه الدعوة اغفال تطور المذاهب المعاصرة وبحث اصولها ، وتقصي الدعوة للافكار المظيمة ، في ذاتها اتجاه نبيل ، ولكن الا يؤثر في سمو مراحل تطورها منذ اول نشأتها حتى الساعة التي فرضت فيها نفسها على العالم لتحظى باحترامه وقبوله ؟!

ان الاتجاهات المذهبية المعاصرة لم تكن وليدة الصدفة المحضة . قد يكون اكتشاف الراديوم وأشعة رنتجن قد جرى بمحض الصدفة ، ولكن ثمة اتجاهات متميزة عن سواها ، ظلت قرابة قرنين تتفاعل في محيطها ، لا يعقل ان تكون وليدة الاتفاق العجيب ، ولا محض تصور سابق ، بل انما هي خلاصة تطورات فكرية تتفاعل في محيط مادي ، له اكبر الاثر على تطور الفكر في المجال الانساني العام . واذا كان المذهبان الشائعان اليوم ، من حيث كونهما افكارا ، قد كانت في مجملها سبيلا لتصادم الآراء بين من يقول ان وسائل الانتاج في عصر معين ومرحلة معينة من تاريخ امة ما ، هي التي تكون منحى الثقافة وتسهم في تعدد الطبقات ، وبين من يقول ان التطور البشري يجري في نطاق من الافكار المجردة لا علاقة له بالوسائل الحضارية ، لان السمو الانساني كان لدى حطاب الغابة كما هو الآن لدى السيد المهذب . ولكن المشكلة لا تحل بمثل هذه السهولة .. مجرد خواطر فكرية ، وبضعة من الفلاسفة يخططون اتجاهات المجتمعات البشرية بروح تنقصها حرارة الواقع ، وصدق التجربة .. اننا نستطيع ان نكيف نظرتنا الشاملة اذا رفعنا

الستار الكبير عن هذا الاتجاه الحضاري الذي نعاصره الآن ، لننفذ الى لب المشكلة .. المشكلة التي لا تزال بدون حل عندهم .. هم اصحاب المذاهب .. فكيف بنا ونحن اليوم نرغب بتقليدهم ومحاكاتهم ؟!

برزت في العصر الحديث ، وبعد الحرب العالمية الاولى ، اول نظرية طبقت عمليا في الحكم والسياسة والاجتماع ، هي نظرية كارل ماركس وانجلز في الدولة والامة ، وعلى هديها سعى لينين ومن لف لفه الى اقامة دولة حديثة . واذا كان الصراع بين جبهتي العالم قد كان خافتا بعد الحرب الاولى ، فانه اليوم بعد الحرب الثانية ، يوشك ان يرقى الى مراتبه العليا ، بعد ان صارت الشيوعية دولة لها كيانها الفلسفي والمادي وظل العالم الرأسمالي يحاول جهده ان يعيق تقدم الشيوعية في داخل حدودها وفي خارج حدودها ، محتفظا بمؤسساته التي اقامها سعي امتد طيلة قرون عديدة ، تكاملت فيها هذه المؤسسات حتى غدت طابع الرأسمالية المميز .

والمتأمل لواقع المذهبين المتنافرين ،قد يعجب لتنافرهما ، وهما وليدا بيئة صناعية واحدة كان مهدها القرن التاسع عشر بأكمله ، اذ من خلال التطور الذي بدأ بعصر الانبعاث او ما يسمى بعصر النهضة ، حيث العلم في قبضة الاقطاع الديني والاقتصادي والسياسي ، حتى جاء عصر الاستكشاف ، الذي شمل الهند وامريكا واكثر متاوه العالم القديم ، فانزاحت القيود وتهاوت الحصون ، وبدأت الشعوب الاوروبية تتنسم ريح التحرر الاقتصادي في التبادل التجاري الحر ، وقد ضاعف خلاف البابوات المتعاقبين ، مع الملوك ، حول السلطة الروحية ، او الزمنية مما ادى الى تحرر كاسح ، وتمتع الشعوب بنعمة التحرر ، فانفجرت الشظية الاولى ، معلنة بدء الثورة الفرنسية ، حاملة معها الهزات المتلاحقة التي شققت الارض التي تخيلها الاباطرة والملوك ، ثابتة تحت اقدامهم ، فمادت بهم وبعروشهم ، وقد صحب عصر البخار والالة واستغلال المواد الاولية والبحث عن الاسواق المستهلكة، الغزو الاستعماري لوضع اليد على منابع الثروة في افريقيا وآسيا ، واضحت التوابل والبهارات والحجارة الكريمة، متطلبات بسيطة تافهة، بجانب المواد الاولية الاخرى كالقطن والصوف والمعادن ، وبالتالي البترول ، عدا عن اليد العاملة الرخيصة التي نقلت من قارة الى قارة كزنوج افريقيا الذين نقلوا الى امريكا ، وكان ذلك كله يحمل في ثناياه ، خصائص الحضارة الآلية الحديثة ، في التناقضات الداخلية بين متطلبات السعي الحر ومهمة الدولة المشرفة ، وكذلك الرغبة في الاستعمار ، واخضاع الاسواق الخارجية لسلطان السوق الداخلية وقيام الدولة في بعض الاحيان بدفع فرق السعر في الخسارة كما حدث في المانيا قبيل الحرب العالمية الاولى.

ولقد ادى تطور هذه الحضارة التي اخذت بها اوروبا ، وهي تتطور ومتناقضاتها معها ، وضحاياها معها ايضا ، الى تزعزع الثقة بهذا الاتجاه حتى ان جمهرة الاشتراكيين الطوباويين كسان سيمون وفورييه وامثالهما وضعوا حلولا حسبوها مجدية ، ولكنها كانت تبقي على متناقضات المجتمع الرأسمالي . كانوا يضعون حلولا سطحية تصلح من اسواء الحضارة الآلية ، فلما جاء ماركس وانجلز في البيان المنشور عام ١٨٤٨ ، حلا المشكلة جذريا ـ كما تراءى لهما ـ فالغيا الدولة الرأسمالية والغا دولة جماعية تملك وسائل الانتاج ، وتقضي على تنازع الطبقات لصالح الطبقة العاملة ، وتوفير خير الجميع للجميع ، فتتخلص الدولة ، حسب رأي ماركس وانجلز ، من تناقضات المذهب الحر ، وتضع حدا للحروب الاستعمارية التي تقوم لايجاد الاسواق المفتوحة بين الدول الصناعية الكبيرة ، والمجالات الحيوية لشعوب هذه الدول ، عدا عن ان ابقاء مصير الدولة واتجاهها بيد حفنة من رجال المال والاعمال ، يسيرون من وراء ستار ، حفنة من السياسيين لا حول لهم ولا طول ، يشكل الخطر المباشر على مستقبل كل امة تساق جماهير عمالها وفلاحيها الى الذبح دون ان يكون لها ادنى مصلحة في ذلك الصراع المقيت .

الذي اريد ان اخلص اليه ، من هذا التمهيد عن واقع الحياة التي نحياها ، وفي أي مكان كنا نعيش تحت سمائه ، فاننا لا بد من ان نتأثر بالآلة المحيطة بنا ، بالسيارة او القطار او الطائرة او الباخرة .. وكذلك بدخان المعامل ، وكل ما يمكن ان يحفل به أي بيت عادي من وسائل الحضارة الحديثة . والآلية لم تبق محصورة في نطاق الآلات ، انها غدت شاملة للانسان في مختلف بقاع المعمور .. والمذاهب المعاصرة التي نعتقد انها مذاهب مختلفة اذا نظرنا اليها من زاوية سياسية او من زاوية تحليلية ، على الرغم من ان هذه التجزئة ليست حقيقية في دنيا الحياة التي نحياها . ان التجزئة قد تساعد على الدراسة . غصن اجرد تبين فيه تحت المجهر خلايا نباتية لا ترى بالعين المجردة ، ولكن الغصن ليس كل الشجرة . قطعة من لحم ميت .. هي ليست الميت .. هي ليست ذلك الانسان الذي كان حيا . ان الحياة تتفاعل .. تتداخل .. بعضها يؤثر في بعض ويتأثر منه .. ولا تكف الحياة عن الحركة ، واذا كانت رقعة العالم الفسيحة قد وسعت هذه المذاهب المتنابذة فيما بينها ، أفننساق في تيارها لنظن انها مذاهب متعددة ، دون ان نعود الى منشأها .. وسيرها .. وهي في الحقيقة ، وضمن نطاق التطور البشري العام ، لا تعدو ان تكون مقسمة الى ثلاث مراحل . ففي المرحلة الاولى نجد اكثر شعوب آسيا وافريقيا .. حيث الحضارة الحديثة لا تزال ضعيفة ـ وفي المرحلة الثانية نجد العالم الرأسمالي .. العالم الحر ، حيث الرأسمالية في قمة مجدها ، وريثة التطور الصناعي الهائل الذي حصل في القرن التاسع عشر وفي هذا القرن العشرين ، وفي المرحلة الثالثة ، الدول الاشتراكية ، او المعسكر الاشتراكي ، بعد ان قام ماركس بتخطيط الفكرة ، وقام لينين بتحقيقها . والغربيون يعتقدون ان التطور الحديث للحضارة لا يمكن ان يتعدى نطاق ما وصلوا اليه هم ووقفوا عنده : الفرد حر ، دون ان يضر بالآخرين والدولة تنسق نشاط الافراد وتقلل من اخطائهم بتدخلها كلما استدعت الضرورة ذلك التدخل ، ويرون في الشيوعية خروجا صارخا على طبيعة الانسان الاصيلة ، وقتلا لمواهبه وميوله . والشيوعيون يرون اننا بحكم التطور مجبرون علىاقتفاء هذا الطريق ، وهو الطريق الوحيد لايقاف اخطار الآلة على الجنس البشري . ففي النظام الحر يستعبد الانسان من قبل الآلة ، وفي النظام الشيوعي تسخر الآلة لخدمة الانسان . وحرية الآلة في المجتمع الرأسمالي ، وانتاجها ، غير المقيد بضرورات السوق الداخلية ومتطلباتها اولا ، يتطلب من الدولة ان تتدخل للبقاء على الاسواق والمواد الاولية. وقد تتورط في حروب لا تتفق ومصلحة الشعب القابع خلف حدوده الراغب في الامان والسلام .

وسواء اكان تطور المذاهب المعاصرة هذه ، قد جاء عن طريق وضع فلسفات واضحة المعالم ، ام انه كان عن طريق تطور الحضارة الحديثة، او بمعنى آخر ، سواء أكان عن طريق الافكار المجردة التي ليس فوقها ، أمثلة مادية كما يرى فلاسفة الغرب وعلى رأسهم هيغل ، أم عن طريق تطور وسائل الانتاج ومضاعفة هذا التطور كما يرى الفلاسفة الشيوعيون كماركس وانجلز ، فان أي تفكير مماثل لايجاد فلسفة عربية مماثلة ،

سوف يصطدم بواقع تطورنا التاريخي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي سوف يقف عند الحدود الاولى لشعوب آسيا وافريقيا ، وبالتالي فاننا لا نزال ، لكي نتخذ موقفا عروبيا كاتجاه فلسفي ، بحاجة الى مستويات مماثلة .. الى تفاعل داخلي .. الى ترابط بين جزئيات الفكرة لتؤلف فكرة كبيرة ، دقيقة ، ماثلة للعيان في الآذان جميعا ، وفي القلوب جميعا.

وبعد .. أين العروبة من ذلك كله الآن ؟

يخيل الي ، ولعله الحقيقة ، ان العربة ليست بحاجة الى مذهب اسوة بالكيانات الاخرى . بل هي بحاجة الى ان تتبين موقفها من خريطة العالم واتجاهها السياسي والاقتصادي وتعاملها مع اي من المعسكرين في المجال الدولي . ان العروبة اليوم تسعى لان تلم شمل كيانها المادي. هذه حقيقة مهمة يجب الالتفات اليها . والى ان يتم جمع هذا الكيان في دولة موحدة او دولة اتحادية ، ينبغي وضع خطة لا مذهب ، خطة موقتة تنتهي مهمتها بوصول العروبة الى هدفها القصير ، حتى اذا وصلت الى هذه النقطة بالذات ، لا نستطيع ان نتنبأ ، ولكننا نستطيع ان نقول انها هنالك ، تستطيع ان تفكر في الفلسفة .. وفي اعتناق المذاهب الجديدة والتي هي ليست غربية محضة .. ولا شرقية محضة .. بل اشبه بالزيتونة التي جاء ذكرها في القرآن . ان هذه افتراضات موقوتة بأزمانها ، فلنتركها لازمانها الموقوتة .

ان البلاد العربية ، من الاطلسي حتى الخليج العربي ، تشكل وحدة في الشعور والعاطفة والفكر ، بالاضافة الى التاريخ المشترك الذي يربطها بالماضي البعيد ، ويدفعها لان تتبوأ مكانتها في المستقبل المنير ، يحدوها الى الالحاح في طلب الوحدة فيما بينها ، شعورها بانها امة واحدة ، تتكلم لغة واحدة وتواجه مصيرا واحدا ، وتؤمن بقيم روحية واحدة ، يوحد فيما بينها رباط لا انفصام له ، امتد طيلة ثلاثة عشر قرنا . والحضارة الحديثة على الرغم من انها تكاد تطبع الشعوب جميعا، والاقوام جميعا ، بطابعها الموحد ، الا انها تظل عاجزة – ولو في هذه الفترة من تاريخها المعاصر – عن ان تفقد الامم مميزاتها الحضارية من ثقافة وعادات وتقاليد . وهي حتى اليوم لم تفقد الانكليزي بروده وهدوءه ، ولا الفرنسي هيجانه وعاطفته الحادة وانفعاله وعدم تبصره، ولا العربي حبه لوطنه واخيه ، وتعلقه بالمثل الرفيعة من شهامة وصدق وكرم ونجدة . واذا كانت روح التطور قد اخذت تسري في كل ما تسري به الارواح فان الانسان الذي يحاول ان يقلم اظفار الغاب عن اصابعه ، سوف يحاول – وقد ينجح – بأن ينتصر لقوميته التي تعمل للانسانية جميعا ، وذلك بالوقوف بجرأة في وجه كل الدعوات الرعناء لحروب تلازم النظام الرأسمالي الاستعماري لا باغراق العالم كله في الشيوعية، بل بتقوية الشعوب المستعمرة التي كانت مغلوبة على امرها .ولعل ارتداد الاستعمار عن بور سعيد ، سوف يكون له في بعث القوى الوطنية ضد الاستعمار ، في العالم العربي ، بل العالم اجمع ، ما كان للثورة الفرنسية من فضل في دك معاقل الرجعية في ارضها الصلبة ،والتطويح بالاقطاع ، وبعث القوى الشعبية في الامم من معاقلها ، لتبني الحضارة بروح لا تفتر .

ويبدو موقفنا محيرا . ولعل مبعث هذه الحيرة اننا نريد ان نتخذ مواقف فكرية خارجية دون ان نعمل البصر في وضعنا الداخلي . ان كل اتجاه يغفل هذا الواقع سوف يدع النتائج مضطربة غير منطقية ، وهي دليل عملي على اننا ندور في حلقات ليست متداخلة. فبعض المثقفين عندما يريدون ان نحل المشكلة ، بأن تجد العروبة مذهبها الفلسفي ، كأن مجرد التوصية كاف لذلك . ان التوصية على سترة لدى الخياط ، تسبقها مقدمات اولها الرغبة المنبعثة من الداخل ، والشعور بهذه الرغبة في اقتناء سترة ، ثم البدل النقدي لثمنها .. وهلا تحتاج الى نزلة الى السوق .. ثم انتقاء الخياط ؟ هذا مثل بسيط . ولكنه يعبر تعبيرا قويا عن واقعنا ، حين نسأل عن السترة .. لمجرد الهواية ودون اعتبار مقدرتنا المادية .. ولا الخياط الذي سوف نخيط عنده السترة . اننا مجبرون على رسم صورة حية لمجتمعنا ، وعلاقته بالشرق والغرب ، فكرا ومادة ، ثم البحث في الوسائل الاولية التي توصلنا الى لم شعث هذه البلاد العربية التي نبغي جمعها في دولة واحدة ، لانها امة واحدة ، جزأها الاستعمار . وكل قيام بعمليات تخطيط لاي مذهب فلسفي في الوقت الحاضر – وما دام المخططون له لم يشعروا بتجربة الامة العربية من الخليج الى المحيط – سوف يقصر هذا المذهب من استيعاب القضايا الاساسية لشعبنا الكبير ، انه اشبه بسترة تفصل لانسان كبير .. لم يولد بعد !!

ان واقعنا الاجتماعي ، جم التناقض ، حيث ترتسم في لوحة واحدة ، اقطاعية زراعية واخرى صناعية الى جانبها جموع شعبية كثيفة هائلة محرومة من الثقافة الاولية ، ومن ابسط وسائل العيش الشريف بالاضافة الى بعض الفئات المتحررة الواعية ، تناهبتها المذاهب الغربية او الشرقية ، نتيجة لضعف ايمانها بامكانيات شعبها الاصيلة ، وفقدان الساحة من زعامة موجهة تسعى لابراز هذه الامكانيات في نطاق حي تتفاعل فيه الحياة ولا تهدأ ، وتتطور ولا تهدأ . وحكومات قائمة هنا وهناك بعضها برغم شعوبها معتمدة على مساعدة الاستعمار وبعضها حكومات اقامتها الديموقراطية التي تعتمد على النظام النيابي القائم على تعدد الاحزاب ، ومجلس النواب في البلاد العربية ، على تباين اوضاعها خلاصة حية عن واقع المجتمع ، بتناقضاته الجمة في الاقطاع الزراعي والصناعي ، وبعض عناصر الطليعة المتحررة ، التي لا تستطيع ان تصنع شيئا ما دامت تعتمد الاساليب الكلامية في تطوير الشعب والنهوض به. وعلى هذا فان الحلقة المفرغة التي لا ينتظر منا ان نخرج منها ، تبدو رهيبة تبتلع بين اشداقها كل الامكانيات الخلاقة والقوى المبدعة ، لشعبنا، وما دام الشعب في غفوته الطويلة ، فهل يعقل ان ينتخب غير الفئات التي برزت من خلال سبات طال اكثر من الف عام ؟ وهذه الفئات الحاكمة أليس في يدها التشريع ؟ افتشرع اذن ضد مصلحتها ؟ أليس في يدها الحل والربط – ان صح التعبير – افتحل عقدة وجودها ؟ أم تلف قضايا الشعب الاساسية حول عنقها تشنق بها ؟ وهذه النظم الديموقراطية الفاسدة التي لا تصلح لهذه التربة ولا يمكن ان تنبت في مثل هذه الاجواء ، ولكونها في الغرب لم تهذب ولم تشذب الا بعد قرنين من الفوضى والاضطراب وتعاقب الحكومات ،بينما نحن في مرحلة اجتماعية متأخرة ، نحكم انفسنا بنظام من آخر طراز تنتجه مصانع الديموقراطية في الغرب . هذه الديموقراطية بالذات ، – قد ظهر فسادها – هي النافذة التي يطل علينا منها الاستعمار ليوطد اركان بقائه، ويمد في حبل رجائه بدوام رفاهه على حساب شعوبنا المعذبة. ولنتصور لو ان تركيا الحديثة لم يكن فيها مصطفى كمال .. ومصر الثورة لم يكن فيها جمال عبد الناصر، أكان الاتراك قادرين على محاربة الدول الحليفة – التي احتلت اسطنبول – وطرد اليونان من الاراضي التركية نفسها ؟! أوكانت العروبة المتحررة تظفر بصفقة الاسلحة التي قلبت خرافة التوازن ، وبتأميم القناة كرد على صفعة الغرب بسحب العروض لبناء

السد العالي .. والصمود في بور سعيد ، لو لم يكن لمصر ذلك الرجل الذي آمن بقضية شعبه ، وآمن شعبه معه بهذه القضية الخالدة ... أكنا نفكر ـ مدفوعين بعاطفتنا ـ بايجاد مذهب عربي لولا هذا السنا الذي يشرق علينا في كل يوم من قاهرة المعز .. ليفيء مشرق العروبة ومغربها ، بعد طويل ظلمة وتأخر وسبات ؟؟

ان الشعب العربي اليوم مدعو لان يقف على الحياد ، لا لان الحياد في ذاته نغم كبير لهذه الدول العربية المتفرقة بل لانها في ظل الحياد تستطيع ان تجمع شملها .. تحرر نفسها داخليا من مخلفات الماضي الطويل .. ولان بعض الدول اذا سارت مع الغرب ، وبعضها الآخر مع الشرق ، والشرق والغرب لا بد من ان يتصادما ان عاجلا او آجلا ، أفلا يجر هذا الصراع ، هذه الدول المتحيزة ، الى معاداة بعضها بعضا ، حتى ان انضمام بعضها لاحدى الكتلتين فحسب سوف يؤدي الى عزل هذه الدول عن مجموعة الدول العربية الاخرى المحايدة ، وسوف يؤخر ذلك كله تحقيق هذا التلاقي .. ما دامت الشخصية العربية بارزة الملامح ، قوية السمات من الاطلسي حتى الخليج العربي ، وهذا ليس تعبيرا شعريا .. انه حقيقة واقعة .. انه هدف قومي نبيل للملايين من ابناء العروبة ، المؤمنين برسالتها ، الساعين لتحقيق وجودها ، واثبات شخصيتها على مسرح الحياة الكبير .

ان لنا ـ ونحن بصدد المذاهب الفلسفية ـ بايطاليا والمانيا اسوة حسنة . فايطاليا تحوى كل الصفات والخصائص التي تؤهلها لانتكون دولة موحدة . وكذلك ـ على تباين طفيف ـ المانيا . فالاسلوب الذي اتبعته كل منهما في سبيل الوصول الى لم شملهما لم يكن مبرره المذهب الفلسفي الذي تعتنقه كل منهما . ان مبررات الوحدة ليست في ايجاد مذهب فلسفي تعتنقه اية امة تريد ان تلم شعثها الممزق ، حتى اذا عجزت انتفت مبررات هذه الوحدة، بالاضافة الى ان ايجاد مذهب فلسفي خاص بالعروبة في مرحلتها الحالية ضرب من المحال . هناك بادىء ذي بدء هذه الشخصية التي ينبغي لم اجزائها المتباعدة ، لاننا لا نستطيع ان نبدع مذهبا او اتجاها ما لم تتكامل شخصيتنا ، وشخصيتنا اليوم مجرد شخصية موجودة في الكتب والاذهان ، مجرد مضمون يبحث عن صورته .. مجرد صورة تبحث عن اطارها .. مجرد فكرة تنقصها حرارة الحياة ، وصدق التفاعل معها ، والحضارة الحديثة ، سواء باتجاهها الفلسفي لدى الغربيين او الشرقيين او باتجاهها المادي الموحد لدى الطرفين ، لم تتوضح الا في السنين الاخيرة عندما تهيأت كل عناصر تكونها وانبعاثها ، وهي لم تنشطر فلسفيا منذ انجلز وماركس، الا بعد ان تهيأت عوامل وظروف هذا الانشطار في شقاء المجتمع ، والحروب الاستعمارية المتكررة ، وانطلاق الآلة أشبه بالثور الهائج المعصوب العينين وسط زحام مهذب من الناس .

والمشكلة في ايجاد مذهب عربي جديد ، تبرز في ان هذا المذهب اذا كان سيبقى على صلة بالحياة ، فانه لا يستطيع الابتعاد عن محور احد النظامين الشائعين اليوم ، فلسفتهما واسلوبهما المادي معا ، والا فانه ـ وقد ينجح سوف يتخذ مثالا فكريا ضيق الحدود قصير المدى وهذا لا يحل المشكلة .. ما دام الموضوع ايجاد مذهب عربي يضاهي المذهبين المعاصرين .. وانه لمطلب عسير المنال !!

على اننا لا نعدم الحيلة ، استجابة لنداء الضرورة الملحة ، الهادفة الى لم شعث الشخصية العربية المتناثرة، بجمع هذه الوحدات الرئيسية من هذا الكيان العربي الكبير والى بعث الحياة وحرارة الحياة ودم الحياة ، في هذا الانسان العربي الغافي في ذاكرتنا ، المرسوم على الورق ، ذلك العربي الكبير رمز الطهر الكبير ، وذلك كله مما يساعد هذه الشخصية على ان تفكر ككل .. وتنظر الى الحياة ككل .. وتقدر مفاهيمها عن كل جامع شامل لجزئياته .. في حدود بقائه حيا .. نابضا بالحياة .!.

هناك ـ اذن ـ مقدمات لا بد منها ، لايجاد مذهب عربي ، او لايجاد ظروف مناسبة قد تتيح الفرصة لايجاد مثل هذا المذهب ، ومن هذه بعض الشعارات التالية :

١ ـ العروبة لا يوحدها الا بقاؤها على الحياد بين المعسكرين ، وما شاءت السياسة الدولية المعاصرة ان توزع العالم الى معسكرات . العروبة مع معسكر العروبة .

٢ ـ حياد العروبة ايجابي لا سلبي ، بمعنى انها تتعاون مع كل معسكر في الحدود التي لا تجعلها في نظر المعسكر الآخر متحيزة ضده. والعروبة هي التي تقدر هذه الحدود . وليس احد المعسكرين اوكلاهما.

٣ ـ الثقافة الانسانية، خلاصة السعي البشري، نحو الحياة الافضل والاسمى ،وعلى العروبة المتطورة والمتحررة ومن واجبها ان تتابع تطور العلم لدى المعسكرين ، لانهما في حال تصارعهما الطاحن المرير المرتقب ، سوف تكون الملجأ الامين للفكر البشري الذي لا يطاله الدمار

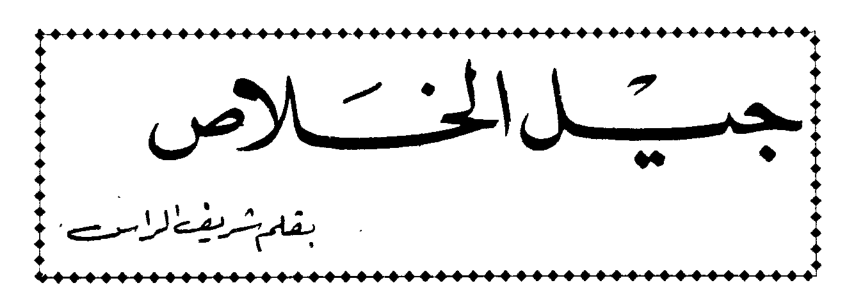
٤ ـ الاخلاص لفكرة القومية العربية واهدافها في التحرر والوحدة واجب كل دولة عربية تحرص على عدم الارتماء في احضان احد المعسكرين او أحد المذهبين ،لان ذلك معناه تأخر جمع عناصر الشخصية العربية ، المستقلة ، في نطاق حي ، متكامل ، منسجم ، وكل نبو عن فكرة الحياد المادي او المذهبي ، من قبل اية دولة عربية ، يضع نصب اعين الدول العربية الاخرى ، واجب اعادة الدولة الشاردة الى جادة الصواب ، ولو ادى الامر الى استعمال السلاح .

٥ ـ ثروات الارض العربية ملك للامة العربية ، تنفق في رفع شأن شعوبها ، ومساعدة بعض الدول العربية التي تساعدها اوضاعها على تحمل تبعات الدولة الحديثة ، ريثما تدنو مرحلة الذوبان في الكيان العربي الكبير .

٦ ـ الديمقراطية الغربية القائمة على تعدد الاحزاب ، وتوزع المسؤولية بين البرلمان والحكومة واعتبار رئيس الدولة غير مسؤول ، وفي كل اوضاعنا الاجتماعية المتأخرة المتنافرة ، تفسد قوى الامة ، التي ينبغي اعتماد الطرق الكفيلة للتعجيل بتطورها ، فالسرعة في العمل والحزم ، والاعتماد على رأي الاخصائيين ، كل في مجاله ، اسلوب ينبغي اتباعه ، بتطوير انظمة الحكم في بلادنا ، نحو حكم لا يقوم على تعدد الاحزاب ، ولا يفسح المجال للمساومات على حساب مصلحة الامة بل يهدف الى اشاعة العلم والصحة والرفاه في الريف العربي ، ولدى الطبقة المتوسطة والدنيا التي تشكل اكثرية الشعب العربي ، اسوة بما حدث .. وبما سيحدث في مصر الثورة مؤخرا .

٧ ـ الاسراع دون ابطاء لاقامة اتحاد بين الدول العربية المتحررة والتي لا ترتبط مع اي معسكر من المعسكرين، بقيود واتفاقات او معاهدات ، تؤثر على سير هذه الدول ، وتطورها ، في زحمة الصراع العالمي .

٨ ـ ان مصر اليوم ، هي الدولة الاكثر نشاطا ، والاوفر فتاء ، للقيام بالدور الذي يتوجب عليها ان تقوم به ، كدولة كبرى ، في مجموعة الدول العربية . وهذا ما ينبغي ان تعترف به الدول العربية جميعا بما فيها مصر . كما ان اسرائيل والاستعمار الذي يساندها ، هما ،



صحيح ان القلق الصاعق ينهش شعور كل فرد من ابناء هذا الجيل العربي المعاصر ، ولكنه القلق الخلاق ، قلق المبدع العظيم الذي استطاع ان يسمو بجناحيه العملاقين الى مستوى الاحداث الكبرى ، فيعيها الوعي اللائق بها ، ويعيشها آلاما وآمالا وتفكيرا في تسديد الطريق القويم ، وليس قلق الناس التافهين الذين قال عنهم احد قدماء العرب : « زبد جفاء وسيل غثاء ، لكع ولكاع ، وربيطة اتضاع ، هم احدهم الاكل والنوم » . واذا شئنا ترجمة هذا الكلام لقلنا : ان هذا الجيل ، هؤلاء الناس الذين تراهم في الشارع والمقهى والسينما ، والذي لهم اوضاع معاشية مختلفة ، و « ثقافات » مختلفة ، ورتب اجتماعية متفاوتة، ومستويات اعمارية متباينة ، هذا الجيل المعاصر يغمره قلق هائل ، « تجثم فوق وجدانه الضخم غيوم كثيفة من تساؤلات عميقة واصيلة ، ولكنه ليس قلقا سطحيا يتعلق باهداف توافه الامور : كاشباع اللذات العابرة ، وملاحقة الاحلام اللازوردية والتغزل بالورد ومناجاة القمر ، والنوم في سراديب السحر المظلمة ، او خدر الجمود العقلي المترسب وانما هو قلق الامة التي تحس خطورة لحظة الولادة والانجاب والانبعاث ، وانما هو قلق من يعيش في الموت ومن يريد ان يتخلص من شبكة الموت في الحياة، قلق الصراط الرفيع الشاهق : وقفة المجازفة بكل الامكانيات في سبيل قفزة فوق الهوة السحيقة الى ميدان صخري قوي .

وهذه الغيوم الكثيفة التي تجثم فوق وجدان الجيل تريد ان تخنقه ويريد ان يقشعها وهذه التساؤلات العميقة والاصلية التي تسمعها على لسان الفلاح والنجار والمتسابق وراء اللقمة استفهامات ساذجة ورائقة وبريئة ، وتسمعها على لسان الطليعة الشهمة تعبيرات عن المأساة ، مأساة الظلم الكبير الذي تتعاون الدول الاستعمارية والرجعية الداخلية لتثبيته فوق وجودنا ، مأساة البطل الذي يجازف بجميع امكانياته لتثبيت اهداف الخير فوق بقاع العالم ، واذا بزعماء الاستعمار يصورونه على انه « متأخر » و « جاهل » و « فارغ » ، هذه الغيوم النتنه ، وهذه التساؤلات وهذا الشعور باحتراق الاعصاب فوق لهيب المأساة الهائلة ، كل ذلك حصل عند جيل اليوم ، لان الفرد العربي تخلى عن سطحية الحياة ، ولان « الانا » انمحت في بحر وحدة الامة، ولان المثل الاعلى قد اندغم في عروق كل فرد ، وراسه ما زال مغمورا بضياء المستقبل .

واذ انمحت الانا في بحر وحدة الامة ، واذ كان المثل الاعلى عريقا في التاريخ من جهة، ومنسجما مع آمال الشعوب المعاصرة المحبة للخير من جهة اخرى ، فانك اصبحت ترى كل فرد عربي قد تفتح عن امكانيات امة كبيرة ، واصبحت ترى هذه الامكانيات تتفاعل مع بعضها تفاعلا نضاليا متزايدا في التوسع والشمول ... واذ ذاك لا تعجب اذا ما قرأت في مجلة « النيوزويك » مقالة لمعلق سياسي امريكي اذهلته سوريا : « هذا القطر الصغير ، هذا الشعب الذي لا يزيد عدده عن ثلث سكان نيويورك ، كم هو عجيب ومحير .. لقد دوخنا بدلا من ان ندوخه ... اننا لا نعرف النقطة التي تمسكه منها ... انه من طينة غريبة تستعصي على الامساك » واذ ذاك لا تعجب اذا ما رأيت فلاحي قرية قلقيلية يرابطون عند تخوم الوطن السليب وفي صدر كل

السرطان الذي يؤخر تحقيق الاتحاد بين الدول العربية ، سواء على نطاقه الضيق والواسع . ولا وحدة شاملة بوجود اسرائيل . كما انه لا زوال لاسرائيل بدون الاعتراف بدور مصر الرئيسي في قضية الوحدة الشاملة بالذات . ولا وحدة بدون حياد .

٩ ــ تصفية متناقضات الحياة الاجتماعية ، بالاقلال من اخطار الآلة الحرة على المجتمع العربي ، وتقوية الجيوش المزودة بالعلم والفن ، مظهران من مظاهر كل دولة عربية تسعى نحو الاتحاد ، احدهما كسياسة في الداخل ، القائمة على الاخذ بالبداية الاجتماعية وتخفيض الفروق بين الطبقات باعتماد الضرائب التصاعدية وثانيهما كسياسة خارجية تقوم على مبدأ وضع السيف في موضع السيف ، والندى في موضع الندى .

١٠ ــ من تاريخ الشعوب الحية ، ومن روح الحضارة الحديثة ، القائمة على كلا المذهبين ، ومن خواص الامم والشعوب ، وقوميتنا المنفعلة بالانسانية ، والانسانية التي رائدها السلام الابدي ، ومن الحرص على تجنب الزج بالعروبة ــ كشعب وكقضية ــ في أتون الخلافات الدولية . ومن السعي الذي لا يفتر لجمع الاجزاء العربية ، المتناثرة في دولة اتحادية كمرحلة اولى ، من ذلك كله ، حوافز ومثل ، وبيئات صالحة ، لنقتبس منها معين صورة باسمة ، لغدنا الباسم المرتجى ..

وبعد .. فانا مواطن عربي من سوريا ، لا اجيد البحث في الفلسفة وكذلك لا اريد ان اعوض ذلك النقص ، بالتفلسف ، واذا كان باعي يقصر عن مجاراة الاساتذة الذين تحدثوا في الموضوع ، بعد ان جالوا جولاتهم الموفقة ، فان حسبي ان اشمر عن ساعدي ، واضرب الارض بمعولي ، لنشيد جميعا ، على هذه الارض صرح عروبتنا ، وصرح بقائنا ، وامجادنا التالدة والحاضرة ، والتي لم تطل بعد .. من القادسية ، وحطين ، ومعركة التحرير في الجزائر .. وحتى معركة الصمود في بور سعيد .

حلب — **علي بدور**

منهم تحد صارخ لكل قوى الشر العالمية التي تساند اسرائيل وفى نفس كل منهم تشوق للموت فى سبيل رفع الراية ، راية الثأر والخلاص . وذات ليلة ركزت اسرائيل كل « قواها » على قلقيلية ، اربعة الاف جندي ، وطائرات ، ودبابات ، وخمسة اطنان ديناميت فجرت حول بيت عربي واحد وخسئت اسرائيل فى النهاية . فقد كان التحدي البطولي اعظم واعظم : كل من كان فى الخنادق يحرس قرية استشهدوا في خنادقهم ، لم يتراجعوا شبرا واحدا ، كانت جنازير الدبابات الضخمة تقترب منهم مجلجلة بالموت فمترسوا صدورهم في وجهها . . فهشمتهم الجنازير الثقيلة وصفحتهم بين ثنايا الخنادق . . . واطنان الديناميت طيرت فى الفضاء البيت الراسخ ومن فيه ، ولكن السور البطولي العظيم ظل صامدا وظل متحديا . . . وصائدو الآذان لا يزالون يزدادون انغماسا فى « هوايتهم » الفذة : يخرج احدهم مساء « انا ذاهب الى الصيد » ثم يعود مع الفجر وجعبته مليئة بآذان، آذان يهود « والا فلم العيش اذن ؟! »

وانماء الذات فى بحر الامة العظيمة ، وكون هذه الامة ذات مثل اعلى اصيل وحضاري وانساني ومتسم ببهجة الخلاص الذي يشع من وهج المستقبل دائما ، هو الذي جعل الشرارة تنطلق من كل مكان فى الوطن العربي ، وهو الذي جعل الاشعاع الاول ينبثق من الشرق ، مع الشمس ، من بغداد ذات يوم ، ويشتعل جمرة فى دمشق والقاهرة ، وينتصب سورا جبارا على الحدود ، على كل الحدود ، فى البحرين ، والضفة الغربية ، وبور سعيد ، والجزائر ، وكأنما كان كل حرس السور على موعد ، فالشعارات واحدة والامل واحد .. ومع تجاوب الحرس للنداء يزداد السور صلابة على صلابة ، والرفعة فوق الرفعة ، والتحدي يستدعي التشوق للمعركة الفاصلة ، والوطن العربي اصبح بذلك قلعة ضخمة اسوارها عمالقة ، هاماتهم فوق السحاب واقدامهم جذور في ارض الوطن، هناك يؤججون المعاني الخالدة ، وهنا يمتصون المجد من دفء الارض الحنون ، وعند قلوبهم ، اد تتحطم قوى العدو ، تتسامق المحبة والالم والاخلاص والضجر من الشر وكل ما يمكن ان نسميه عناصر القلق الصاعق . ومن صدورهم تتدفق انهار حمراء ، شلالات من غيظ ورحمه ، من بطش ومحبة، لتنصب فى الخندق الاحمر العظيم المقفل حول الوطن الام او الوطن الحياة . وكم من سفينة اجنبية غرقت في خندق الدفاع هذا ؟ وكم كان ريتشاردز خائبا حين اراد ان يقنع نفسه ويقنع الاستعماريين الامريكيين بان ما داخل السور ليس « فراغا » وانما هو « خليج الحرية » .

وفى خليج الحرية هذا كان الشعب الواحد العظيم يعتقد انه اجتاز بحلم من الاحلام ، فقد كانت انتصاراته الرائعة تتلاحق باسرع مما كان يظن هو نفسه ذات يوم ، ان نشوة الحرية تلعب في الرأس دورا اشدهولا من دوار ايما خمرة. « حتى الفلاحون عندنا اصبحوا يعرفون من هو ايزنهاور وماذا فعل بنا وماذا يريد منا » . والتيارات الشعورية الخصبة التي كانت « بعض الاصابع » توجهها لتنصب حول خرافة وهمية، حول الجن والقوى الغيبية ، حول الاولياء، حول كل ما ليس له علاقة بحياتنا النضالية ، هذه التيارات الشعورية الخصبة عند كل الناس قد انصبت عند عبد الناصر لا تحيد . ربما كانت هذه ابهى تجربة فى التاريخ وانقاها ، اذ ههنا حقا يتجسد معنى « البطل الامة » .

وفى خليج الحرية هذا يعم القلق ، قلق الخلق والابداع ، فالجميع يريدون تفتيح التاريخ ، تفتيح الحياة العربية ومصيرها واقدارها ، والمراهقون يجدون لذة اكبر في التغني ببعض الاناشيد الوطنية ، فهي لصيقة بحياتهم اكثر من الغرام، والشباب فى المقهى قد غيروا من لهجات نكاتهم واصبح مألوفا لديهم ان يمضوا السهرة وهم يناقشون الاحداث و « اسرار الكواليس » مناقشة اناس مسؤولين جديين ، يتلاقون فيسأل بعضهم البعض : « هل لديك معلومات جديدة عن الاردن » ويفترقون وكل منهم مشغول حقا فى تطورات الاوضاع هناك . وكأنما هم رهبان سياسة لا يعرفون عن المرأة شيئا ولا تسمح لهم الظروف بالتعرف على متع الحياة . « ثمة اخطاء كثيرة قد وقعت ولا يجوز السماح بتكرارها » والجميع يعيدون النظر كل يوم في تاريخهم ، وفى سلوكهم ، وفى انسجام هذا السلوك مع التاريخ .

فى الماضي كان الوقت عبئا عليهم ان لم تملاه الاحاديث التافهة والثرثرات والخمول والخدر ، كانوا يقطعون الوقت، فاصبح الوقت يقطعهم : اذ الصليب ثقيل ، وكل منهم يحمل صليبه فوق كتفيه لا يتخلى عنه ، والعبء اضخم من ان ينشغل عنه المرء : « انهم يعضون على انتصاراتهم بالنواجذ » ويسيرون في طريق الخلاص .

فى الماضي كان المثل الاعلى غافيا ، مطمورا تحت اكداس من الخرافات والجهل والعفن والتآمر ، ولهذا كنا نرى اضخم جماهير الشعب تتجمع حول مواكب المتصوفه حيث الرايات السحرية ذات الالغاز المستورة بين ثناياها ، والرقع الباهتة الالوان والسلاسل النحاسية فوق ثناياها ، والبغل فى رأس الموكب ، ولفات خضراء كثيرة مبثوثة هنا وهناك . والمزاهر الخشخاشة والتدجيل والسحن المقلوبة وزخمة الشعوذة تهيمن فوق الجميع ، والجماهير تتسابق «للفرجة» يشدها الخوف من الغيبي وتبيع مصائرها مجانا لتجار المصائر الذين يضحكون على الجميع .

واليوم ، وقد احتضن الشعب المثل الاعلى ، واستيقظت في النفس العربية قوى التمسك بالحرية ، والثأر ، ونشر العدالة والرحمة بين المواطنين فانك اصبحت ترى اضخم جماهير الشعب تتجمع حول موكب شهيد ، تحتضن المثل الاعلى ، تمجد الابطال ، تتفاعل تفاعلا بناء ، تتوحد ، تعيش مآسيها ، تعرف عدوها ، وتسير فى طريق الخلاص .

انه جيل الخلاص .

حماه

شريف الراس

الورقة الحادية عشرة

« رسالة من ابي رداً على احدى رسائلي الباكية (*) »

إن كنتُ في عيني « أبي رضوان (١) » شيئاً مزعجا ،
قذراً كأصلي ، ليس من حقي الكلام
كالناس .. مشؤوم الجبين السمج ، موبوء العظام
كأحط أنواع الهوام
شفتاي تلتقطان قوتهما ، وصدغي في الرغام
كأحط أنواع الهوام
كما يقول بحدة متشدقا
وملوحاً بيساره الشوها ، ليصفعني بكل وقاحة
ليذلني ، ليميت خيطاً في فمي متوهجا ،
ليظل يذكرني جدار تفاهتي ،
ولهاث نير علقا
في قبونا من ألف عام
إن كنت في عينيه – لاسلمت له عين – خسيساً أحمقا ،
وبعوضة سوداء في صهريجه ، شدت الى وشل وطين
مهلاً بني ! فإنني مازلت أؤمن بالسعادة بعض حين
مازلت أؤمن بعض حين ،
فالفوانيس المضيئة من كوى الأحزان
تصنع ثقبها في الليل كالجرذان مهلاً ! والحياه
علقة في ثديها المأكول تنقر ضحكتان
كالوحل تنشف في حراج الشمس، قشرة أفعوان
الوقت محرقة – يقال – تنوء في الليل الأخير بجر
(قافلة الدخان ،
فلا تفتش في حياتك يا بني ، كما نعري إمرأه
مهلاً ! لأن الوقت قشرة أفعوان
كالأفعوان يشق في عين السماء ، قميصه المتهرئه
... وأنا وإن لم أطو في رأسي كتاباً من حقيبة كتبك
(الصفرا ،
فلي من نورجي المشجوج ، من محراثي الثرثار ،
من إعوال ساقية مقيدة الفكر ،
من نجمة في طاقتي مشنوقة ،
وعمامة تأوي الى سقفي وفي فمها حجر ،
من ربوة جرحتها بأصابعي العجفاء ،
لي من سلخ عمري خلف أذناب البقر ،
في خدمة البيك الزنيم وزوجه العري
قراءات ولي ... لي يا بني ، من ارتطام مشاعري
(الكبرى قراءات أخر .
لو كنت أملك وصفها
لبكيت مثل بكاك أمس ، بكيت من حزني المديد
سبعين عام
وأنا أعيش كبكرة منصوبة
سبعين عام
ألغ الحجار وسحمة القدر الملاطة بالسماء الجدبة
سبعين عام
وانا انام على حصيره
في قرنة مثلوجة الانفاس ، منتنة صغيره
في دار سيدنا الكبيره
ذات الطنافس والمدافيء والخزائن
الدافنات بطونها الحلل الكثيره
والمعجن المجبول من لحمي ولحمك ، والمعادن
اللامعات حيال اعيننا الحقيره
وانا ووالدتي ووالدي العجوز
كنا ننام بجنب هاتيك الكنوز
كنا ننام على حصيره
شهدت ولادتك العسيره

(*) من مجموعة « من اوراق عاطل عن العمل »

(١) لقب البيك

عندما يستيقظ الخريف

قصة بقلم خالد الشريقي

(يا اهلها ... ويا طالباتها .. لا تؤمنوا بآخر خيط من قصتي .. اني اكذب عليكم ..)

انها على يقين بانه يعرف عدم رغبتها فى التدخين ، ومع ذلك فقد قدم لها احدى سجائره حين هم بأن يدخل غرفته ، وكادت ترفضها لولا انه قال:

ــ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها .

ورأت فى عينيه الاصرار ، وشيئا آخر كان يتراقص امامها لم تدركه فمدت اليه يدها المعروقة ، وتناولت السيجارة ، ودخل غرفته . كان ابوه قد ذهب لينام ، وامه راحت لتحضر لها فنجان الشاي ، فبقيت معه فى الصالون الذي اعتادت ان تسهر فيه بعض لياليها مع اهله . وفى ذلك الوقت قدم لها السيجارة ، وصفق الباب وراءه .

ولم تنتظر طويلا ، بل دخلت غرفتها بعد ان شربت فنجان الشاي . وقالت لامه ان رأسها يؤلمها . ووضعت السيجارة بقربها على الطاولة . لم يكن رأسها يؤلمها كما ادعت . انما شعرت برغبة ملحة فى الجلوس لافكارها ، ونزلت فى فراشها .

ــ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها .

تمنت لو قال اكثر من ذلك ، اذن لاستطاعت ان تفهم شيئا من مراميه. وتمنته لو لم يدخل غرفته فى ذلك الوقت ، فربما استطاعت ان تقرأ فى عينيه الفكرة التي تدور فى رأسه ان كان يقصد شيئا .

انه يريدها ان تذهب اليه فى هذا الوقت من الليل بعد ان نام جميع اهله ليشعل لها سيجارة لا ترغب فى تدخينها . هل تستطيع ان تقنع نفسها بهذه الفكرة ؟.

وتململت فى سريرها ..

لقد اعتادت ان تغفو فى مثل هذه الساعة . فاطبقت جفنيها ... ولكن سرعان ما انتابتها رعشة خفيفة .. لن تستطيع النوم قبل ان تحل هذه العقدة ... هل تذهب اليه لتسأله ماذا يقصد ؟.

وتململت مرة اخرى ...

صباح هذا اليوم قالت لها امه :

ــ سيذهب غدا يا سميرة لانتهاء اجازته ، هل ترين كيف مضت هذه المدة سريعا ؟

انها لا تنكر بأن هذه الايام الاربعة مضت سراعا . لقد كانت رشيقة ممراحة على غير عادتها . لقد شعرت بذلك الليله التي قدم فيها . وكانت تعد الساعات التي تقضيها فى المدرسة مع طالباتها ، لتذهب بعدها الى البيت حيث تجده مع اهله يضاحك اخوانه . وكان يبتسم لها ، ويصافحها بحرارة ، ويجلس معها احيانا ليحدثها عن ارض الحدود التي يعيش فيها ، والليالي الضاحكة التي يسهرها مع رفاقه الجنود ، وهي تصغي اليه بلهفة . ربما لم تتابع كلماته احيانا ، بل كان خيط ــ لا تراه ــ يربط عينيها بشفتيه اللتين تتحركان بآلية خاصة تتمنى معها ان لا يسكت .

وقد تساءلت عن سر اهتمامها به. بل لقد عجبت من نفسها عندما نهضت مسرعة من فراشها بعد منتصف الليل على اثر ضجة فى البيت عرفت منها انه قدم باجازة الى اهله . ووقفت امام مرآتها تصلح شعرها ، وتمسح عن عينيها اثر النوم ، وتفتح الباب لتدخل الغرفة التي التف أهله فيها حوله فرحين لقدومه ، وهو بلباسه العسكري ممددا فوق الكرسي تعبا ، لا يكاد يتكلم . ومدت له يدها :

ــ اهلا وسهلا ... الحمدلله على السلامة .

ونظر اليها دهشا ، انه لا يعرفها . وكاد يتساءل من تكون لولا ان قالت امه :

ــ انها المعلمة سميرة قد استأجرت احدى غرفنا .

وَمَخاض أمِّكَ في الصقيع ، مَخاضَ أمِّكَ في الصقيعْ ،
والرَّوثُ يملأُ أنفها والخوفُ ، بالغثيانِ والنَفَسِ الثقيلْ
وسعادةُ البيكِ الخليعْ
في داره ، تلكَ الكبيرَه
لصقَ الوجاقِ يَعَضُّ من شبعٍ سريرَه .
... وكَلَيلةِ الأيتامْ
في يوم عيدْ
كانت لنا احلامْ
من مقلعِ الآلامْ
قدَّتْ ، ومن شَفَتَيْ وَريدْ
يَستنزفُ الدمَ ، والنشيدْ
ما جفَّ بعد عليهما .
لكنّني ــ وبرغم ذلك يا بُنَيّ ،
رغمَ ارتكاضي في طريقْ
جوعي . . طريقِ شجيرةِ التّينِ اللّعينْ
مازلت أؤمنُ بعضَ حينْ
مازلتُ أؤمنُ بالسعادة بعض حينْ

هنري صعب الخوري

ونظر اليها طويلا ، بل لقد ابتسم لها وكأنه سر لرؤياها . وبقيت معه عشر دقائق ، ثم اعتذرت ودخلت غرفتها .

لم نهضت من فراشها في تلك الساعة من الليل ؟ الم يكن باستطاعتها الانتظار حتى يطلع الصباح فتسلم عليه ؟.

كانت بها رغبة ملحة لان تراه امامها رغم انها رأته كثيرا في صوره عندما تجلس اليها امه لتحدثها عنه قبل ان يصبح عسكريا ، وعن حياته التي وجدت فيها شيئا تبحث عنه ، حتى تمنته مخلصة ان يأتي لتشاهده عن كثب .

وها هو قد اتى ، ورأته ، فهل اشبعت فضولها ، وهل هذا فضول منها ؟.

حتى انها لتذكر يوم سألت اخته عما اذا كان يحب فتاة ما ، فأنكرت اخته معرفتها لذلك لانها لم تعتد الوقوف على شيء من اسراره .

وهي تذكر ايضا فرحها الذي تشارك فيه اهله عندما كان يبعث اليهم برسائله ، فتقرأها بدورها ، وتتمنى لو يكتب لها . حتى انها فكرت بأن تكتب له ،وشجعتها على ذلك اخته . ولكنها لم تفعل .

وكثيرا ما دخلت غرفته ، وعبثت بكتبه ، لتنتقي منها كتابا تقرأه في وحدتها ، او كأنها تبحث بين ملفاته واوراقه عن شيء لا تدركه . بل لقد تساءلت مرارا عن سبب ميلها له ، وحركاتها العفوية اذا ما ذكر امامها فأقرت ، او ربما اوهمت نفسها بانها اكتسبت من اهله شعورهم نحوه ، فقد احبتهم ، ورأت فيهم اهلها البعيدين عنها .

انها لتشكر الظروف التي عرفتها بامه . بل لتشكر ام سليم التي ذهبت بها اليها لتسألها عما اذا كانت تؤجرها احدى غرف منزلها الكبير .

لقد عاشت معهم حياة هادئة ، لا تختلف كثيرا عن حياتها مع اهلها في دمشق ، وكان البيت متسعا ، لا يوجد فيه سوى ابويه واختيه وصورته الكبيرة المعلقة على الحائط ، حتى لقد كتبت لاهلها تقول بانها عثرت على اناس طيبين استأجرت في بيتهم غرفة مفروشة . ولم تنس ان تذكر لهم في رسالتها (ليس في البيت من ابن لهذه العائلة) . ولاول مرة في حياتها شعرت بأنها تكذب .

ان اهلها يثقون بها ، والا لما تركوها تسكن مدينة لا تعرف فيها احدا ، كما ان لها ايضا كل الثقة في نفسها . فهي مستعدة لدخول أي مجتمع كان دون ان يستطيع انسان ما الحديث عنها بشيء تسمعه يقال عن زميلاتها في التعليم .

هي تعرف ان الواحدة منهن تحب اكثر من واحد ، وتتغنى بهذا الحب ، اما هي فلا تجد لها في هذا الحديث اي مجال ، لانها لم تعرف الحب في حياتها . حتى ان خديجة قالت لها مرة :

ـ امن المعقول ان احدا ما لا تحبينه يا سميرة ؟

واقسمت لها بصحة كلامها . فهي لم تكذب عندما قالت انها لم تحب بعد . كانت صادقة كل الصدق،فقد قضت حياتها بين دفات الكتب دون ان تشغل نفسها بما يشغل زميلاتها في الجامعة في الوقت الذي كانت فيه طالبة جامعية . حتى وعندما انهت دراستها في كلية الآداب ، واصبحت معلمه ، لم تكتف بذلك ، بل انتسبت لفرع الحقوق .

وتململت في سريرها ...

لم تتعب نفسها بهذا الشكل . التسد الفراغ في حياتها ... وهل في حياتها فراغ ؟.

ربما تساءلت ذلك اكثر من مرة . فما نوع هذا الفراغ اذن ؟ الانها لم تحب ... الا يكفيها ان تحب اهلها ، وكتبها التي تعيش معها ؟ . قد لا تنكر بأنها ستحب الرجل الذي يتقدم لخطبتها . ربما ستحبه ولو كان بأي شكل ، فيكفي انه اختارها من بين الكثيرات . انها تريد ان يكون هذا اليوم قريبا ، فلم تعد صغيرة ، لقد تجاوزت الثلاثين من عمرها ، واكثر رفيقاتها بل وبعض طالباتها رزقن باولاد .

حتى انها تساءلت في احدى المرات عن سبب عزوفهم عنها. لم تكن قبيحة، انها اجمل من نعمت ـ زميلتها في التعليم ـ التي يلحق بها اكثر من شاب كل يوم ، لكن نعمت هذه تضحك في طريقها بدون سبب ، وتلتفت وراءها كلما وصلت لمنعطف شارع ، وتتقبل اعجاب اي رجل بهـا ، وهي مستعدة لان تسير برفقة أي كان . وهي لا تفعل ذلك ، من المحال ان تلتفت وراءها ، اوتسير برفقة انسان لا تعرفه .

ولكن هل دعاها احد لتسير معه ؟

لم تكن لتفكر بالحب ، كانت حياتها لا تتسع لغير الدراسة ، وعندما اصبحت معلمة ثانوية اختاروا لها هذا البلد ، فعاشت اوقاتها مع طالباتها ، ونظمت لهن ساعات فراغهن . وكانت سعيدة باحترامهن لها ، فلم تكن تسمح لواحدة منهن بالمزاح معها ، وكانت السبب في طرد احداهن من المدرسة لانها رأتها تقرأ رسالة من حبيب لها في الصف . وثارت ، وكادت تنفجر عندما وجدتها تحمل عبارات حب فاضحة ارتعشت لها كل خلية من جسمها ، وصرخت بها ، وكادت تضربها ، لم تتصور ان فتاة لم تتم تعليمها وتكون عاشقة ، لم تعتقد ان واحدة من هذه المئات تعرف الحب .

ومر امامها خاطر سريع ، ما لبثت ان بددته ، ما المانع في ان تكون هذه الرسالة موجهة اليها من واحد ما ؟ .

وشعرت انها ظلمت هذه الطالبة عندما طالبت بطردها ، رغم ان اكثر المعلمات لم يؤيدنها ، حتى ان واحدة منهن قالت بجرأة :

ـ وما يمنع صبية منهن في ان تحب ؟.

وكادت تمر هذه الجملة عليها بسلام ، لولا اضافت اليها تلك المعلمة هامسة :

ـ كلنا عاشقات ...

وارادت ان تصرخ ، وان تصرخ ، وان تكذبها ، وشعرت انها أهينت . وهذا ما دفعها للتمسك بطلبها في طرد الطالبة العاشقة من المدرسة .

لو انها تأتي اليها الآن اذن لاعتذرت منها، وربما سعت في اعادتها للمدرسة، فهي تذكر ان احداهن قالت لها :

ـ من يحب يعذر لتصرفاته .

ولا تعرف كيف تكون تصرفات المحب ، ترى اتختلف عن تصرفات من

لا يحب ؟ وهل عاداتها تختلف عن نعمت ، وغيرها ممن يحب ؟

ان هذه رسبت مرة فى صفها عندما كانت طالبه جامعيه ، وما من مرة رأتها الاضاحكة مرحة ، كما انها تمازح اكثر الطالبات ، وتغني معظم اوقاتها ، وتذهب دائما للنزهة ، وتقوم باعمال كثيرة .

اما هي فكان لها فى كل عام كتب مدرسية جديدة ، ولم تشعر ان بها ميلا للغناء ، او انها تضحك كثيرا او تمازح الطالبات ، حتى انها لا تذهب للنزهة الا بعد الحاح زميلاتها فمعظم فراغها تقضيه فى غرفتها ، اما لتقرأ ، او لتنام الساعات الطوال .

وقد احبت اهله ، اذ استطاعت ان تعيش معهم كما فى بيتها ، بل رأت فى ابيه الطاعن فى السن صديقا يحدثها فى الشعر، ويزيح الضجر عنها بنكات تضحك لها بشكل لم تألفه فى مدرستها .

وعندما جاء ، ارادت ان تضحك كثيرا ، وشعرت انها غدت حفيفة ، ورأت نفسها تمازح الطالبات ، وربما ارادت ان تغني ، بل ربما تمنت ان يطلبها لنزهة بحرية .

لكنه له يفعل .

ـ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها

تذكر مرة ان بائعة متجولة جاءت اليهم لتبيعهم اشياء نسائية كعادتها فى بعض الشهور ـ كما فهمت من اخته ـ وما كادت هذه تراها حتى سألت اخته فرحة :

ـ أهذه هي الكنة ؟

وشعرت برغبة ملحة لان تبتسم ، بل ربما ارادت ان تقبل هذه البائعة، ونظرت الى اخته وكل خلية فى جسدها تتراقص ، كأن نشوة غريبة تغمرها لم تعهدها من قبل ، وقالت لها اخته بعد ان ذهبت البائعة :

ـ ما رأيك ياسميرة لو تتحقق هذه الفكرة ؟

وابتسمت فى داخلها ، ولم تجب اخته ، انما انزوت مع نفسها تحاول ان تخجل ، امن المعقول ان تتحقق هذه الفكرة وهي على يقين بانها تزيده اكثر من سبع سنين ، ومن يضمن لها ان اخته صادقة فى قولها ؟

ومن يومها شعرت انها تتقرب من اهله اكثر من اللازم ، وانها تحدثهم عن شوقها لرؤيته ، وارادت من صميمها ان تعيد اخته حديثها عن فكرة البائعة .

ـ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها

وتململت فى سريرها ، وازاحت الغطاء عن انفها ، واخرجت يدها ، كأنها لم تعد بحاجة لان تنام ، واستلقت على صدرها ، وشعرت انها تريد ان تضغط بجسمها على الفراش ، وان شيئا ما يتوغل فى اعماقها لم تشعر به من قبل ، وحاولت ان تبعد هذه الافكار عنها ، فأعادت استلقاءها على ظهرها مكرهه ،واصطدمت يدها بالطاولة الملاصقة لسريرها ، فتحسستها برفق ، وشعرت بشيء تستقر عليه يدها ، وتناولت السيجارة .

ـ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها

غدا فى مثل هذا الوقت لن يكون فى غرفته ، سيسافر صباحا كما قالت لها امه ، ولا تعلم متى ستراه .

ومسحت وجهها المعروف ، واحست انها تكاد تختنق ، وان شيئا يطوق جسمها ، وانها بحاجة لهواء جديد .

ونهضت الى نافذتها المطلة على الشارع ، ووقفت تملأ رئتيها هواء نقيا ، وارادت ان تتمشى فى ارض الغرفة ، ولم تشعر بنفسها عندما وقفت امام المرآة الصغيرة المثبتة على الحائط لتتأمل وجهها الصغير على ضوء مصباح الشارع .

وتطاولت على رؤوس اصابعها ، لترى فى صدرها شيئا لم يثر انتباهها من قبل ، ففطته بيديها ، وضغطت عليه بشدة ، وارادت ان تلتصق بالحائط ، بل ارادت ان تفعل شيئا اكثر .

وانحنت لتلتقط السيجارة التي فلتت من اصابعها ...

ـ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها

وارادت ان تشعلها ، وان تعب منها نفسا عميقا ، كما يفعل هو عندما يفكر ، وكانت على يقين من انه ليس فى غرفتها كبريت .

وتسللت الى الباب، وفتحته على مهل ، وكأنها لم تدهش عندما وجدت غرفته مضاءة ، بل ربما كانت متأكدة انه يمسك بالكبريت ، وينتظرها .

هل تذهب اليه ؟.

ماذا لو شعر بها اهله ؟ هل تقول لهم انها ذهبت اليه لتشعل سيجارة وهم يعرفون عزوفها عن التدخين ، وكادت تتراجع لولا ان شدها خيط من ماضيها الى الباب ، وتأكدت انه سيبقى بانتظارها طوال الليل ، لا لشيء ، الا ليشعل لها السيجارة ، والا لما قدمها لها ، وقال :

ـ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها

وتقدمت على رؤوس اصابعها ، ووقفت امام باب غرفته ، وشعرت بضربات قلبها ، ومدت يدها لتمسح شعرها المتهدل .

هل تقرع الباب ؟ ربما شعر بها اهله ، اذن ستدخل دون استئذان . وقبضت على الاكره ، وادارتها...

كان ممددا على سريره يقرأ كأنه لم يشعر بها ، ووقفت بالباب ، واحست بحرارة وجهها ، وبشيء يضطرب بين جنبيها ، وارادت ان تهرب، وان تلوم نفسها ، بل ربما ارادت ان تبكي

لكنها لم تفعل .

ورأته ينظر اليها وفى عينيه تتراقص ابتسامة لم تستطع تفسيرها ، وكانت ترقب يده التي امتدت وتناولت علبة الكبريت ...

ـ انا فى غرفتي عندما تريدين اشعالها

وشعرت برجليها تتقدمان منه، وبأن يدا اخرى تلف خصرها وتضغط عليه بشدة ، وان شيئا قد جمد فى عينيها ، وان رأسها يكاد يتدلى فوق كتفيها ، وانها تكاد تسقط على الارض . ومع كل ذلك فقد كانت متأكدة من ان السيجارة لم تقع من بين شفتيها المرتعشتين ...

خالد الشريقي



النشاط الثقافي في الغرب

انكلترا

المعركة التي خسرناها

لمراسل « الاداب » خالد القشطيني

في ابان عودة الادارة المصرية الى غزة امتلأت محطات القطار في لندن بلافتات تصور فلاحة اسرائيلية متمنطقة ببندقيتها تترصد الفدائيين ، على وجهها من العواطف ما شاء فن التصوير ان يضع وتحتها سطور تهيب بالجمهور ان يضع حدا لقلق هذه المرأة بتجريد مصر من غزة . هذه الصورة لم تكن في المحطات فقط بل نشرتها معظم الصحف وبنداء مشابه . وكانت النتيجة طبعا اننا الفينا الطيبين من الانكليز يعتقدون ان حوادث الحدود لن تنتهي الا بسحب مصر من قطاع غزة . اغرب من ذلك اننا الفينا هؤلاء الانكليز انفسهم الذين ضربوا باقدامهم الارض واصروا على سحب ابنائهم من القناة لا يجدون اي ضرورة لسحب الاسرائيليين ! كان اليهود اول من فطن الى اهمية الرأي العام واهمية تضليله في الديمقراطيات الحديثة . ومنذ قضية دريفوس ودفاع اميل زولا الشهير عنه عمدوا الى كسب الاوساط الفكرية الى جانبهم والسيطرة على الصحف ووسائل الدعاية حتى اذا حصلوا على وعد بلفور جعلوا من لندن بوتقة من الدعاية الصهيونية.

فبم قمنا نحن ؟ في عنفوان الاعتداء الثلاثي على مصر ، قبله وبعده ، لم يكن لدى العرب أي وسيلة هنا غير رابطة الطلبة التي لا تملك حتى دارا لها . فأي جريمة هذه ، ان نفتح بلادنا لدعاية أي أفاق ، من روسي الى امريكي ، ولا نفكر في غزو ديارهم ونحن احوج للتأثير عليهم ؟ لقد كتب الكثير حول فتح دور للدعاية العربية وللفكر والتراث العربي ولقي كل ما كتب كل ما استحق من الاهمال من قادتنا . فهل تكون الدعاية على مثل هذه التفاهة ؟ اننا نستطيع منازلة اليهود في كل شيء الا الاقتصاد ، وما أظن يهوديا يضيع امواله في تفاهة لا تثمر . ليست المسألة اهمالا ولا سوء تقدير ولكن معظم ساستنا نشئوا على التقاليد السياسية الشرقية الصحيحة التي لا يدخل الرأي العام في قاموسها ، وهكذا لم يستطيعوا ان يفهموا دور الرأي العام في سبك سياسة الدول الديموقراطية . وفي الاحوال التي استطاع سياسي فينا ان يعطي للرأي العام حقه لم يستطع ان يدرك قيمة لافتة في محطة قطار في تأثيرها على شعب ٨٧ ٪ منه امي كالشعب العربي وصعب عليه ان يتصور انعدام الامية في دول الغرب .

هكذا وجدنا من تمثلنا هنا هي مجلات وافلام تصدرها شركات النفط والنقطة الرابعة .. الخ.. ونحن نعترف ان هذه المطبوعات تقدم صورة براقة لبلادنا ، براقة في الحقيقة اكثر مما يجب . المهم ان الغرب يرسم العرب بالشكل الذي يعجبهم . في عهد الانتداب كان الشرق كله خرافات وامراضا واستبدادا ليبرروا لانفسهم حق الانتداب . وفي عهد مشروع ايزنهاور ، الشرق كله علم وسعادة وحرية لا يحتاج غير صيانته من عين الحسود . ولكن اين وجهة نظر العرب انفسهم ؟

الحمد لله ان تنبهت مصر اخيرا فعمدت الى تحويل النادي المصري الى النادي الثقافي المصري . ودأب الدكتور حميد البطريق ، مدير المكتب الثقافي ، على جعل هذا التحويل من اسم الى عمل . فالعمل يجري لفتح مكتبة تزيد على ١٠،٠٠٠ كتاب . والعمل يجري في تنظيم برنامج شهري يضم محاضرات وافلاما سينمائية وقراءات مسرحية . والحق ان النادي سبق ان قدم محاضرات كان منها محاضرة الاستاذ عبد الرحمن سامي عن « الموسيقى العربية » مع نماذج قدمها على القانون لقيت كل الترحيب من الانكليز . وفي الشهر الماضي قدم محمد مصطفى فوزي محاضرة مع صور بالفانوس السحري عن «الفن الفرعوني واثره في الفن الحديث » كما قدم البطريق محاضرة عن تاريخ القضية المصرية اثناء معركة السويس . وعرض النادي افلاما مختلفة شملت مؤتمر الرئيس عبد الناصر ونواحي من الحياة المصرية . والآن يجري اعداد نشرة دورية تقدم للانكليز وجهة النظر المصرية .

ولكن دائرة الاستعلامات العراقية ، التي فتحت لنفس الغرض ، سبقت فأصدرت نشرتها في آذار الماضي وقد شملت النشرة التقدم العمراني والنشاط العربي وعرضا لانخداع الجماهير الغربية بالدعاية الصهيونية ، وهي بلا شك مواضيع غنية وجديرة . ولكن المؤسف ان يعوزها الذوق والحصافة وفهم النفس الانكليزية . انها تحاول اقناع الجنتلمن الانكليزي فتستشهد بكوماندور امريكي . لقد زينت غلاف النشرة ، ويفرض في الغلاف ان يكون الاعظم جاذبية وتأثيرا ، صورة زاوية من حائط لا يعلو على المتر ، تبعثرت الحجارة والانقاض من حوله ونفر من المهلهلين بالاسمال من خلفه واصبح صورة للتعاسة لا يحاكيها غير حائط المبكى في القدس . وتحت الصورة سطرت عبارة «دار البرلمان في بغداد» . ان اوسكار وايلد لم يكتب في حياته عبارة اكثر تهكما . وعندما اقارنها بصورة الفلاحة الاسرائيلية لا ادري لماذا تصر النشرة على الحجار والسمنت وبناية البرلمان في اول تشبيهها ؟..

وبعد فاين نشاط الشقيقات الاخرى ؟ السؤال عقيم . فلا يمكن لكل دولة عربية ان تقوم بنشاط مشابه على حدة . والواقع ان تفرق هذا النشاط هو سبب ضعفه . فلماذا لا تقوم الجامعة العربية بالعمل على فتح بيت عربي في لندن وجمع كافة الامكانيات العربية هنا وتكريسها للقيام بسلسلة محاضرات وحفلات سينمائية وموسيقية واصدار مطبوعات على فترات متقاربة ؟ حقا ان صالات النادي المصري تضطلع بلم العرب في لندن وتفتح ابوابها لاجتماعات رابطة الطلاب وغيرها ، ولكن كل ذلك احسان من الدكتور البطريق . مهما يكن فلن تستطيع دولة واحدة القيام بالكل . والحقيقة ان مكتبة النادي غير معدة لعرض الدعاية او الثقافة العربية والا فما معنى وجود الكتب التكنولوجية فيها؟ ان الثلاثين فيلما التي تملكها لا تصلح لاكثر من العرض . والنشرة الدورية التي ذكرناها تصدر حوالي كل ستة شهور ، وهكذا ستسارع مثلا للكتابة

النشـاط الثقـافي في الغـــرب

عن العدوان الثلاثي في الخريف القادم .. وبالاضافة فان هذا النشاط لا يقصد الجمهور الانكليزي الا عرضا ، انه ما زال يعيش في الشرنقـــة والانطواء على النفس التي يعيش بها الرعايا العرب .

هذا المسعى جزء من نشاط ثقافي واسع . فنحن لا ننتظر من الاجانب ان يستمعوا الى مناقشاتنا السياسية قبل ان ننال تعاطفا منهم . يجب ان ننال ثقتهم بفكرنا وعقلنا وفنوننا ويجب ان نفتح في قلوبهم اذنا لاغنية شكوانا . لقد غزا اليهود في فترة قصيرة قاعتي البرت والفستفال بفرقة اسرائيل الفلهارمونية ثم بفرقة راقصة وأقاموا معرضا للتراث الاسرائيلي لم اجد اتفه منه في حياتي ولكن المتحف الانكليزي فتح صدره للمعرض. وان المؤلفات الاسرائيلية تغرق الاسواق : المسرحيات اليهودية تمثـل باليهودية على مسرح الونتر كاردنز ، ومع ذلك فطه حسين يقول ان ادبنا ادب عالمي ! أين هو اذن ؟ الكتاب العربي الوحيد الذي اجده في المكتبات الانكليزية هو الف ليلة وليلة ، وهو دائما مع المجلات الباريسية . والحق ان ادب الانكليز والفرنسيين لم يلق رواجا بيننا الا بعد ان روجت له مئات المعاهد البريطانية والفرنسية في طول بلادنا وعرضهـا . ان العمل الفني ازعج من خطابة خائن اذا لم تستقبله بطانة نفسيـــة جاهزة . يجب ان نجبر الغربيين على تذوق موسيقانا ورقصنا والوان تصاويرنا الصارخة . قد يجد البعض خيالية طفلية فيما اقول . فان وجدوا تلك فلن يعرفوا شيئا عن تاريخ الفنون ولا عن كسب الفلوس . ان هوليود تجمع الملايين من هز البطن الشـرقي . كل ما في الامـر ان راقصاتنا يتناولن خمس وجبات في اليوم ويأخذن ثلاث حبوب مشهية للطعام بعد كل وجبة . لقد رأينا على مسرح الستول كيف خلق الروس بدائع من الرقص الاسلامي ، وكيف ظـل الجمهور الانكليزي يضرب بقدميـه لساعات مصفقا للراقصة الاوزبكية اسماعيلوفا ، وكيف قدم الاوزبكيون على الدف ، آلة الدراويش البسيطة ، عزفا منفردا ما انقطعت الستارة ترتفع وتهبط وما انفك الناس لحظة يصفقون له . ان الدبكات العربية ورقص الاقليات في العراق وسوريا لا يقل مطلقا عما نراه باسم الرقص الشعبي . ولم ذلك ، ان رابطة الطلبة العرب قدمت ضروبا بسيطة منه في حفلاتها الراقصة السنوية فهل خيبت أحدا ؟

صحيح ان الغربيين يمقتون المقامات والمواويل ولكني ما عزفت احدى قطعنا الحديثة لآنسة الا وقفزت على قدميها راقصة . اني واثق انهـم سيجدون في موسيقى عبد الوهاب بعض المتعة ، على الاقل متعة تصيدهم قطعهم الغربية ، وقد ازدردها عبد الوهاب هنا وهناك (ولا نريد ان نقلل من فضل عبد الوهاب هنا مطلقا) . لا احد يعرف ما يحدث في الفـن والفكر . من كان يتوقع ان تغتني الباليـه بشيء من الرقص الشرقي ؟ ولكن هذا هو ما حدث بعد زيارة الراقصة الهندية شنتراو وفرقة كوبال الى درجة ان « التايمس » اعتبرته نقصا في الباليه البلشفية عـدم مشاهدتهم كوبـال .

الهند ، اليابان ، اندونيسيا ، افريقيا ، كلها غزت لندن في الشهور الاخيرة ، فاغتنوا وأغنوا العالم باحتكاكهم ، وفتحوا في صور الغرب منافذ لتراثهم هي بدورها اسس لتفاهم اعمق وتعاطف وجداني ازاء مشاكلهم وقضاياهم ، وبعين الوقت نفض الشعور بالنقص الذي يطأطىء رؤوس الشرقيين جميعا . واني اذ اقرأ برنامج النشاط الثقافي في لندن لا يسعني الا الخجل . ها هي حلقة الموسيقى الشرقية لهذا العام تضمنت برنامجا حتى من النيبال والتيبت ولكن لا شيء من العرب . نسـجل مثل ذلك عن جمعية الافلام الشرقية ، ومثل ذلك برامج التنوعات المسرحية ومثل ذلك البرنامج الثالث من الاذاعة .

في العام المـاضي أقام الرسامان المصريان رمـزي مصطفى وحسـن حشمت معرضا خاصا وستقوم آنسة مصرية ناشئة هي الآنسة مارلينا كلوناريس بمعرض آخر هذا الصيف. ولكن يتضح ان هذه الجهود الفردية صيحة في واد . فلماذا لا تعبأ جهود منظمة لحشد نخبة من انتاج عربي موحد وعرضه في عواصم مختلفة ؟ هنا تعود القصة الى اولها ، فمثـل هذا المعرض لم يحدث في نفس بلادنا العربية بالرغم من ان اليونسـكو قدمت في تنظيم مثل هذا المعرض درسا لجامعتنا العربية لم تفهمه علـى ما يظهر . لا ادري ، ربما كانت العوائق مادية . ولكننا نعرف ان مصر خصصت ٧٠،٠٠٠ جنيه من ميزانيتها لمساعدة المسرح فهل شق عليهـا وعلى الدول الشقيقة ان تكتتب بأموال قلت او كثرت لصقل انتاجنا ثم دفعه الى المحيط العالمي فيتنفس فنانونا هواء جديدا في آفاق جديدة تزيدهم خبرة وثقة ، ونكسب لانفسنا سمعة ومنفذا بين العالم ونضـع على الاقل اسمنا في حلبة السباق ؟

لنـدن **خالد القشطيني**

ازمة "القصة" في الفيلم المصري

بقلم صلاح عز الدين

انتهينا فى العدد الماضي الى ان :

« السينما المصرية صورة من صور الاوضاع القديمة التي لم تتغير ، او لم تغير من حدودها البارزة التي تشى بانتمائها وتبعيتها للمفهومات القديمة ، رغم المحاولات الساذجة التي تبذلها لتقنيع هذه المفهومات القديمة باقنعة مستعارة من مفهومات القوى الجديدة النامية .

ولعلنا نستطيع الآن ان نحدد ازمة السينما المصرية بأنها تحمل فىطياتها علتين قاتلتين : فهي ، اولا ، بحكم تكوينها التجاري تهدف الى غير هدفها ... وهي ، ثانيا ، تبيع قيما قديمة فى سوق آلت الى اصحاب قيم جديدة .. او بعبارة اخرى تواجه حربا اجنبية فى وقت نشبت فى داخلها هي ذاتها حرب أهلية .

السينما المصرية تحمل فى ذاتها متناقضات ستؤدي ، قريبا ، الى القضاء على كيانها القائم الآن . ذلك لان هذا الكيان يعمل بنفسه على تقويض فرصته فى الحياة . »

وفى رأينا ان القصة هي قوام الفيلم كما هو الامر فى المسرح والكتاب. وما تعانيه السينما الآن لا يعدو ان يكون ازمة فكر، وتعبير عن فكر. وهذه المعاناة اساسها كما يدل تاريخ الانتاج السينمائي هو تغلب قوة « المنتجين » على قدرة « الفنيين ».. ولكن يدخل الميدان الان عامل جديد لم يكن له نشاط فعال من قبل ... ونعني به ازدياد قوة الجماهير ونمو وعيها من جهة ، وانعدام تأثير القوى الاخرى التي كانت تحد من سيطرة الجماهير على مصائرها . ذلك لان التطورات الاخيرة قد طوحت بسلطان القوى القديمة على الفكر والمجتمع ووسائل التأثير فى الفكر والمجتمع. ولسنا نريد بهذا ان يذهب بنا التعميم الى الزعم بان سلطان القوى المؤثرة فى الفكر والمجتمع قد زال تماما بزوال ممثليه ودعاته من مناصب الحكم والسيطرة ... فان مثل هذه الآثار لا تزول بزوال الاشخاص المروجين لها.. وانما تنحسر انحسارا تدريجيا امام المد القوى الذي تبسطه وتدفعه لقوى الاخرى .. وهي عملية لا بد ان تستغرق بعض الوقت وربما حتمت شيئا من الصراع والنضال ، والسينما المصرية صورة من صور الاوضاع القديمة التي كانت سائدة قبل ان يتحطم « القمقم » الذي انفتح عن هذا التدفق الجمهوري الجديد ...

كانت السينما المصرية ، منذ نشأتها عام ١٩٢٧ بظهور اول فيلم مصري ــ وهو فيلم « ليلى » ــ حتى بداية عهد الثورة المصرية الاخيرة عام ١٩٥٢ ... صناعة محلية خاضعة لكل المؤثرات الموجهة لجميع القوالب الفكرية المسموح بها فى بلاد تحكمها قوى ذات مصالح متعارضة مع مصالح الشعوب ..

وكان الفيلم المصري بالضرورة يعبر عن افكار تعمل ، اولا وقبل كل شيء ، فى خدمة تلك القوى ومساندتها فى نفس الوقت الذي تستمد فيه حياتها من التأثير على الجماهير « الدافعة لاثمان التذاكر » .

ولم يكن الفيلم ، فى تلك الفترة وبهذا الوصف ، عملا شاذا عن بقية انواع النشاط الانتاجي الموجه الى الجمهور كالاذاعة والمسرح والصحف والكتب .

فلما تغيرت الاوضاع وبلغ التطور مرحلته الحالية انفرج التغير عن هذه الهوة التي تبين مدى التناقض الكامن فى صناعة تستمد حياتها من جانب الجماهير ــ وكانت ــ تعمل فى خدمة قوى كامنة على الناحية الاخرى من هذه الهوة ، قوى معارضة للجماهير .

والوضع القائم الآن ، ، والمتمثل فى ازمة الانتاج والتوزيع ، راجع اساسا الى ان السينما المصرية لم تحشد حتى الان من القوة ما يكفيها لتقوم بالوثبة اللازمة لتعبر الهوة التي تفصلها عن جماهيرها المالكة لدماء حياتها . فهي ما تزال متأرجحة فى مكانها القديم كأنما تتهيأ للوثوب لولا ما يعوزها من قوة وطاقة ..

وما هذه الطاقة سوى المضمون الفكري . فما كان يفصل السينما المصرية عن الجماهير المصرية والعربية الا مضمونها الفكري الذي لم يكن يرتبط بأي صلة حقيقية بعقول الجماهير وقلوبها . وذلك لانه لم يكن سوى المضمون المسموح به من السلطات القديمة، والمرسوم بحيث يخدم لقاءها ولقاء قيمها فضلا عنمساندة هذه السلطات بما عسى ان يؤكده لها الفيلم من اقناع واستمالة لدى الجماهير .

ولنستعرض معا الآن قائمة قصيرة باسماء افلام انتجت بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٢ عسى ان نستدل منها على نحو من هذا الاتجاه ، وذلك رغم ما ينبغي ان نؤكده من تحفظ علمي بأن هذا اللون من الاستدلال ابعد من ان نعتبره استدلالا قاطعا. فأسماء الافلام ليست فى ذاتها مقاييسللحكم على المضمون الفكري ولكن لعلها ان توحي بشيء عن نوع الترغيب الذي كان يجتهد المنتجون فى استغلاله او قل نوع الجاذبية التي يعتمدون عليها فى ترويج الفيلم :

انا وانت (١٩٤٩) امينة (١٩٤٩) آه من الرجالة (١٩٤٩) الستات كده (١٩٤٩) بلدي وخفة (١٩٤٩) بيومي افندي (١٩٤٩) اختي ستيته (١٩٥٠) اسمر وجميل (١٩٥٠) امرأة من نار (١٩٥٠) انا الماضي (١٩٥٠) ايام شبابي (١٩٥٠) الآنسة ماما (١٩٥٠) اشكي لمين (١٩٥١) انا بنت ناس (١٩٥١) انتقام الحبيب (١٩٥١) الحب فى خطر (١٩٥١) المعلم بلبل (١٩٥١) السبع افندي (١٩٥١) انا بنت مين (١٩٥٢) الام القاتلة (١٩٥٢) الحب بهدلة (١٩٥٢)



الزهور الفاتنة (١٩٥٢) الهوى ما لوش دوا (١٩٥٢) بشرة خير (١٩٥٢)

وليس من العسير علينا ان نخرج بصورة شعورية ساخطة لو القينا الان نظرة سريعة الى هذه القائمة القصيرة ، وعدنا بالذاكرة الى قصص هذه الافلام على قدر ما يستطيع المرء ان يستجمع شتات حادثة قديمة وهو اقصى ما يمكن ان يطمح فيه مثل هذا الانتاج لدى الجمهور ، ذلك ان ليس فيهذه الافلام منمقومات القصة ما يمكن ان يضمن لها خلود عامين او ثلاثة ، ولا نراها قادرة على التقاء في الذهن اكثر من بقاء الذكرى الباهتة المهوشة . ونحن نطلق هذا الحكم اطلاقا دون خوف او هيبة من الوقوع في الخطأ او الخلاف استنادا الى اننا رغم اشتغالنا بهذه الصناعة والتصاقنا بها نجتهد اليوم كلالاجتهاد لمحاولة استرجاع القصص المكونة لهذه الافلام فلا نستطيع ان نبلغ اكثر من تذكر المشهد او الموقف او النكتة .. ولو كان لهذه الافلام تراث قصصي سليم لبقيت واضحة المعالم في الذهن رغم مرور عامين او ثلاثة ...

ان هذه القائمة السابقة تمثل نماذج من «الاسماء» وهذه الاسماء تحمل في طياتها « اتجاهات » نحن نراها اليوم معبرة عن نوع الافكار التي كانت تتعامل بها السينما المصرية في العهد السابق على الثورة وانفتاح الابواب امام الجماهير ومصالحها في مصر والعالم العربي .

ويمكن ان نقسم هذه الافلام حسب مفهوماتها الفكرية الى انواع معتمدة على اساءة الظن بالمرأة في الحب والزواج ، واساءة الظن بالمجتمع في الحق والعدالة واساءة الظن بقدرة الانسان على مواجهة حياته ـ وكل هذا النوع نابع من طبيعة الظروف « الرسمية » المسيطرة على المجتمع وآثارها في التفريق بين الرجل والمرأة وبين الفرد والمجتمع وبقية « وسائل التفرقة » التي تضمن في النهاية انعزال الفرد وبطلان فاعليته ـ فاذا اضفنا الى هذا انتشار الافلام الكوميدية القائمة على اثارة الضحك من المفارقات دون ادنى محاولة للبحث عن اسبابها او الاشارة الى مواطنها .. عند ذلك ترتسم امامنا صورة سريعة لمجموعة من الافكار اقتعرت السينما المصرية على تداولها ، وقنع الجمهور بها ، تحت ضغط السيطرة القوية المفروضة عليه بحيث لم يكن بد من قبولها حتى تحين الفرص المواتية ..

اما « المنتجون » فانهم بحكم دوافعهم القوية لانتاج افلام رابحة كانوا ينحازون دون تردد الى هذا الاتجاه المفروض حتى اصبحت هذه الافكار هي السلعة الوحيدة التي يقيمون عليها استثمار اموالهم ... فاذا ادخلنا في حسابنا ثلاثين عاما من الانتاج على هذا النحو ادركنا على الفور مدى الصعوبة القائمة في وجه المنتجين لمراجعة افكارهم او حتى مجرد عقد النية على هذه المحاولة فالانتاج المصري قد تربى على هذا النمط وشاخ فيه ولم يعد هناك امل كبير في ان يرتد الشيخ صبيا يسعى من جديد اللهم الا قلة نادرة متمتعة بالفطنة والاستعداد للتأقلم من جديد .

ولكن طبيعة التطور الكامنة في النشاط الحي تفرض نوعا من الصراع لا بد ان ينتهي الى نتيجته الصاعدة .

فبازاء المنتجين تنهض قوتان : قوة الفنيين العاملين في السينما بجهودهم الذهنية وقوة الجماهير المتقبلة للافلام كسلعة حيوية يحتمها المجتمع الحديث .

والصراع بين المنتجين والفنيين قديم في صناعات السينما في معظم انحاء العالم ... ولكن يد المنتجين هي العليا حتى تمتد يد اخرى تسند ايدي الفنيين في صراعهم فترفعها على ايدي المنتجين .

ومثل هذه الساندة تأتي من الجماهير في بعض البلاد ومن الدولة في بلاد اخرى .

والذي نعتقد انه بسبيل الحدوث في السينما المصرية يجمع بين النوعين في نظرنا ولن يلبث حتى يؤتى ثمارا طيبة .

والقصة في الفيلم المصري ما تزال تحمل الى الان ملامح الظروف التي خاضها الانتاج المصري لكي يعيش ثلاثين عاما على الناحية الاخرى من الهوة التي تفصله عن الجماهير ..

ولقد كانت هذه الظروف تعمل منذ البداية على ان يكون عالم السينما عالما قائما بذاته ، منفصلا عن عالم المشاهدين ، اشبه ما يكون بحلبة المباراة يتجمع حولها النظارة ثم يتفرقون عائدين الى عالمهم الحقيقي ...

ولم يكن من ضير على الفيلم في تلك الاوقات ان يتصف بهذه الصفة فلم تكن ظروف النظارة تسمح لهم ان يطالبوا بتعبير حقيقي عن عالمهم الحقيقي او بما هو اقل من هذا الحق ...

ولكن انتصار الحقائق البسيطة الواضحة يفتح السبيل امام كثير من الحقائق الاكثر تعقيدا . فارتفاع الفرد العادي اليوم الى مرتبة المواطن، وانهيار كثير من الاسوار التي كانت تسجنه في الحظائر الفولاذية والقوالب الاجتماعية والفكرية الجامدة .. كل هذا يسلب حلبة المباراة كثيرا من اهميتها السابقة ، ويجعلها خاضعة لمجموعة من المقاييس والاحكام الجديدة . وبعد ان كان النظارة يسلمون قديما بهذا الانفصال بين عالمهم واي عالم اخر اصبحوا اليوم يضعون العوالم الاخرى في صفهم او في مقابلهم حسبما يرون في هذه العوالم من درجات التقارب ، والتباعد ، والموالاة والمعاداة ، كما هو الامر في السياسة .

وهذا العالم السينمائي الذي كان يدور قبلا في قصور السادة والحكام والاثرياء ، وبين ابطال من الوجهاء والقادرين ، والكاملين ، وفي مواقف

مشدودة معقودة ، ومن اجل قيم وفضائل منمقة مجملة .. لم يعد عالما مقبولا بالنسبة الى الرجل العادي الذي يتطلع اليوم الى حياته باعتبارها أثمن كنز على الارض .. بعد ان كانت الظروف السابقة تجعل من حياته اكبر عبء عليه .

من هنا فى الحقيقة تبدأ مشكلة القصة فى الفيلم المصري ..

فالقصة القديمة وليدة عهود وظروف متراجعة نحو الاختفاء ، والقصة الجديدة ما تزال جنينا فى افكار الناس على كتاب السينما ان يستخلصوها ، ويمنحوها الوجود الفني على الشاشة البيضاء .. وعند ذلك ، وعند ذلك فقط سيتعرف الرجل العادي الى حياته الحقيقية التي يترسمها ويتوسمها ... على نحو ما تتعرف الام على ملامح وليدها وهي تتضح يوما بعد يوم .

وأزمة القصة فى الفيلم المصري ازمة قوالب جامدة نابعة من مفهومات معينة

واول هذه المفهومات ان المتفرج يلجأ الى دور السينما هروبا من حياته فلا بد من تزويده بحياة اخرى ، خالية من الهموم الدافعة الى الفرار ، او عامرة بالهموم الثقال التي يفترض انها ، فى اغلب الظن ، أثقل من همومه .

ونحن نرد على هذا الفهم بأن هروب الفرد من حياته مجرد حركة ظاهرية فى سطح الشعور يقوم بها الفرد تاركا لاعماقه ولا شعوره - دون ان يدري - فرصة التأمل والتدبير فى المشكلة التي استعصى عليه حلها دون ان يعنى هذا على الاطلاق ادنى انفصال عن مشكلته . ومن هنا فان الهارب من مشكلته ما يلبث ان يعود الى مشكلته فاذااستعصت عليه قد يعمد الى الهروب ثانية وثالثة .. ولكنه لا يستطيع ان ينفق حياته هاربا من نفسه الا اذا استفحل الامر فأصبح مدمنا للخمر او المخدر او انتهى امره الى نوع من انواع الانفصال الذهني بالهوس او الجنون والذهول .

اما الفرد العادي ، الذي تتكون من غالبيته جماهير السينما ، فهو دائما فى حالة ارتباط شعوري او لا شعوري بمشاكله الصغيرة والكبيرة المنصرفة وغير المنصرفة .

وهو في حالة هروبه الظاهري يقوم فى الحقيقة بخدمة الجهود التي يبذلها عقله اللاواعي حين يهرب الى عالم آخر اذ يأمل ان يستمد من هذا العالم الجديد المختلف حلا لمشكلته او استلهاما لفكرة قد تعينه ، على نحو مباشر او غير مباشر .

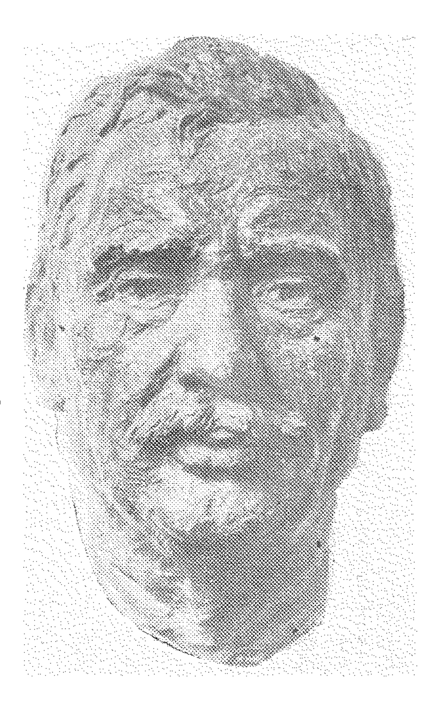
فاذا وقع هذا الهارب فى عالم جديد بعيد عن عالمه الحقيقي تأزمت نفسه لهول الفارق وضياع الامل اللاشعوري فى حل مشكلته .

ولكن المفهوم القديم فىالسينما المصرية يقف عند هذه الحركة الظاهرية فى فكرة الهروب ، ويعمد الى تقديم عالم مقطوع ببعده البالغ عن حياة الغالبية العظمى من المتفرجين .

ويتمثل هذا العالم فى السينما المصرية فى اختيار ابطال القصة ، وفى تحديد مواقفهم ، وفى الابتعاد الشديد عن الدخول فى التفاصيل الراسمة للابطال ولمواقفهم .

وفي رأينا ان ازمة القصة هي أزمة ذلك ((العالم السينمائي)) .. وطريق بحث هذه الازمة هو البحث عن تفاصيل هذا العالم السينمائي الذي ظلت السينما المصرية ترسمه منذ ثلاثين عاما ، وهو موضوعنا فى الاعداد التالية .

القاهرة **صلاح عز الدين**

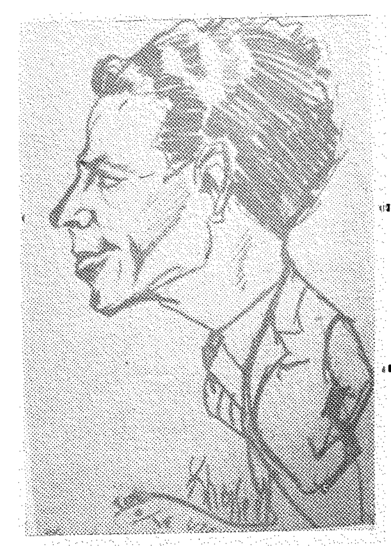


رأس

نحات مبدع من سوريا



من مراسل « الآداب » في دمشق



فتحي محمد بريشة خالد عسلي

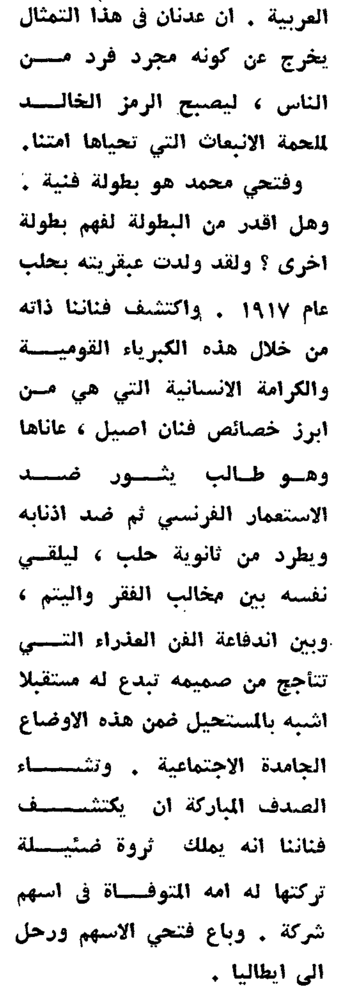
فن النحت من الفنون التي تعطلت تلقاءها الفعالية الابداعية عند العرب خلال عصور طويلة . وهو ان أخذ يشق طريقة اليوم الى حياتنا الفنية فانه ما زال في بعض الاقطار العربية في خطاه الاولى . وسوريا خاصة لم تزل بعيدة عن تذوق الفنون التجسيمية بالنسبة الى مصر . ولكن تشاء عبقرية الشباب ان تقفز دون جميع العقبات حتى العقبات التاريخية التي تطلب نضوجا معينا، كشرط اولي لنشوء العبقريات في هذه الفنون ، ولتشكل طبقة من المتذوقين لروائعها .

من هذه العبقريات الاستاذ فتحي محمد الذي قدره الغرب قبل ان نقدره ، ومنحه الجوائز واعطاه المكانة اللائقة به في معارض ايطاليا ، وقدمه الى جمهوره على انه واحد من الافذاذ في فن النحت لما في ازميله من اصالة وبما في طريقته من تكامل تقليدي وروعة كلاسيكية الى جانب ثروة خصبة من التعبير والابتكار هي من خصائص المدارس الحديثة والمعاصرة .

ونحن نتحدث عنه هنا بمناسبة قرب ازاحة الستار عن الميدالية البرونزية لشهيدالعروبةعدنانالمالكي، التي اشرف على ابداعها فناننا بمساعدة تلميذته الانسة « بيانكا » ، وهناك التمثال الضخم الذي سيتم انجازه كذلك قريبا للبطل الشهيد ، مبرزا اياه من خلال حركة حية جبارة ، ويمثله وهو في اوج نضاله المبارك ، وقد تجسدت فيه هذه القيم البطولية التي هي زاد الطليعة العربية . ان عدنان في هذا التمثال يخرج عن كونه مجرد فرد من الناس ، ليصبح الرمز الخالد لملحمة الانبعاث التي تحياها امتنا.



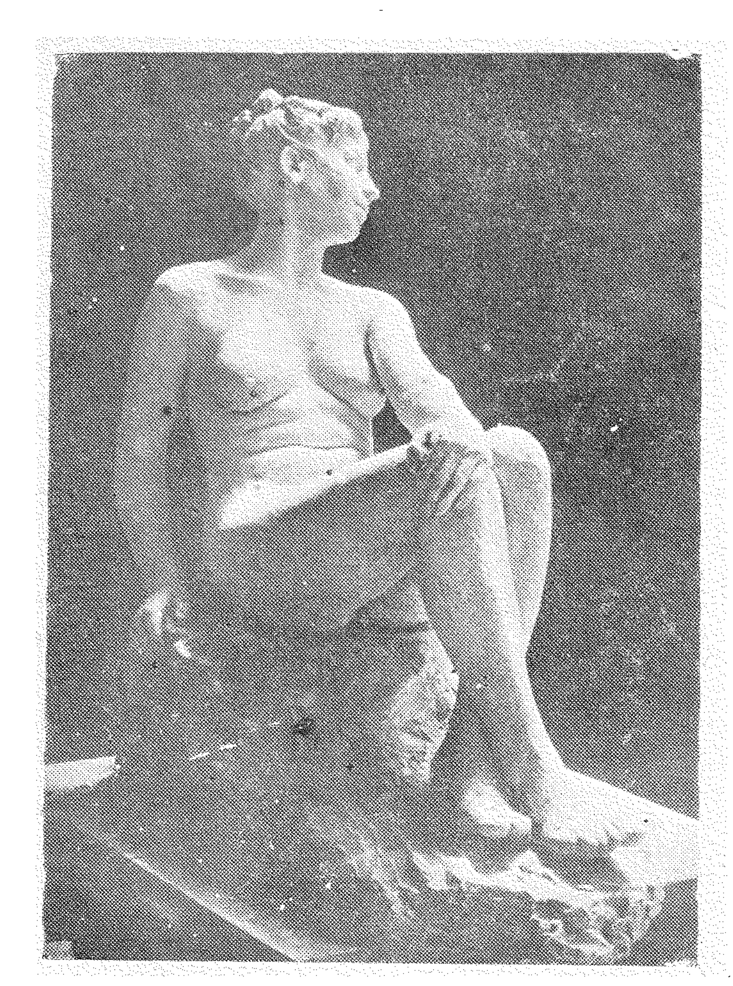
تمثال الشهيد عدنان المالكي



وفتحي محمد هو بطولة فنية . وهل اقدر من البطولة لفهم بطولة اخرى ؟ ولقد ولدت عبقريته بحلب عام ١٩١٧ . واكتشف فناننا ذاته من خلال هذه الكبرياء القومية والكرامة الانسانية التي هي من ابرز خصائص فنان اصيل ، عاناها وهو طالب يثور ضد الاستعمار الفرنسي ثم ضد اذنابه ويطرد من ثانوية حلب ، ليلقي نفسه بين مخالب الفقر واليتم ، وبين اندفاعة الفن العذراء التي تتأجج من صميمه تبدع له مستقبلا اشبه بالمستحيل ضمن هذه الاوضاع الجامدة الاجتماعية . وتشاء الصدف المباركة ان يكتشف فناننا انه يملك ثروة ضئيلة تركتها له امه المتوفاة في اسهم شركة . وباع فتحي الاسهم ورحل الى ايطاليا .

وهناك استطاع بمساعدة اساتذته ان يخرج عبقريته فى النحت الى حيز الوجود ، وان يحول امكانياته الرائعة الى تحف يصوغها من الطين والحجر ، ويدب فيها الحياة والروح ، وعمق التعبير ، ويسكب عليها من ظلال الوحي ما يجعلها تنافس مبدعات الحياة ذاتها فى الحركة والنطق والوجود المليء .

لقد مر فن فتحي خلال مراحل ثلاث ، سبقتها مرحلة تمهيدية مارس فيها امكانياته العفوية ونحتقطعا دلته عليها غريزته العبقرية دون مساعدة مدرسية منظمة . وبدأت المرحلة الاولى خلال دراسته فى اكاديمية روما للفنون الجميلة . وفيها تشبع فتحي بالتعاليم الكلاسيكية التي تدور حول الكمال والانسجام الجسدي ، والدقة التشريحية ، والعناية بالتناغم المتناسب بين الاعضاء والوقفة ، والانتصاب المعتدل فى القامة . فكانت الدراسة تدور حول نحت الاجسام العارية . وتفوق فناننا فحاز على درجة الشرف فى ابداعه لتمثال يمثل شابا يافعا . وفيه تذوب الكتلة لتحل محلها بساطة موسيقية حلوة . فاذا أمسكت بالتمثال شعرت بأنه مليء وليس منتفخا مجرد انتفاخ مصطنع ككيس من الجلد ، هذا الخطأ الذي قد تقع فيه بعض الآثار الكلاسيكية التي لا تعنى بالحياة بقدر ما تعنى بالانسجام القائم على الهدوء والتناظر الجامد . وبلغت هذه المرحلة اوجها فى تمثال (عارية) الذي أهله لجائزة روما فى جمال الجسم العاري المؤنث . وفيها تضافرت عناصر الكمال الكلاسي من رشاقة، وخطوط منسجمة ، وقدرة فى التشريح . بالاضافة الى حركية وضع ، يخرج التمثال عن سكونه الكلاسي الى تعبير حي ، ينبيء عن جمال روح



عارية

هذه المرأة الى جانب رشاقة الجسد .

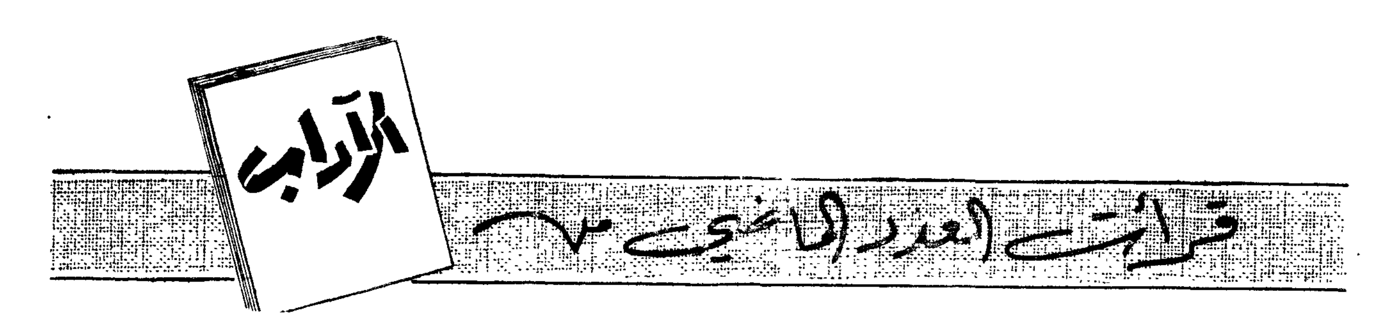
وتبدأ المرحلة الثانية فى تطور فن نحاتنا ، بعد اتقانه قواعد الفن الكلاسي ، بخروجه على التحديد الاكاديمي ، الى حرية ذاتية ، فيها يحاول الفنان دون ان يحطم قواعد الفن الاساسية ان يبدع آثارا تتساوق الى حد ما مع نوازعه النفسية واختلاجات عواطفه الشخصية . وكان من نتيجتها هذه القطعة الرائعة (موجة) .

الموجة تعبير عنيف عميق عن وحدة الحياة المتمثلة فى التطابق التام بين نشوة الطبيعة ونشوة الانسان ، وفى هذا التطابق بين محبين رجل وامرأة وقد اتحد حنو الاول وقوته بانسيابة الثاني وضعفه . وكأن موجة الحياة ، وقد اندفعت من صميم الوجود ، لم تجد اجمل من ان تتجلى فى هذه الوحدة ! الطبيعة والانسان ، وقد جمع بينهما حب أصيل عفوي اصالة موجة تصدر عن اعماق المحيط ، وعفوية اندفاقة الموجة على هذا الجنح اللدن من اديم المحيط المجهول .

ان التدخل بين حركة الموجة ، وحركة التعانق الروحي الرائع ، في التمثال ضمن انفلاق خط واحد ، يجمع قدرة كبرى من التعبير البارز الملامح كوجه انسان تقرأ فيه اعماقه . وهنا الحجر ، بملامحه ، بتقاطيعه بابعاده وحركاته ، يعطيك من ثروة الرمز والمعنى ما يغنيك عن مذهب كامل فى تمجيد وحدة الحياة ، وحدة الاندفاعة الخلاقة . والاستاذ فتحي يمر اليوم فى المرحلة الثالثة من تطوره الروحي . وفيها بدأ يؤمن بالمضمون المسؤول للفن ، بالفكرة الانسانية لكل اثر حقيقي يراد له ان يكون قوة مطورة فى روحية امة وانسانية .



الموجة



الأبحاث

بقلم رجاء النقاش

(تابع المنشور على الصفحة ٨)

بعد ذلك نلتقي بالسيدة ملك عبد العزيز التي حاولت ان تعـــالج « قضية الشعر الجديد » تلك القضية التي تشغل النقاد والقراء على السواء ، ويعتبر هذا المقال لونا من التطبيق الشعري للقواعد النظرية التي وضعها زوجها الكبير الدكتور مندور في المقال السابق عـن «معركة الادب بين الشيوخ والشباب » ولذلك غلب على منهج المقال « الطابـع الذوقي » اكثر من « الطابع الموضوعي » .. فلقد حاولت السيدة ملـك ان تصاحب القارىء في تجربة تذوق للشعر الجديد ، قاصدة بذلك ان تكشف عن مواطن الجمال والقوة في هذا الشعر اكثر من محاولتهـــا اكتشاف الظروف التي نشأت فيها الحـــركة الشعرية الجديـــــدة ، والخصائص التي اكتسبتها هذه الحركة وميزتها تمييزا حاسما عن الشعر القديم ، واكثر من تقييمها لشعراء المدرسة الحديثة حسب امكانياتهم الفنية والموضوعية .. انه مقال يعتمد على « الذوق » الحساس الذي يرسم تخطيطا دقيقا للظاهرة ويستخلص النتائج ويتنبأ على ضـوء ما يملـك بالظواهر المحتملة .

نلتقي بعد ذلك بالاستاذ الدكتور شكري فيصل في « صرخـة العربي اليوم » .. وهي صرخة انسانية عميقة تفيض باللهفة والمحبة والصدق.. وتعلن على الدنيا ما يدور في وجداننا نحن العرب من ايمان راسـخ بالانسان ورفض حاد لتلك القيود التي تحول بينه وبين الانطلاق والتحرر والرغبة العميقة في الخلق والابداع في الطبيعة والعواطف الانسانية ... ما اعمق تلك الصرخة التي انطلقت من قلب عربي وهو يواجه اوروبا فلا ينسى ابدا مأساتنا ومأساة الانسان ، واملنا وامل الانسان .. اننـا نحن العرب نعمل باصرار من اجل القضاء على التجزئة المفتعلة التـي فرضها الاستعمار على وطننا العربي الواحد وخلق تلك القيـود الثقيلة المفتعلة .. ولا شك ان هذه الرغبة من ابناء الشعب العربي تنم عن شعور شامل بالنزعة الانسانية وبأمـل الالتقـاء الانسـاني بعيـدا عـن القيـود المتعســـفة .

نلتقي بعد ذلك بالاستاذ محيي الدين محمد في مقاله « تمزق الروائي الراهن » .. ومحي الدين محمد من اكثر كتابنا الشبان اطلاعا واوسعهم ثقافة ، اما طريقة رؤيته لمشاكل الحياة فهي طريقة الفنان الذي يلتـزم الصدق مهما ادى به هذا الصدق الى مستويات قاسية من الحياة ، لا يكاد يتحملها القلب ولا الذهن بيسر او هدوء .

وفي هذا المقال يعالج الصديق محي الدين موقف الروائي المعاصر من العالم والمجتمع ويعرض لبعض الكتاب العصريين امثال « فوكنر ، مالرو ، كامو » ويحاول ان يستخلص منهم حدود الازمة التي يعانيها الروائي المعاصر والانسان المعاصر على السواء .

واني انتهز هذه اللحظة لاقول لمحي الدين محمد ــ بكل ما املكه مـن محبة حارة له مودة صادقة نحوه ــ انني لا اوافق على طريقته في التعبير بحال من الاحوال .. ان محيي الدين يقرأ بعمق وكثافة ويكتب بعمـق وكثافة ولكن يخيل الي انه لم يسأل نفسه مرة : لماذا اكتب ؟ لماذا اقرأ ؟ لن يستطيع صديقي العزيز ان يقذف في وجهي باجابة نحو : انه لا هدف للاشياء في هذه الحياة .. انني أومن كل الايمان بهذه القضية ، وكثيرون جدا من الناس على اختلاف مستوياتهم يؤمنون بهذه القضية اشـــد الايمان .. ان الحياة لا هدف لها .. ان الطبيعة لا هدف لها .. ولكن ما هي النتيجة التي يمكن ان تترتب على مثل هذه القضية ... هل ارتب عليها انه ما دامت الحياة لا هدف لها فهي ايضا لا قيمة لهـا ؟.. كلا .. ان خلو الحياة من الهدف هو اكبر عبء يلقى على الانسان ، واعظم مسؤولية يتحملها هذا الكائن ... علينا من هذه النقطـــة بالذات ان ننطلق ، علينا ان ننطلق من اليأس المطلق الى العمل والنضال ، علينا ان نمنح الذي لا معنى له معنى ، علينا ان نمنح الطبيعة التي لا هدف لها هدفا .. ولسنا مختارين في ذلك ، فاما ان نسلك هذا الطريـق واما

وفي هذه المرحلة يتحرر فناننا من جميع قيود الفن الكلاسي الا مـن جماليته الخالدة . وتتعانق الحركـة مع الفكرة مع ادخال عوامل الظـل والنور لابراز الملامح وكأنها لوحة زيتية ، مع قدرة تعبيرية في الخطوط الناتئة الثائرة العنيفة . وكل ذلك من خلال وحدة الافعال عندما تتشخص في الحجر الناطق . ان هذه المرحلة الثالثة تتفق الى حد كبير مع المدرسة التجريدية المعاصرة . ولعل من التناقض ان نقول نحتا وان نقول تجريدا. ولكن في الواقع فقد التقى النحت والتجريد ، وتحت ازميـل فتحي أخرج لنا روائع معبرة تمتاز بفعالية لاحد لها في الخطوط المشخصة ، وفي تقاطيع هذه الخطوط وهي تجرد الشكل حتى من ثقله المادي لتعطيه فكرة مليئة بالحياة والايحاء .

ويشتغل الاستاذ فتحي اليوم باعداد تمثال عظيم مهيب لرمز العروبة المناضلة عدنان المالكي ، وهو مشروع جبار يحتاج الى سخاء المسؤولـين ، والى رعايتهم المستمرة ، لكي يخرج هذا الرمز محملا بكل المعاني الفاضلة التي عاش من اجلها عدنان ، خلاصة الجيل العربي البطولي .

ولعل الاستاذ فتحي لا يأمل باكثر من ان تتوفر لديه مواده الاوليـــة من جهة ، واطمئنانه الروحي من جهة ثانية ، وهو ينحت من روحـــه هذه العظمة الخالدة التي سينطق بها الحجر الاصم .

لقد نال فتحي كل ما يستحق من التقدير والتمجيد في الغرب ، فلماذا لا ينال ذلك في وطنه الام ؟

م. ص.

ان ندع الطبيعة تمضي في طريقها وتحطمنا ... هذا حل ... اما الحل الثاني فهو ان يأتي غيرنا ويمنح الاشياء معناها ويعطيها قوتها وسوف يكون هذا حتما على حسابنا .. اضرب مثلا بقضية عصرية هي قضية «القومية العربية» ... ماذا علينا لو تركنا حياتنا في هذه الارض العربية تمضي دون ان نقرر في شأنها اي كلمة ؟. ان الذي يحدث هو ان القوى الاستعمارية تنافسنا في بيتنا وارضنا ، وتعمل على طردنا من وطننا وتزرع بذور التجزئة بين القوى الموحدة ، ثم تنتقل من هذه المرحلة لتزرع بذور «القومية الاسرائيلية» ، لتقتلع جذورنا وتقضي علينا ، اذا لم نمنح حياتنا معنى ، فسوف يمنحها الاخرون معنى لصالحهم وعلى حسابنا نحن .. وهكذا تمضي امور الحياة ، مما يلزمنا بشكل حاسم وضروري ان نحدد لنا هدفا وان نعطي لحياتنا معنى .

انني اتهم صديقي محيي الدين محمد انه لا يريد ان يحدد هدفا واعيا لكتابته ، ولست اتهمه هذا الاتهام لانني احس بكسله او اهماله ، بل لانني احس انه يغامر بأفكاره الى مناطق بعيدة جدا ثم لا يعنيه بعد ذلك ان يعود الى الناس او ان يسيطر على مغامرته تلك حتى لا يصاب هو نفسه بالاضطراب والضياع ، فلو حدد محي الدين محمد هدفه من كتابة مقال عن «الروائي العصري» ... أكان يدفعنا الى مثل هذه المجاهيل التي دفعنا اليها مقاله دون ان نخرج بنتيجة ودون ان ندرك السر الكامن وراء الظواهر التي سردها امامنا سردا دون تفسير او مساعدة على التفسير ... ان الروائي العصري يعبر عن التمزق الذي يعيشه الانسان العصري ، وتمزق الانسان مردود الى أسباب متعددة عميقة في ظروفه وطبيعته ، وتعدد الاسباب في هذا التمزق ينعكس على الفنانين فتتعدد مدارسهم وتتعدد المشاكل التي يعبرون عنها .. ففوكنر يعبر عن تمزق الانسان في عالم الآلة التي تسيطر عليه وتستعبد ذاكرته وعواطفه وعاداته وثقافته ، والبير كامي يعبر عن تمزق الانسان امام طبيعته التي تريد ولا تحقق دائما ما تريد ، وامام طبيعة الكون الذي يمنح بالمصادفة ويأخذ بالمصادفة ، واهرنبرج يعبر عن تمزق الانسان في مجتمع لا يكفيه مطالبه ، انه مجتمع يحرم الانسان من تكافؤ الفرص ويطحنه تحت الظروف الاقتصادية القاهرة ... مثل هذه التمزقات العامة لها تفاصيلها المختلفة، وتتكون منها المضمونات المتعددة لاشكال الفن المختلفة ، فتؤثر في هذه الاشكال تأثيرا حاسما ، وتخلق كثيرا من الاساليب الفنية التي تحتاج الى الدراسة النقدية والتفسير مثل : المونولوج الداخلي وغير ذلك من الاساليب الفنية الجديدة في كتابة القصة .

هذه المشاكل التي يمكن ان تخطر ببالنا عندما يقدم لنا الكاتب موضوعا مثل «تمزق الروائي الراهن» لا نستطيع ان نعثر على شيء منها في الدراسة التي نشرتها الآداب لمحي الدين محمد ، تلك الدراسة الزاخرة باللمحات الذكية والمعتمدة على قراءات كثيرة متعددة ، الم يكن في الامكان ان تكون هذه الدراسة عن تمزق الروائي العربي ... ان نجيب محفوظ في رواياته يعبر عن «أزمة معينة» يعيشها «انسان معين» وهناك قصتان طويلتان ليوسف ادريس هما «قصة حب» و «قاع المدينة» وهو يعبر فيهما عن تمزق نفسي حاد ، تمزق له طبيعته الخاصة وللكاتب اسلوب معين في التعبير عنه. ولسهيل ادريس «الحي اللاتيني» وهي الاخرى تعبر عن أزمة وعن تمزق خاص ... وعادل كامل ، وحنا مينا والشرقاوي وغيرهم يكتبون الرواية العربية ويعبرون عن ازمات يمرون بها هم وابطالهم وابناء مجتمعهم .. الم يكن من الاجدى ان يعالج محي الدين مثل هذا الموضوع بما اوتي من ذوق مرهف وثقافة واسعة حتى يساهم في القاء الضوء على ما نعيش فيه من أزمات وما نعانيه من تجارب ، وحتى يساهم في عملية التطوير النقدي لادبنا ؟!

انني اطالب الصديق العزيز محي الدين محمد بان يرسم لنفسه هدفا من كتابته وان يراعي في هذا الهدف ظروفنا وتجاربنا التي يعيشها ويعيشها - كما اعلم - بشدة وصرامة ويعاني من قسوتها ما يعاني ابناء شعبنا .

واحب ان الخص ملاحظاتي على مقاله هذا وعلى كتابته عموما في هذه النقط :

اولا : أرجو ان يتخلص الكاتب من الموضوعات التجريدية ، وان يحاول تقديم افكاره بشكل تطبيقي ، وان يتخلى عن الفيض الغامر من النماذج الادبية التي يسوقها وان ينزع الى التركيز والتحدد ... فالاسراف في التجريد يجعل افكاره مهما كانت قيمتها غير فعالة، ويخلق لونا من العزلة الصارمة بين الكاتب والقارىء فيصبح الكاتب في عالم مستقل تماما عن العالم الذي يعيش فيه قارئه .

ثانيا : هناك عيب ملموس في كتابات الصديق محي الدين ، هذا العيب هو اختلاط أفكاره الموضوعية بانطباعاته الذاتية ... ففي المقال الواحد نجد مستويات متعددة غير متناسبة ، فنحن مرة امام مؤرخ وتارة امام ناقد موضوعي وتارة امام شخص يتذوق عملا ادبيا ... من الممكن ان استعين بكل هذه الامكانيات في عمل واحد ولكن لا بد ان يكون هناك نقطة ارتكاز رئيسية هي التاريخ او النقد او التذوق ، والاختلاط بين الافكار الموضوعية والانطباعات الذاتية يخلق لونا من التشويش والغموض وصعوبة الوصول الى النتائج في العمل الادبي .

ثالثا : ان محي الدين يكتب نقدا عربيا ، وانا اطالبه - كقارىء - بمزيد من السيطرة على الفاظه وتراكيبه ، فلا يكفي ان يكون هو مدركا لما يكتبه او مستريحا له ، لا بد ان يضع في اعتباره فرصة القارىء في عمله الادبي ، ومن حق الكاتب ان يكون له اسلوبه الخاص ولكن مهما كان هذا الاسلوب جديدا فلا بد الا يخرج عن الاطار العام للغة التي يكتب بها الكاتب .

وقد كان بودي ان اقوم بتطبيق هذه الافكار العامة تطبيقا مفصلا على مقال الصديق محي الدين .. ولكن المجال ضيق ، وقد اعود الى ذلك اذا اراد الصديق العزيز ان نناقش هذه القضايا مناقشة تفصيلية .

بقي امامنا مقال عن ازمة الموضوع في السينما المصرية للاستاذ صلاح عز الدين ... وهو تمهيد لدراسة لم تتم بعد مما يحول بيننا وبين مناقشته مناقشة تفصيلية ، وحسبي ان اقول ان هذه الدراسة تعتبر الاولى من نوعها ، فهي دراسة تعتمد على ثقافة فنية وثقافة اجتماعية معا ، الاولى تمنح الكاتب مادته وميدانه والاخرى تمنحه منهجه الدراسي وهدفه من الدراسة ، فهو يكتب عن الفن السينمائي بهدف ترقية هذا الفن وانضاجه ، ورقي هذا الفن ونضجه انما يقاس بمدى افادته للوجدان الاجتماعي ولمشاكل الناس في الحدود التي يستطيع فيها الفن ان يفيد مشاكل الناس بالتعبير عنها ومحاولة علاجها ، مع توفير الهدف الرئيسي العام للفن وهو : تطوير الوعي الانساني ، ولقد تعودنا في مصر لونا من النقد السينمائي الطفيلي الذي ينزع الى المدح او التجريح على أساس من المصلحة الشخصية المباشرة اما للجريدة التي تنشر مثل هذا النقد او للشخص الذي يكتبه، وقد لمع من هذا النمط النقدي كاتب هو عثمان العنتبلي وكان يمارس مهنته النقدية الخالية من النزاهة والوعي في جريدة المصري ، وهو يمارسها اليوم في جريدة الاهرام .. والواقع ان هذا النمط من النقاد يعتبر جزءا من أزمة السينما في مصر .. ومن هنا فان الناقد الجديد الواعي يتحمل مسئولية كبرى ازاء هذه القضية .. واحسب ان الاستاذ صلاح عز

الدين احد الذين يتحملون مسئولية تغيير الوضع المتخلف الراهن للسينما المصرية وللنقد السينمائي في مصر .

بقيت هناك مقالات اخرى في الفن وفي العلم وفي النشاط الثقافي وفي المناقشات ، ولا يمكننا ان نناقشها على اهمية القضايا التي أثارتها وقيمتها وجديتها وذلك لضيق المجال .. وحسبنا في النهاية ان نبعث بتحية حارة الى كل هؤلاء الذين ساهموا في تقديم المواد المختلفة للعدد الماضي من الآداب ، ونرجو لهم وللآداب مزيدا من المشاركة العميقة في المعركة الكبرى التي يغيشها المخلصون من رجال الفكر مع مختلف ابناء الشعب العربي .

رجاء النقاش

القصائد

بقلم صلاح عبد الصبور

ترددت طويلا قبل ان اكتب هذا الكلام ، وساءلت نفسي ماذا اريد ان اقول ؟ ان كان رأيا في الشعر فقد قلته حين كتبت شعرا وعرضت على الناس ديوانا ، وان كان انفعالا بشعر العدد فان همي حين اقرأ الشعر ان اطرب له او انصرف عنه. ولعلي لو سئلت لم طربت او انصرفت ما حرت جوابا الا ان اعود الى ما قرأت محللا مفصلا ادعي لنفسي سعة الافق وشمول النظرة ... و.. و..

وهذه النظرة الاولمبية هي ما اكره في النقاد ، وانا اشد كرها لها في نفسي .

ومما كاد يصرفني عن الكتابة ايضا ان في العدد وجوها احبها وتدينني بفضل كبير : هذا وجه شاعر سوريا الصديق نزار قباني ، وانا لا انسى اهتزازي حين قرأت له ديوان «طفولة نهد» منذ سنين طوال ، وكنت وقتها اطلب العلم في الجامعة ما أزال . ورأيت كل ما في الديوان طازجا.. لفظه ... وموسيقاه .. وتصوره . ولعلي صرخت مبهورا : هذا هو الشعر والله ! هذا الذي طلبته العرب فلم تجده ، ووجده هذا الفتى الدمشقي.

ربما طامنت السنون من حماسي ، ولكن نزار أو شعره ما زالا ملء القلب .

وهذا الوجه وجه الشاعرة السباقة فدوى طوقان ، وهذا الشاعر سليمان العيسى يحمل بين جنبيه نارا بروميتوسية مقدسة تلتهب في كل خط يخطه ، وان لم تحترق في لهبها المضيء فلا بد ان يحس دفئها قلبك .

ووجوه اخرى اعرفها ولي آصرة مودة : محي الدين فارس ، ايوب طه ، احمد عبد المعطى حجازي ، نجاة شاهين .

ولكن « الآداب » تحكم فتطاع ، فاذا كانت كلمتي معوجة فلعلها بحسن النية تستقيم ، وان كانت قاسية فلعلها بالحب تندى وترق ، واذا كانت خاطئة فلعل مراجعة الاصدقاء لها تقيم اخطاءها .

في العدد رسالتان ، اولاهما من فتاة الى خطيبها للشاعر سليمان العيسى، والثانية اغنية الى مسافرة للشاعر نزار قباني .. هل هو موقف الشاعرين من الحياة هو الذي خالف بينهما هذه المخالفة ؟ هل نفض نزار عن اكمامه تراب المعركة وانطلق يغني لصديقته غناءه العذب ؟ الم يبكر نزار في العودة الى عطره وعصافيره وظل منامة حبيبته الصفراء ؟ هذا الكلام سمعته ، ولا اظن اني ارتضيه . ان كل ما يحبب الانسان في الحياة يخدم الحياة ... العيون القاهرية شغفتنا بالقاهرة حبا . ولكن نغم نزار هذا « اغنية الى مسافرة » مكرور كأنما قيل له : «يا نزار ، اكتب !» فكتب ، فهي الفاظه وهي افكاره ، وهي آفاقه ، وليس فيها جديد . اين نزار الغواص وراء مأساة المخدع في اوعية الصديد ، الفاضح للنذالة في حبلى، الناشر للامجاد في «قصيدته» مذكرات اندلسية ، كل هذه الروائع التي ترتبط الى جانب جمالها الطازج بفكرة ، بانفعالة عميقة ، بكلمة احتجاج.

ان نزار في هذه القصيدة قد اسند عوده الى صدره ، ودندن دون ان يغني

حجبني نزار عن سليمان العيسى، يا لها من فتاة فتاته ، الثورة والموقف والوعي ، وانطلاق التعبير .. كأنها تعيش حياة امتها كاملة .

✶

اجمل ما في فدوى طوقان تعبيرها الانثوى الصافي دون تعقيل او تفلسف ، فهي احساس محض .. احساس انثى شرقية وراء حجاب يتصباها رجل ، وحين خرجت اليه اصطنعت له ما يجمل المرأة في عيني الفارس الشرقي .. الثورة والالم

تحديت مجتمعا زائفا ‏ يمثل اكذوبة فاجره
خرجت على الناس يا ليل نفسا كما هي عارية سافره
فلم تلبسيها ثياب النفاق ‏ ولم تخدعي نفسك الطاهره

. . . .

واقبل يوم رأيتك فيه ‏ يظلل وجهك لون الالم

وكان جواب الفارس الشرقي ان قال لها ..

الا فاعلمي الان انك لي، لانانيتي ، لهواي العرم

لا تفتش في شعر فدوى عن عمق الفكرة ، يكفيك عمق الاحساس

✶

قصيدة « الجسر » لخليل حاوي من رائد الشعر ، فيها ما يجب وفيها ما يستغرب ، فيها الشاعر الشهيد يمضون عنه ويتركونه فارغ الكفين مصلوبا بعيدا بعد ان مد لهم اضلعه جسرا ، وفيها تعزية بأن له اطفال اترابه ، وهم كأطفاله من اجلهم يصنع بنفسه ما يصنع ــ اما ما يستغرب فيها فهو استعارته رموزا مما قرأ في ادب اجنبي ، وتلك ظاهرة في الشعر الحديث ، هذه الاستعارات والرموز التي ترد في ادب كبار ادباء الغرب ، والتي اوشكت ان تصبح ميثولوجيا جديدة .

في قصيدة « رسم في خندق جزائري » لحبيب صادق يناجي مجاهد

جزائري رسم حبيبته ، والنجوى حلوة متفائلة تستشرف الغد الزاهر رغم الظلمة المسدلة ، وتدين الاعداء الذين يمتهنون كل القيم المقدسة ، وتعقد الصلة بين الحبيبة والرفاق .

ولكن القصيدة رغم ذلك تظل خافتة الوقع واهنة الصدى . ولعل كل نغم يفقد طلاوته بعد حين ، ولعل انغام هذه القصيدة قد ارتجت بها اكثر العيدان ، ولعل بساطتها غير المتعمقة قد قصرت بها

لو تعلمين اننا هناك
فى غابة لا تعرف الضياء
واننا لا نلمح الربيـــع
عامان مرا لم نر الربيع
ولم نر النهار

✶

مما يعيب الشاعر محيي الدين فارس فى هذه القصيدة جريه وراء اللفظ الجميل ، واللفظ سلطان بلا شك . ولكنا يجب الا نحنى له رقابنا والا ضللنا وشتتنا الوهم

سألتها والشمس فى مفارق السماء
لاهبة كأنها غريزة حمراء
من انت ؟ يا سارقة الالوان والضياء
من انت يا صالبة الاصيل فى جزائر الدماء

واسوأ ما يصنع الجري وراء اللفظ انه يموه التجربة ويحولها من واقع معاش الى خيال سارح

ولكن ما اوجـع مـا تقول المومس
وغمغمت قد بعت للرياح كل شيء
وها انا قد بعت للرياح كل شيء

ان قصيدة محيي طوفان نغم ، ما ضر لو نغمة شرود ؟

ومن النغم الحلو قصيدة أيوب طه « اوراس » .. وفيها ايضا تلك التداعيات الجميلة من طارق الى لفريق الى نابليون كان الشاعر يقبض التاريخ فى كفه .. الذي حيرني لم قال : عنوان ابي .. قمة اوراس ، لم لم يكن : عنوان ابني .. القصيدة اذن على لسان طفل احد المجاهدين..

فما شأن هذه التداعيات التاريخية الفاهمة ؟!

✶

احمد عبد المعطى حجازي فى قصيدة « قصة الامير والفتى .. الذي يكلم المساء » شاعر ملهم يعرف اين يضع كلامه .. متى يرمز ومتى يسفر عن كل وجهه ، ومن اجمل ما فى القصيدة ، وكلها جميل ، وصفه للفتى ذي القلب الكبير

وفى ليالي الخوف طالما رأيته يجول فى الطريق
ويوقد الشموع من كلامه الوديع
ففي كلامه ضياء شمعة لا تنطفىء
ويترك اليدين تمشيان بالدعـاء
على الرؤوس والوجوه
« الصبـح فى الطـريق »
يا اصـدقائي ، انني أراه
فلا تخافوا بعـد عام يقبـل الضيـاء ..

ان فتى حجازي ليس شاعرا ، انه مسيح ..

اما قصيدة « كان ما كان » للشاعر محمد جميل شلش فان شيئـا ينقصها رغم حلاوتها . ولعل ما ينقصها هو ان ترتبط بفكرة ، ان ترتبط اجزاؤهـا ومقاطعها كل بالآخر ، وفى كثير من ابياتها غموض غير موح ، وربما تكشف لو المح الشاعر الى ما يقصد .

وفى قصيدة الشاعر محمد حسن عواد اخذت الواقعية تتدهور حتى وصلت الى الحجاز فأصبحت سخفا ، ويهمنا ان نقول ان نثر الحياة لا بد ان يرتبط بشعرها ، وان التفاصيل لا تأخذ معناها الحق الا اذا ارتبطت بكل فلسفي او انفعالي ، ذلك لان ايرادهـا دون تعميمهـا او استخراج عبرتها سذاجة تنبو عن الشعر .

اما قصيدة الانسة نجاة شاهين ، فهي محاولة طيبة ، تكشـف عـن التطور الذي لحق بشخصية الانثى فى هذه الايام المشرقة التي يعيشها الوطن .

واني لارجو ان تكون قصائدها القادمة اوفى انسياقا ونبضا واحفل بالشـعـر .

القـاهرة — **صلاح عبد الصبور**

القصص

بقلم فاروق خورشيد

القصة لون وليد من الوان انتاجنا الفني ، عاصر فى نشأته بدء حركتنا التطورية الضخمة التي تناولت حياتنا الثقافية فى الشرق العربي كله.. ولذا عاشت القصة تعكس ما عانيناه من قلق وما عشنا فيه من صراع.. ومرت القصة كلون انتاجي فى مراحل متعددة من التقليد والمحاكاة ، ثم حددت لنفسها آخر الامر شخصية مستقلة ، وحددت لنفسها قوالب معينة كانت وليدة خبراتنا الطويلة المتعددة فى هذا الميدان الجديد ..

واليوم يقف انتاجنا القصصي على عمد ثابتة تدعمها اهميته كلون محبب الى المتلقين ، محبب الى المنتجين لما فيه من طواعية للتعبير عما يريدون .. وظهرت مدارس فى القصة القصيرة لها اصولها وقواعدها ..

وفى العدد الماضي من « الآداب » ما يثبت هذه القضية ، فالقصص فيه تنفرد كل منها بلون خاص ، واتجاه بذاته .

الحرب بقلم عبد الرحمن فهمي

هذه مسرحية من فصل واحد بناها كاتبها على خبر صغير اوردته وكالات الانباء اثناء ازمة الاعتداء على مصر .. ذكرت وكالات الانباء ان الصفارات انطلقت منذرة بغارة جوية فى احدى عواصم اوروبا لخلل اصابها ، فأصاب الناس ذعر وهلع وتوتر عصبي شديد .

ومن هذا الخبر الصغير بنى الكاتب مسرحيته .. فقد عاش داخل بيت من بيوت هذه العاصمة اثناء الغارة .. واختار بيت وزير مسئول ينادي بسيادة الجنس الابيض ، ويعمل على قيام الحرب الثالثة حتى يسيطر الجنس الابيض على البترول والمطاط ، والملايين فى نظره لا قيمة لهم ، والدمار عنده شيء طارىء يزول بزوال الحرب ، ويقظة الملونين دفاعا عن حياتهم يراها تمردا ينبغي ان يخمد بالحديد والنار ..

فالكاتب اذن قد حدد نفسه بزمن هو الزمن الذي استغرقته الغارة المزعومة ، وحدد نفسه بشخصية هي بول الوزير الاستعماري ، وحدد نفسه بهدف هو السلام .. وفى داخل هذه الاطر بدأ يتحرك مقدما شخصياته ، بانيا العقدة فى بطء وثقة وعلى هواه ..

وبيت بول رغم تميزه بأنه بيت وزير الا انه يجمع الحياة بتناقضاتها ، وبما فيها من خير وشر ..

فبول هو الرجل الابيض بأنانيته وغروره وحمقه ، بماديته المطلقة ، وايمانه الاعمى بالمال والحديد والنار ...

وام بول هي الحب الانساني الرقيق الذي تخلص من كل شائبة ، فهي عجوز مقعدة ، شلت قدماها فعجزت عن السعي والصراع وغدت كلها حبا وامومة ..

وزوجة بول انسانة تعيش من اجل ما يعيش من اجله كل انسان ، معاني نولدها فى انفسنا اسمها الحب، واسمها الوفاء ، واسمها البقاء.. وهي تدافع عن هذه المعاني اذا مسها ما يحطمها ، وهي تصارع من اجل هذه المعاني ، وتضحي بكل شيء فى سبيلها ...

وجورج الخادم هو الفرد العادي الذي يعيش على طبيعته ، يعرف الحق لانه حق ، ويعيش فى مشكلاته التي تحيره ، ابنه ورزقه والخوف الذي يملاه من الحرب والدمار ...

وهناك العامل الذي يتحرك فى صمت ويعمل فى هدوء وكأنه القدر .. يصلح التليفون او يعطله فيحرك الحياة او يوقفها .

ثم الطفل وهو يمثل المستقبل الذي تحدده عوامل كثيرة منها الاستهواء والتضليل ، كما ان منها الحق ..

وهكذا وفر الكاتب لنفسه كل عوامل النجاح فى مسرحيتين ، فالزمن محدد وهو الوقت الذي استغرقته الغارة ، والشخصيات ناضجة متبلورة تمثل من معاني الحياة ما يعينه على التعبير عما يريد من انطباعات ، والهدف واضح وهو السلام ... بقى الحدث ..

وهو يبدأه قبل الغارة بقليل فاذا بجورج يعيش بعواطفه مع ناصر الذي انقذ الرجل الابيض من دمار الحرب ، واذ بالام وجلة لان ابنها يندفع فى طريق يودي بالعالم كله الى الدمار ، واذ ببول نفسه يعيش فى جو مسموم شحنه الرأسماليون بكل الاكاذيب الضخمة عن سيادة الجنس الابيض وسيطرته وبقائه .. الى استهتار بالحياة الانسانية والقيم التي يعيش من اجلها الانسان ..

ثم تبدأ الغارة الجوية المزعومة بصفارات انذار ، وطلقات مدافع ، وصوت طائرة ، وصيحات جماهير استيقظ فيها الرعب الكامن الذي خدره المضللون ...

وتوضع كل القيم للاختبار امام خطر الموت والدمار ...

وفى ضوء هذا الحدث تتضح الشخصيات وتتبلور ، فجورج خائف لانه يذكر دمار الحرب الهائلة ،والام لا تخشى الموت وانما هي تخشى ما تراه يطرأ على ابنها من تغييرات، وعامل التليفون يختفي كما يرفع القدر يده عن عجلة الاحداث ليتركها تعبث قليلا بالناس وبالحياة ، وبول نفسه بدأ يشك فى كل ما يدافع عنه من قيم فالحاجز الذي يختفى خلفه قد تحطم ، وما يحسه من ثقة وأمن قد بدأ يتزعزع اذ فجأته الحرب قبل ان يستعد لها وكان يحسب انه وصحبه يسيطرون على قواها المدمرة

وحدهم ، وتضطره ان يواجهها بعجزه وتصوره ، ويبدأ في داخله احساس مرير بالعجز يمتزج برعب قاتل ، وتحت تأثير هذه المشاعر الداهمة يندفع بحثا عن مهرب بأي ثمن ، وهو يضحي في سبيل انقاذ نفسه وابنه ، نفسه ومستقبله بكل شيء ... والزوجة تبحث عن مخرج لها ولابنها وزوجها ولكنها لا تجد سوى مقعدين في طائرة ولفريد ، وهي تستنجد برجولة بول ليمنحها هي وابنها الحياة ولكنها تفجع في هذه الرجولة حين يصر بول على ان يكون هو الناجي ، وهي تستنجد بذكرى الحب الذي جمعها لكنها تكتشف ان هذا الحب قد ذهب مع كل القيم الاخرى ... فتتحول من الاستعطاف الى الهجوم فتسخر منه ومن نذالته وتفجأه بان الطفل ليس ابنه ، وانما هو ابن ولفريد صديقه الرأسمالي ..

وتمر شخصية بول هنا بمرحلة ثالثة فقد انهار امامه بهذا التصريح مستقبله كله ... مستقبله الذي ضحى في سبيله بكل شيء ، هذا المستقبل ليس له، خرافة اخرى وخدعة، دسها عليه صديقه الرأسمالي ولفريد..

وتتركه الزوجة لتنجو ، ويظل هو مكانه بلا امل ولا قدرة على الصراع ولا شيء .. حطام مستسلم يود ان يخلص من الحياة ومن الوجود، فقد دخلت الحرب بينه ولم تبق فيه شيئا ..

وتقف الى جواره الام ، الام فقط ، فما يزال في الانسانية ملجأ لكل ضال ... انه الحب، وهكذا دخلت الحرب بيت بول لتقول له انه يعيش في وهم ولتضع الحقائق امام عينيه ، ويعرف انه كان ضحية الخداع من اصحاب دعاوى الجنس والسيطرة ، وانه كان العوبة في يد الاستعمار والرأسمالية ، وانه كان في حلم بنته الاضاليل والاكاذيب ...

وتنتهي حكاية الغارة ويفيق الجميع من الكابوس ... يفيق بول بعد ان فقد امرأته وابنه وغروره ، وانجابت الغشاوة عن عينيه ، وتضمه الام الرحيمة – الانسانية – ليبدأ حياة جديدة يستمدها من مثل عدوه ناصر الذي يحب الحياة له ولغيره ...

وبعد ، فواضح ان الكاتب قد نمى شخصياته برفق وعالج احداثه في هواده حتى لا تضطرب في يده القيم ، وحتى يحقق النمو التدريجي غير المفاجيء للاحداث والشخصيات ..

وانت تحس انه ينفعل مع ابطاله ، ويعيش حياة كل منهم على حدة ، ثم يجمعهم في لقاء يوجهه هو ويسيطر عليه ليخرج المعاني التي يريدها ، وانت تحس انه يؤمن بان الجميع خيرون ، فبول رغم ما فيه من شر ، انسان مخدوع خيل له ان مستقبله لن يبنى الا على دمار الاخرين ولكن عندما يدخل التجربة يستيقظ لنفسه ولانسانيته ..

والشخصيات رغم انها مرسومة بدقة وعناية الا انك تلاحظ في الحوار انها كلها تستخدم لغة واحدة هي لغة المؤلف نفسه ، وكان ينبغي ان تكون لكل شخصية لغتها الخاصة فلكل منا قاموسه الذي يستمده من بيئته وثقافته وظروف حياته .. .

وبعد ففي مسرحية «الحرب» ارهاص بكاتب مسرحي متمكن نرجو له التوفيق والسداد .

٢ – بندقية الاغا بقلم مجي الدين

هذه قصة يحكيها راوية ...

وهذا اللون من القصص يبدأ برسم المهاد الذي تتم فيه رواية القصة .. وبتقديم شخصية الراوي الذي يبدأ في عملية السرد مستعملا ضمير المتكلم ... والمقصود من رسم ما اسميناه بالمهاد تقريبنا من جو القصة التي ستحكى ، والمقصود من تقديم شخصية الراوي اعطاء اهمية معينة لطريقة سرده وموقفه من الاحداث التي سيرويها ...

وفي هذا اللون من القصص لا نتلقى القصة وحدها ، وانما نتلقى ايضا انفعال الراوي بها ووقعها على مجموعة السامعين لها ..

وقد استطاع الكاتب ان يرسم لنا (المهاد) باستعماله اسماء حقيقية للامكنة التي تم اللقاء فيها بين مجموعة الاصدقاء الذين يكونون السامعين، ثم يرسم جو الكوخ والدنيا المطرة والنار المشتعلة في الداخل تبعث الدفء الى الاجساد والخدر الى العقول .. اما الراوي فهو دليل يعيش في الجبل وعمله معرفة اماكن صيد الارانب ...

والحكاية تدور حول صبي صغير يصطحب بخيلا في رحلة صيد ، والبخيل يحمل بندقية ولا يستعملها ابدا والصبي يود لو يلمس هذه البندقية .. وذات ليلة يحط بهما الرحل عند عم الطفل ، وينام العجوز ويخرج العم والطفل الذي حمل بندقية الرجل العجوز خلسة ليصيدا الارانب ... ويصيدان ارنبا ، وعندما يقدم الارنب على الطعام يجدانه محشوا بالليرات ... فقد كانت البندقية هي مخبأ مال العجوز البخيل ، وكانت طلقة الصبي هي التي اصابت الارنب ...

وتأتي الحكاية طبيعية على ما قدم لها المؤلف ، فمن الطبيعي ان يحكى دليل صيد قصة مهارته ، وبغضه للبخل ، ومن الطبيعي ان تستمع مجموعة خرجت للصيد الى قصة صيد ..

وقد استطاع الكاتب ان يستغل شخصية الراوي ليثير التشويق مرة وليفسر شيئا غامضا مرة اخرى ، وليؤكد الزاوية التي يرى منها الاحداث مرة ثالثة ..

وقد نجح الكاتب في استعماله للغة ، فرغم العربية الفصحى التي استعملها (ابو احمد) الراوي في قصته الا انك تحس انها لغة دليل فعلا يسمى الجبال باسمائها في الف وقرب ، ويستعمل من الكلمات ما يناسب عقله وتفكيره ...

٣ – فقراء الناس بقلم جورج سالم

أحب ان اقرر انني من هؤلاء الذين ينادون بان القصة القصيرة هي اقرب الانتاج الفني الى القصيدة الشعرية ... فهي تعبير عن انفعال معين يملأ نفس الكاتب تجاه حدث بذاته .. والصور التي يستعملها القصاص في قصة قصيرة تتكامل لتنقل لنا هذا الانفعال كما يحسه هو .. ولهذا فالقصة القصيرة ينبغي ان تقول شيئا غير مجرد الحكاية ، وغير مجرد سرد حدث بذاته .. ينبغي ان تقول شيئا يبدو من طريقة السرد او من اللقطات التي يختارها القصاص ، او من الترابط الذي يقيم عليه قصته .. وفي هذه الحالة ينبغي ان يلتزم القصاص التركيز ، فهو يعبر عن انفعال بذاته تجاه حدث معين ، ولذا فينبغي ان يتحدد زمانيا ومكانيا، كما ينبغي ان يكون لكل ما يسرده قيمة في تنمية الانفعال وتطويره ...

وفي رايي ان القصة القصيرة التي ليست تعبيرا عن انفعال والتي تحكى حكاية طويلة لها امتداد زمني ومكاني وفيها اكثر من حادثة ، ليست قصة قصيرة الا في حجمها ، وانما المقصود هو الحكاية نفسها ...

هذه القصة – فقراء الناس – قصة قصيرة بهذا المعنى .. فهي لقطة قصيرة لحادث واحد .. فتاة ماتت فدفنت بلا تابوت لانها فقيرة ، والفقراء لا يملكون ثمن التابوت ..

وكل العناصر التي تتطلبها القصة القصيرة موجودة .. فالحدث مليء بالمعاني الانسانية الكبيرة ، والزمان محدد وهو ذات مساء ، والمكان محدد وهو المقبرة الكبيرة ، والشخصيات محددة هي طفل وكاهن وجثة .. واختيار ضمير المتكلم لسرد القصة اختيار موفق ، فاذا رسم الكاتب شخصيته بطفل صغير ، كان في هذا اكثر توفيقا ...

ولكن توفر هذه العناصر شيء ونجاح القصة بعد هذا شيء اخر.. فالقصة لم تنجح في ان تنقل لي انفعالا معينا ، بل مضى الكاتب يسرد الحكاية في حياد، دون ان

يستفيد من شخصية الطفل فى عكس اي انفعال .. بل لعلك تحس ان الكاتب لا يـــرى فى الموت اكثـــر من كونه حدثا ، ولا يحس بمـــا فى دفن الفقراء بلا نعش اكثر من استدرار دمعة ذعر فى عين الصبي ... اما ما فى ارتباط الموت بالفقر ووقع هذا الارتباط على الطفل الصغيـر المتفتح للحياة ، وما لهذا كله من انطباع على نفس الكاتب فانت تبحـث عنه فلا تجده .. وربما يرجع هذا الى ان الكاتب نفسه لا يحـس بمعنى الفقر ولا يهزه منظر الموت .. وربما كان الكاتب لا يريد سـوى سرد الحكاية نفسها فقط ..!.. ربما ...

وهناك ظاهرة تستدعي الاهتمام فى حوار الكاتب فهو يستعمل طريقـة غير مألوفة فى اللغة العربية .. يقول « ابتعدوا ، صرخ فى وجوهنا رجل منهم » و « انها فتاة ، صرخ احد رفاقنا »

فهو يأتي بالحوار اولا ، ثم يسنده الى قائله ... ولعل هذا نتيجة تأثره بقراءات كثيرة بعيدة عن الاسلوب العربي والكتابة العربية ..

وبعد فكم كنت اود ان يستغل الكاتب كل هذه الامكانيات ليـأتي التعبير قويا دافقا حيا ينقل احساس الكاتب بها وانفعاله بمعانيـــها الانسانية العميقة ...

٤ ـ السرير الحديدي بقلم علي بدور

وهذه قصة من لون آخر ولست احسب انها مجرد صدفة ان تغدو كل قصة فى العدد لونا متفردا بذاته.. وهذه القصة ـ السرير الحديدي ـ تقوم على التداعي ، وهي تدور كلها فى داخل البطل ، فليس فيها حدث ولا مكان ولا زمان ، وانما هي وقفة امام مشكلة نعيش اثناءها داخل البطل نفسه ، ونستعرض وقع المشكلة عليه هو ، لا اثرها على العالم الخارجي ..

اما المشكلة فهي سرير !! البطل يريد ان يشتري السرير لتنام عليـه امه لان حجرته ليس بها سوى سرير واحد ... انتهت القصة ..

فالقصة لا تهتم بالحدث وانما تنبيء على المنولوج الداخلي وهذا يقوم بدوره على عملية التداعي الذهني او اللفظي او تداعي الصور ..

والتداعي هنا يبدأ من مشكلة السرير ويدور حولها .. لتنجح القصة ينبغي ان يكون الكاتب حذرا حريصا وصادقا .. ولكنك فى ـ السرير الحديدي ـ سرعان ما تحس ان المسألة لم تعد تداعيا بقدر ما غـدت تقريرا ممنطقا ، وسرعان ما تشعر ان التجربة مفتعلة وغير معاشة ، وان الانتقال من فكرة الى فكرة فيه تعنت وعدم طبيعية ..

وهذا احد اخطار هذه الطريقة فى كتابة القصة ، ان ينسى الكاتـب انه يعالج قصة ، ويندفع الى معالجة الافكار كأجزاء منفصلة بطريقـة خطابية .

والكاتب قد خرج من مشكلة السرير بانه فقير ومشكلته هي مشكـلة الفقراء ، وبان المجتمع يفرض نظاما معينا على الناس وهو بهذا ظالـم و (جبل من طينة الحقد والكبت) ، وانه يسرع بعجلة مستقبلة فيسير به نحو الشيخوخة ، ثم بان الاجدى ان نترك مشكلة السرير لنتكلم عن مشاكل الاخرين .. وهو يختم قصته بانه سيشرب من دماء الخونـة والمضللين وسيوقظ لنائمين . كل هذا جره السرير .. ولست ادري كيف ادى التداعي الى هذه الدعوة الثورية العنيفة .

ولست اريد ان اقول ان هذه القطعة ـ السرير الحديدي ـ ليسـت قصة وانما هي خطبة ، لست اريد ان اقول هذا رغم ايماني به ، ولكن الذي اريد ان اقوله ان الكاتب لم يلتزم الصدق الفني على الاطلاق فجره هذا الى الخروج على طبيعة عمله الفني ..

فاروق خورشيد

من الجمعية الادبية المصرية

كلمات في عيد الميلاد

الليل ، الاضواء هنا .. والحانات
والاحـزان
والليل الجدران
خطوات تمتد ثقـال
اقدام نسـاء ورجـال
بسـمات صلبت فى الفم
أواه .. لقد نضب الدم
والشارع يعوي كالسيل
وحـدي أذرع هذا الليل

*

صاحبتي لو جئت معي عيد الميلاد
لقضينا الليـل وداد !
صاحبتي .. فصديقك قد ولد اليوم
لو جئت معي.. لسمعنا أنغاما نغمرها
(بالحب
ونجاوى القلب الى القلب
لو جئت معي ما ارتعشـت
فى قلبي تلك الصرخة .. للقـوم

الليـل ، الاضواء هنا .. والاحـزان
وأنا انسـان
يود يرقرق فرحته في عيد الميلاد..
(اليوم

*

الليل يموت على افق الحارات
والحانات ..
انفاس مجهدة تطفو فى رغوات الكأس
وانا والحانة لم تنزع من اعماقي اليأس
صاحبتي.. يدك امتدت تمسح دمعة
أطرق يا شاعر فى ((عبرى))
غنيت الاشواق مع اللوعه !
وفرحت أيا روحي ضحكت احزاني
المبتلة بالعـرق
وأخذت أخط على الورق
((عيناك يشعان بقلبي الفرحة
والسمرة فى وجهك كالكرمة
كالطمي على النيل الشادي
عينـاك كأشواق بلادي)) !

*

يا روحي قد كانت روحك كلمـات
(سـلام
الحب ، الاشواق .. السمره
ما أحلى ان نجلس مره
ونذود الآلام
صاحبتي : حين دلفت الى الشارع
كانت كلمات أغلى من كل الاصباغ
والذهب اللامـع !
كلمات ترشق ايامي بالحب
كلمـات القلب .. الى القلب
يا روحي وامتدت تمسح دمعه
يدك السمراء كأغصان الزيتون عـلى
(الترعه
لم أشعر أني خالي الجيب
فلقد أوقدت الشمعه
في عيد الميلاد وكانت
كلمات سـلام

« القاهرة » — جيلي عبد الرحمن



أسرع سفر
بطائرات
فايكاونت
إلى
الكويت
كل يوم اثنين
وخميس.
توزع آخر نشرات
روتر للاخبار على
المسافرين في الطائرة.
السفر نهاراً وفي
أوقات مناسبة.
سافروا
بطائرات
M·E·A
B.O.A.C. ASSOCIATE
للاستعلامات وحجز التذاكر راجعوا وكلاء السفر او شركة طيران الشرق الاوسط بيروت
- باب ادريس - بناية عبود - تلفون ٢١٢١٢/٣/٤/٥
- راس بيروت - بناية انكل سام - تلفون ٢٣٩٣٩
طيران الشرق الاوسط

هذه ليست خطيئة

قصة بقلم جورج جبور

هذه ليست خطيئة يا ابونا ، وانا لا اقبل ان اسميها كذلك ، اني لا اطلب الصفح عنها لانها ليست خطيئة . كان الحق معك حين قلت اني اخطأت حين لعنت الدين . صحيح ، كنت مخطئة ، وقد صليت لله كثيرا كي يغفرها لي ، لا سيما اني قلتها عن قلب طيب وفي فترة غضب ، كان ابني يعذبني ، يزعجني ويزعج اهل البيت ، ولم اتمالك نفسي ، وقلت له يلعن دينك ، دينه دين المسيح ، وقد شعرت فورا بثقل هذه الكلمة ، بوقاحتها ، بتانيب ضميري ، ادركت اني مخطئة، وبكيت ، وصليت لله كثيرا كي يغفرها لي . وكنت مخطئة حين لم آت للصلاة في يوم احد من ايام الشتاء الماضي ، اعرف ذلك وقد قلته لك ، وطلبت منك ان تصلي لاجلي ، ان يصفح لي المسيح بشفاعتك ، اعرف اني كنت مخطئة . حين فتحت عيني كان الناقوس يقرع ، كان يدعو الناس للصلاة ، الا اني تكاسلت ، اعترف بكل شعور بالندم ، وتململت في فراشي ، وتثاءبت وتمطيت ، وكان بللور الشبابيك ابيض لا شفافا ، فادركت ان الطقس بارد جدا ، ومن ثم قلت اني سانهض بعد قليل ، واحضر قراءة الانجيل في اخر الصلاة ، حين يكون الطقس اصبح دافئا بعض الشيء .. ولكن مع الاسف ، وبكل شعور بالندم يا ابونا ، لم استيقظ الا بعد ان انتهت الصلاة ، لم يكن لي عذر مقبول ، وقد شعرت آنئذ بالخجل ، والخجل الشديد ، من نفسي ومن المسيح ومن اهل الضيعة ، واصابتني رجفة حين تذكرت وصايا الكنيسة : احفظوا ايام الاحد والاعياد ، وبكل شعور بالخطيئة ركعت وتلوت « ابانا الذي في السموات » اربعين مرة ، وانا ابكي واتأوه ، ثم صمت ذلك اليوم والاثنين الذي بعده ، وقد اعترفت لك بخطئي ، ورجوتك ان يصفح المسيح عني . وكنت مخطئة حين طنشت لما قرعت ام جرجس - جارتنا - الباب علي في الصباح ، كنت اعرف انها كعادتها كل يوم تريد استعارة مصفاية الحليب ، ولكني في ذلك اليوم لم اشأ ان افتح لها ، لقد خالفت وصايا السيد : من سخرك ميلا امش معه ميلين ، ومن سألك اعطه ، ولكن ام جرجس يا ابونا امرأة غليظة ، ثقيلة الدم ،تستطيع ان تصنع مصفاية حليب بدقيقة ولكنها مثقلة ، لا تعجبها المصفاية الا من عند جيرانها ، اعرف اني كنت مخطئة في حقها ، كان يجب ان لا اتضايق منها ، ولكن اعترف لك انني ابغضها ، واني ما كنت اسايرها الا مكرهة ، كنت اداريها خوف ان اخالف وصايا المسيح : احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، ولا اخفي عنك يا ابونا اني لم اشعر بتانيب الضمير حين طنشت عن ندائها ، ولم افتح لها الباب لاعيرها المصفاية ، ولكني الان اشعر بذلك ، واعرف اني يجب ان احسن سلوكي معها ، وقد رجوتك ان تقنع السيد المسيح ان يصفح عني هذه المرة ايضا .

في كل تلك الخطايا كان الحق معك ، كان الحق علي ولكن قضية عدم وفاء النذر للكنيسة الحق معي فيها .. هذه ليست خطيئة يا ابونا - وانا لا اقبل ان اسميها كذلك ، اني لا اطلب الصفح عنها لانها ليست خطيئة . صحيح اني نذرت للكنيسة خمسا وعشرين ليرة ان شفي ابني ولم افها ، ولكن حساب الحقل يا ابونا ما طبق على حساب البيدر . حين كنت آخذ لابي خليل زوجي غداءه كل يوم السنة الماضية ، الى الحقل ، كان يقول لي ابشري يا ام خليل ، الموسم السنة طيب طيب ، الموسم السنة موسمان ، فالبدار جيد ما نخره سوس ، وما فيه حبة ضعيفة ، والارض استراحت سنة ، وهذه السنة سنة انتاجها ، وزنود ابو خليل في الفلاحة والبدار .. اما تعرفينها ؟! وكنت يا ابونا احسب لنفسي مقدار الارباح ، وكنت اقول اني ساعمر قنا اكبر للدجاج ، قنا حسب الاصول ، واننا هذه السنة سنستريح من اقتراض المال على حساب الموسم ، وقلت اذا زاد معنا مال فاني سأشتري للبيت بعض اغراض جديدة ، واشتري بارودة صيد لابني مطانيوس ، وبدلة جديدة للابن الثاني ، واظن انك يا ابونا تعرف الكمالة ، كمالة القصة ... كبر القمح وظل يكبر ، وكان الحقل ، يخزي العين ، مثل ارض مفروشة بالذهب ، كانت السنبلة مثل القامة المشوقة .. واتى نيسان ثم ايار ، ولكن القمح .... هل اعيد لك القصة ؟ كنا ناكل ونحن نصلي ، ونشرب ونحن نصلي ، ونقف ونحن نصلي ، ونقعد ونحن نصلي ، كان القمح يحتاج رية مطر واحدة ، رية واحدة يا ابونا ، طلبناها من الله كثيرا ، ولكن يظهر ان قلوبنا لم تكن صادقة ، او ان الله اراد ان يمتحننا كما امتحن ايوب ، لو نزلت رية مطر واحدة يا ابونا ، ما كنا وصلنا الى هذه الحالة ، كانت الشمس تطلع علينا وهي حادة ، حارة ، تحرق ، كان لهيبها مثل لهيب جهنم ، استغفر الله ، كانت قتالة ، قتلتنا وقتلت الزرع ، يبس القمح وهو صغير ، لم يكتمل نموه ، كان يحتاج الى رية مطر ، رية واحدة يا ابونا ، لماذا عاملنا الله هذه المعاملة ؟ انت تعرف اننا نحب الله ، نحترمه ، اننا في الاجمال نطيع اوامره ونحفظ وصاياه ، وان كلمة مثل يلعن دينك تخرج في غضب وطيش ورعونة يجب ان يحتملها ، ولا يحسب لها حسابا كبيرا . يا ابونا الضيعة فقيرة واساس حياتها القمح واظن اننا لا نستحق مثل هذه المعاملة القاسية من قبل ربنا السماوي .. الحاصل يا ابونا ، ما سلم من القمح اكثر من ربعه ، غدرنا المطر ، قتلنا وقتل الزرع ، ما زاد معنا قمح عن البدار ، بدار السنة ، الا القليل ، واما ثمنه فما كان قادرا ان ينقذنا من ضيقنا . ومن لطف الله فينا ، ان الدجاج ما اصابه مرض هذه السنة ، وحياة مريم العذراء واولادي يا ابونا لولا البقرة والارانب والدجاج ما كان عندنا خبز وزيت . نسيت ان اقول لك ان ابني الكبير مرض في الشتاء الماضي ، وقال الطبيب ان حالته خطرة ، كان وجهه اصفر مثل الليمون وقامته نحيلة مثل

العصا ، فصرفنا عليه من ادوية واكل الشيء الكثير ، ومعلومك مقدار قلق الام على ابنها ، ما اعز من الزوج الا الولد ، يا حسرتي عليـــه ، كان يتالم حتى يتمنى الموت ، والطبيب يقول : اتركوا هذا الـــدواء ، واشتروا ذاك الدواء ، ثم ينصرف منتصب القامة ، ويترك امـــر المريض لي انا ، للدمع والاهات والقلق ، اه يا ابونا ، ذقت من المرض الكثير ، وانا صابرة صابرة لكن قلبي في صدري ذائب ، وكنت اصلي طوال الوقت ، واظن انك تذكر كم مرة كنت قبل الفجر على بـــاب الكنيسة احرق الشموع ، وكم مرة ساهرت نجوم الليل وانا راكعة ، وكان من نتيجة المرض اني ندرت خمسا وعشرين ليرة للكنيسة ، ان صح ابني ، وعاملني الله معاملة تليق بي ، بايماني ، وشفى لـي ولـدي ولم يبق الا وفاء ندر الكنيسة ، لكن المحصول يا ابونا ما ناسبنـا ، يبس القمح وهو لم يكتمل نموه ، كل الضيعة عرفت الضيق ، وكثير من اهلها ذهبوا الى المدينة يشتغلون فى الحمل ، والذين توفقوا وجـدوا لهم عملا في معمل . الضيق كان عند كل الناس هذه السنة ، المطـر غدرنا ، قتلنا وقتل الزرع وكل حياتنا يقررها الحقل والمطر والقمح . انت يا ابونا ولا تؤاخذني بهذه الكلمة لك معاش مقطوع ياتيك فـي الصيف والشتاء ، ان نزل مطر او ما نزل مطر وان اصاب الدجاج مرض او ما اصابه . لو كان لنا معاش مقطوع كنا من احسن الناس ، وحتى لو كان معاشا صغيرا بالكاد يكفي حاجتنا . كل انسان يستطيع ان يوفر من هنا قرشا ومن هناك قرشا اخر ، ان يجمع قرشا بعد قرش ويصبح عنده مبلغ محترم ، وحياة مريم العذراء واولادي لو كان لنا معـاش مقطوع كنت وفيت الندر ، وفي الحقيقة كنت انوي ان افيه حتى بعد ان يبس الزرع كي يتاكد الله اننا اوفياء نستحق رحمته ، وكي لا يعيدها معنا في القمح مرة ثانية . لكن الحكومة اخذت من كل تلميذ في المدرسة خمسا وعشرين ليرة تماما من اجل بدلات الفتوة ، وقـد كان لي خاطر ان لا ابعث ابني الى المدرسة بعد ، ان انهى علومه ، يكفيه ما وصل اليه يخزي العين في الحساب والهندسة ، ثم فكرت في منعه عن الذهاب للفتوة وكنت انوي ان اسعى في سبيل ذلك ولكن لما قلت خواطري لابو خليل زوجي قال لي « مجنونة ! كل البشر يجب ان يتدربوا على البارودة والمدفع ، القضية قضية حياة وموت ، يجب ان ندافع عن ضيعتنا وبلادنا ، احسن من ان نصبح مثل اهل فلسطين ، مجنونة ، اتركينا من الندر ، الله يعرف احوالنا ، وهو يغني الكنيسة اكثر من خمس وعشرينتك ، اتركينا من الندر وادفعي لابنك ثمـن البدله .. قضية الحياة والموت قبل الندر وقبل الاكل والشـرب والموسم ! » صحيح قوله يا ابونا .. أليس كذلك ؟ لقد خفت ان نصبح مثل اهل فلسطين ، فاعطيت ابني ثمن البدلة ، صحيح اني لم اف بالندر ، ولكن الله في الحقيقة يعرف احوالنا ، ويعرف اننا في ضيق ، ويجب عليه ان يعذرنا ، لا سيما بعد ان عاملنا تلك المعاملة القـاسية في قصة القمح . هذه ليست خطيئة يا ابونا ، وانا لا اقبل ان اسميها كذلك ، اني لا اطلب الصفح عنها من سيدنا المسيح ، لانهـا ليست خطيئة ...

دمشق جورج جبور

مُناقشَات

انقد ذلك ام نقض ؟

بقلم أحمد كمال زكي

الاستاذ سامي الدروبي غير راض عن بحثي « الله في الفن » لانه على اكبر الظن يذهب مذهبا في الفكر واذهب انا مذهبا اخر ، وربما اراد ان يشعر القارىء – وهو صاحب ترجمة « المجمل في فلسفة الفن » لكروتشيه – انه قد أوتي من العلم ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فسخر ونقض وانكر و ... سكت ! اما البناء فشيء ينبغي الا نظفر به ، وهو يعلم ان وجهات النظر تختلف وان الحجة تقرع بالحجة وان التلميذ في حاجة دائما الى رأي استاذه يستزيد منه ويهتدي به ويتقدم عن طريقه ...

مثل هذا اللون من النقد اخطر على حياتنا الفكرية مما يظن الاستاذ المعلم ، ولو قد شفعه بالارشاد واستبدل بالتهكم التواضع لكان منه جميل اي جميل ، ثم لو كان قد ساق دون ما اقول الرأي الذي يراه لقبلت ان يتحدث عن كاتب – مهما تكن درجته من العلم – حديث المؤدب المربي ، ولكنه يكتفي بان يمسك العصا ويفرع ، ثم يجلجل ويهدر ليظل بعد ذلك حيث بدأ اللهم الا اذا كان مديره هو قد زلزل الارض من تحته !

انا لا اريد ان احاسب الاستاذ الناقد على كل ما قال لانه لم يقل شيئا ذا غناء ولكني احب ان اعتب عليه عتبا يسيرا والا فما الداعي ان يأخذ علي سرد اسماء في صفحات تتقل عليه ، ويستبيح لنفسه ان يسوق في نصف صفحة اسماء برجسون وبول فاليري وكروتشه ؟ بل هل من العدل ان ينكر علي عرضي للفن والفلسفة والعلم والتاريخ – وهي زاد كل كاتب – ويتشدق هو بالشعر والموسيقى والرقص والجمال والاستطيقا ! انا على الاقل لم اصح صيحته الهادرة دون ما جدوى : اسألوا برجسون !!

ليعد الاستاذ سامي الى تعقيبه على مقال شاعرنا المبدع نزار قباني ، ولعله يحس انه – حتى معه – يتعالى ويستكبر فيذكره بشيء قديم .. بفقرات اخذها من كتاب كروتشه ومن ترجمته هو ليتقدم بها اول ديوان له ! اريد ان اسأله بصراحة : أيظن ان حديث نزار عن الاستطيقا يستتبع بالضرورة سرد ذلك الحدث القديم ؟

ومع كل فليكن للاستاذ سامي هذا الحق فهو شيء ونحن شيء اخر ، ولنصل معا الى اشياء رآها خطأ فأومأ اليها ومضى ونريد نحن ان يقف عندها ، فأوجست كونت هو الذي بشر بديانة الانسانية – كما يقول – وليس ليون برونشفيك ، وفرويد لم يقل شيئا مما زعمت انه قال ...

من حقي هنا ان اراجع الاستاذ سامي ، ومرة اخرى اذكره بانه يذهب مذهبا في الفكر واذهب انا مذهبا اخر ، ويؤسفني اشد الاسف ان يكون الخلاف بيني وبينه على اسلوب الفهم والتكيف وعلى نوع الزاوية التي تحدد الطريق ، وما ذنبي على اي حال اذا لم يفهم فلسفة برونشفيك فهمي انا اياها !! وهل كان من الضروري ان اقول له ان هذه الفلسفة انسانية من حيث انها تعنى باشباع حاجات الانسان عن طريق العلم والصناعة ؟ ام هل نفيت عن اوجست كونت هذه الخاصة ليضيفها هو اليه ويسلبها برونشفيك ؟

لست ادري ولكني اعلم – وعند الاستاذ سامي مفاتح العلم – ان الفلسفة في صورتها العامة قد تحولت الى الانسان منذ القرن التاسع عشر . كونت وبرونشفيك وهيجل وماركس وشيلر وسارتر فلاسفة يبنون آراءهم على ما يشبع حاجة الانسان . ولكن القيمة الانسانية تختلف عند كل ، برونشفيك مثلا لا يحرم الانسان غيبياته والاحساس عنده مجال الرب ، وهيجل يهتم بعقل الانسان قبل اهتمامه بتقدم انسانيته ، وماركس ينشد له عدالة عن طريق الثورة على الطبقات وهكذا ...

لا اريد ان اطيل اذ لا يزال امامنا فرويد ... اعني دحضه رأيي في فرويد ، ولاسق له ما كتبت عنه بالحرف الواحد « فرويد اذ يقول ان الفنان شخص ينصرف عن الواقع بكل ما فيه يبعد هو عن الواقع ، ولا يكفي مطلقا ان يبدع بمجرد اطلاقه العنان لغرائزه » وليس من شك في ان العبارة ذات شقين الثاني منهما يتضمن الرد على مضمون رأي فرويد في مشكلة الابداع ، وهي عنده كما يعرفها الاستاذ سامي – ولا شك – تلقائية شبقية اساسها الطفولة واللاشعور . انا لا استطيع ان اشرح فالمجال ضيق والامر اوضح من ان يبسط ، ولكني اقول اني لم اسرف ولم اخطىء حين خرجت من قراءاتي لفرويد وعنه بما رأيت ، والا فيم نفسر اللاشعور والطفولة والدوافع الشبقية عند الفنان ؟ فرويد يسلخ الفنان من الواقع ... هذا نفهمه من كل ما كتب ، وما على الاستاذ سامي الا ان يعيد النظر في حصيلته عن ذلك العالم واكبر ظني انه سينتهي الى ما تجمع عليه الآراء فاذا فاته فوت رجعنا الى حيث كنا .. فهو يرى رأيا ونرى نحن رأيا اخر ، والنفوس بعد مشارب والمفاهيم درجات .

وللاستاذ بعد ذلك او قبل ذلك كل احترام وتقدير !

احمد كمال زكي

من الجمعية الادبية المصرية

لا تعطلوا وظيفة النقد ...

بقلم محمد العيساوي الجمني

يظهر لي ان تهمة الناقد الادبي بالذاتية ، بدأت تهمة شائعة ، ممجوجة وصارت من التفاهات المعادة ، المكررة . فهي كتهمة الكتاب الاحرار من طرف المتغربين منا بالشيوعية . فنحن كلما رأينا نقدا حقيقيا ، صريحا ، وكلما رأينا تشريحا لموضوع ، او تبيانا وايضاحا للعيوب والنقائص ، واظهارا للضعف والهزال في آثارنا الادبية سواء كان الاثر : ديوان شعر ، او قصة او غير ذلك من الوان التآليف الادبية ، قامت قيامة اصحاب الشيء المنقود او المحامين عنهم ، وراحوا يمطرون الناقد بوابل من الشتائم ، وبنصيب من التهم المفتعلة ، الواهية الضعيفة ، والخالية من براهين الواقع والحقيقة . وذلك كله لقلب الناقد وجعله ذاتيا محضا ، ورميه بعيوب ، ووسمه بكل نقيصة وقبح . هذه ظاهرة خطيرة ، مخيفة جدا ، يجب على الادباء الشرفاء ، والكتاب الاحرار ، وحملة الرسالة معالجتها ، بشيء من الحكمة والاخلاص ، والنزاهة الادبية ، لان هذه الظاهرة البشعة ، اذا اغضينا عنها النظر ، ولم نعطها ما تستحق من عناية واهتمام ، وتركناها تنمو وتتضخم ، ستعطل في المستقبل القريب وظيفة النقد الادبي ، النقد الذي لا بد لنا منه لتحليل انتاجنا وعرضه

على الغربلة النقدية ، وجعله على محك البحث والموازنة وتقييمه تقييما يتماشى مع الحق والعدالة .

نريد من الكاتب ، او الشاعر ، او القصاص ، ان لا يعتبروا جميعا الناقد انسانا حاملا فؤوسا وهراوات يريد القضاء عليهم . بل من اللائق تصوره باحثا عن الاجادة ، وحاثا على الابداع ، وباعثا على الانتباه ، وفتح العين ليكون الانتاج مستكملا اسباب الكمال او قريبا منه . نحن نريد التعاون بين الكاتب والناقد ، لا الخصومة والشقاق كما نريد من القارىء ، القارىء الواعي ، ان يفهم انه مطلوب منه كقارىء ، كحكم ، ابداء رأيه فى الاثر المنقود ، وفى رأي الناقد له . ومن واجبه كحكم ان لا يميل مع العاطفة ، أي عاطفة ، سواء كانت عاطفة قرابة ، او زمالة او صداقة . يجب ان يتجرد من جميع العواطف والاهواء والاعتبارات ، وان يجعل امامه الحق ، والضمير الادبي النقي . هذه هي رسالة القارىء الواعي بحق . ولكن يظهر ان كثيرا من القراء تأخذهم حمى الصداقة ، او الزمالة ، فيرمون انفسهم فى مستنقع الدفاع العاطفي ، ويبدأون في رمي من خالف زميلهم ، او صديقهم ، بألفاظ جارحة نابية ، وبتهم شوهاء كاذبة ، وبعيوب مختلقة مفتعلة .

هذا ما رأيته فى رد الاستاذ الكبير مفيد الشوباشي فى عدد « الآداب » الماضي على نقد للطيب الشريف فى العدد الاسبق « للآداب » لديوان : « اغاني المعركة » للشاعر ابراهيم شعراوي .

كان نقد الطيب الشريف لـ « أغاني المعركة » نقدا واقعيا متوفرة فيه القوانين الفنية للنقد الادبي ، وكانت فى نقده لمسات واشارات وتنبيهات تدل على فهم قريب من العمق ، وعلى معرفة غير قليلة للمذهب الواقعي وليس معنى هذا ان نقد الشريف كان خاليا من العيوب والمآخذ . بل ككل عمل لا بد ان توجد فيه الاجادة الى جانب الضعف والخلخلة .

ولهذا كان على استاذنا الشوباشي ان يتتبع فى انتباه وصدق المواضع التي اخطأ فيها الطيب ، كما يشير الى الاماكن التي اصاب فيها الهدف ، ولم يخطىء المرمى ..

هناك اشارة لا بد منها وهي :

ان الطيب الشريف خالف المألوف عند الكثير من النقاد فى بلادنا . بمعنى انه قيم قصائد شعراوي ، بحسب ما فيها من عمق ، واصالة ، وصدق وتجربة ، . كما انه لم يغرق اخاه شعراوي فى بحر من المدح ، والشكر ، ولم يحطه بهالة من الثناء والتمجيد . كما انه حقيقة لم ينافق شعراوي ، ولم يكذب عليه ، بل صارحه بكل ما يعتقد ، وبجميع ما رأى فى القصائد « الشعراوية » وبمعنى ادق ان الطيب اخلص للمسؤولية النقدية وكفى .

والآن لنلق نظرة على رد استاذنا الشوباشي ، ونلمح ما فيه من ذاتية مغرقة ، ومن تجن على الاخ الشريف .

فالاستاذ يقول فى آخر رده ما يلي : « بهذا القول كشف الناقد عن طويته الحاقدة ، لقد بدأ نقده موضوعيا كما قلنا ، فلم يلبث ان انقلب ذاتيا ، اذ غلبته السموم التي كظت نفسه فنفثها بذاءة وغثاء . » هذا اتهام صريح بأن نقد الشريف ذاتي . ولكن هل خلا كلامك هذا من «ذاتية» وهل التزمت « الموضوعية » فى ردك ؟ ؟ كيف تطالب بالموضوعية فى النقد وانت تغرق نفسك فى بؤرة الذاتية ؟؟! كيف تفعل ما تنهي عنه غيرك؟ هل نسيت قول المعري : اذا فعل الفتى ما عنه ينهى .. فمن جهتين لا جهة اساء ؟! لماذا لم تحرص على خلو نقدك من هذه الالفاظ « الحقد » و « الذاتية » و « السموم » و « البذاءة » و « الغثاء » ؟؟ ليتك انهيت ردك ، ولم تسجل هذه العبارات الجارحة ، والذاتية المريضة والنعوت الخبيثة !

ويتكرم الاستاذ ببيان الاسباب التي جعلت الطيب الشريف يحقد على شعراوي — فى زعمه — فيقول : « ولا عجب فان هذا الناقد ينافس شاعرنا فى ميدان النظم » اما هذا السبب فلا ادري كيف خطه استاذنا ولم يفكر فيه ؟ هل خلا الميدان — ميدان الشعر الا من ابراهيم شعراوي ومنافسه الشريف ؟ انا اقسم ان الاستاذ الشوباشي عند كتابته هذه الجملة كان غير واع كليا . ويزيد الاستاذ اغراقا فى حمأة الذاتية غير المحمودة فيقول : « وقد اختلفت بهما الطرق ، فسار الاول فى الطريق المظلم فتخبط وسقط وهو بعد يخطو خطواته الاولى » وهنا يحق لي ان اسأل الشوباشي فأقول : أي طريق مظلم تعني الذي سار فيه الطيب الشريف حتى تخبط وسقط ؟؟ ومتى حصل له السقوط والتخبط ؟؟ وهنا يجب علي ان اقول لقراء « الآداب » : ان الطيب الشريف لا زال طالبا فى التعليم الجامعي وفى سنته الثانية على التحديد . فهل يمكن ان نصدر عليه حكما بالتخبط والسقوط ؟ انه كشاب يحاول ان يكتب ، ينقد ، يفهم ، يترجم ، يقرأ . فهل هو وحده الذي مر بهذه التجربة ، وهذه الفترة ، فترة المحاولة ؟؟!

وبهذا ادركنا ، ويدرك القراء ان الاستاذ الشوباشي مغرض فى رده ، حاقد فى تفاسيره ، مخطىء فى الصورة التي رسمها للاخ الطيب . وكأني بالاستاذ يريد التحقير من قيمة الطيب ، ويبرز الى جانب ذلك ابراهيم شعراوي فى صورة شاعر مفلق ، وناقد بصير فيقول : « وسار الثاني فى الطريق السوي فجادت المعيته بالشعر الحي السليم » ونحن نقول للاستاذ الحق فى ان يسبغ على شعراوي ما شاء من الالقاب والصفات العظيمة ، ولكن ليس من حقه المقارنة بين طالب لا زال فى دراسته وبين موظف مثله اذ ان هذه المقارنة باطلة من اساسها بتاتا ..

وخلاصة القول : ان الاستاذ يدعو الى « الموضوعية » ومع ذلك يغرق هو نفسه فى «الذاتية» واقصد القول ان هذه الحملة «الشوباشية» المسعورة الحاقدة ، الهدامة للناشئة الادبية — والشريف منها — يحتم عليك مراعاة الآداب مع قراء « الآداب » .. وارجو ان يكون فى مستقبله موضوعيا ، مخلصا للادب وحده ، وساجدا للحقيقة فقط .. وتاركا ما سوى ذلك ..

القاهرة **محمد العيساوي الجمني**

كتب وردت الى المجلة

(وسينقد بعضها فى اعداد قادمة)

* الانسان فرد لا جماعة — بقلم يوسف الحوراني
دراسة – دار مكتبة الحياة ، بيروت – ١٦٥ ص
* مبادىء علم الاجتماع — بقلم حسين علي الداقوقي
دراسة – مطابع دار الكشاف ، بيروت – ١٦٠ ص
* المنظمات الاقتصادية الدولية — بقلم الدكتور جابر جاد عبد الرحمن
منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة – ٢٠٤ ص
* محاضرات فى القانون المدني اللبناني — بقلم الدكتور صبحي محمصاني
منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة – ٥٩ ص
* النقود والبنك فى البلاد العربية — بقلم الدكتور فؤاد مرسي
منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة – ١٠٢ ص
* ولي الدين يكن — بقلم الدكتور محمد مندور
منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة – ٦٠ ص
* البترول فى البلاد العربية — بقلم الدكتور محمد جواد العبوسي
منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة – ٢٧٠ ص
* البستاني — بقلم رابندرانات طاغور
تعريب الدكتور بديع حقي–مطابع دار العلم للملايين–بيروت ٧٨ ص
* هارون الرشيد — بقلم الدكتور عبد الجبار الجومرد
دراسة فى جزئين – المكتبة العمومية ، بيروت – ٦٣٠ ص
* خمس رسائل اسماعيلية — تحقيق عارف تامر
منشورات دار الانصاف ، سوريا – ١٨٠ ص
* يقظة العالم الاسلامي — تأليف ف.و. فرنو
ترجمة بهيج شعبان – دار الحكمة ، بيروت – ٣٠٨ ص
* سأبكي غدا — تأليف ليليان روث
ترجمة اميل خليل بيدس–المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ١٦٠ص
* القمم الخضراء — بقلم حليم بركات
رواية – المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر – ٢٠٤ ص
* الشيخ قسطنطين يني الشهيد – ١١٩ ص
* فارس غرناطة وقصص اخرى — بقلم محمد مجذوب
مطبعة الكشاف باللاذقية – ١٢٤ ص
* شلال الاسود — بقلم محمد الصباغ
مقالات – المطبعة المهدية (تطوان) – ١٢٢ ص
* نصف العالم الحي — بقلم محمد رضا الاسود
قصائد منثورة – دار مطبعة التمدن ، بغداد – ٧٨ ص
* فلسفة اللغة — بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج
دراسة – دار النشر للجامعيين ، بيروت – ٣٠٨ ص
* رسالة الى ناظم حكمت — تعريب عبد الوهاب البياتي
قصائد مترجمة – مكتبة المعارف بيروت – ١٢٠ ص
* محاضرات مختارة من الموسم الثقافي فى بغداد لسنة ١٩٥٥ – ١٩٥٦
ملحق لمجلة المعلم الجديد – مطبعة المعارف بغداد – ١٠٠ ص
* عبدالله بن سبأ — بقلم مرتضى العسكري
دراسة – المطبعة العلمية بالنجف الاشرف – ١٧٨ ص
* جبل النار — بقلم برهان الدين العبوشي
ديوان شعر – طبع الشركة الاسلامية ، بغداد – ١٣٠ ص
* رباعيات الخيام — بقلم الدكتور جميل الملائكة
ترجمة شعرية – مطبعة الرابطة ببغداد – ١٠٠ ص
* فريسة ابي ماضي — بقلم روكس بن زائد العزيزي
دراسة للشعر فى البادية – مطبعة الاتحاد ، عمان – ٧٠ ص
* انات الساقية — حسن عبدالله القرشي
اقاصيص – سلسلة اقرأ ، القاهرة – ١٤٢ ص
* مؤتمر الادباء العرب الثاني المنعقد بدمشق ، أيلول ١٩٥٦
وقائع المؤتمر – مطبعة (..؟) – ١٦٦ ص
* ومن الضحايا — بقلم محمد العروسي المطوي
قصة – منشورات البعث ، تونس –
* ذكرى سليمان البستاني — بقلم جوزف الهاشم
دراسة – مطابع دار العلم للملايين بيروت – ١٨٤ ص
* عائلة ١.ق — بقلم الدكتور جورج حنا
قصة – دار العلم للملايين بيروت – ٨٤ ص
* مولد اللغة — بقلم الشيخ احمد رضا العاملي
دراسة – منشورات دار مكتبة الحياة – ١٠٢ ص
* هل تدمع العيون — بقلم نصر الدين البحرة
مجموعة قصص – مطبعة الجمهورية ، دمشق – ١٠٤ ص
* غرباء — للمرحوم صلاح لبكي
ديوان شعر – دار ريحاني ، بيروت – ١٢٦ ص
* خطوط وظلال — بقلم روز غريب
مجموعة قصص – دار ريحاني ، بيروت – ٩٨ ص
* نقل الاديب — للمرحوم محمد اسعاف النشاشيبي
مختارات – دار ريحاني ، بيروت – ١٤٨ ص
* الاسوار — بقلم خالد الشواف
مسرحية شعرية – دار الكشاف ، بيروت – ١٠٦ ص
* زهر وقفر — بقلم اسحق محمد الخليفة شريف
ديوان شعر – دار ريحاني ، بيروت – ١١٠ ص
* القوميات — بقلم امين الريحاني
جزءان – دار ريحاني ، بيروت – ٢١٥ و ١٧٠ ص
* بعد الاصيل — بقلم الدكتور نقولا فياض
ديوان شعر – دار الاحد ، بيروت – ١٠٤ ص
* الامام علي — بقلم جورج جرداق
دراسة – منشورات دار الرسالة ، بيروت – ٣٨٨ ص
* الصفقة — بقلم توفيق الحكيم
مسرحية – المطبعة النموذجية ، القاهرة – ١٦٤ ص
* الحضارة المصرية — تاليف ولسون وترجمة فخري
نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين – مكتبة النهضة المصرية – ٥٣٨ص
* عرق — بقلم جبرا ابراهيم جبرا
مجموعة قصص – المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر – ٢٠٦ ص
* سقراط — تأليف كوراميس وترجمة محمود مخمود
نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين–مكتبة الانجلو المصرية– ١٧٢ص

سوريا

لمراسل « الآداب » الخاص

اجلاء وانماء

يومان عظيما الدلالة تواليا على سورية في اواخر نيسان ، ويوم ثالث ، او امسية يومين من ايار ، اضافت دلالة اعمق كذلك .

يوم عيد الجلاء ، ويوم الشهيد المالكي ، والامسية التي سجلت انتصارا جديدا لاصالة القومية العربية ، في الانتخابات الفرعية .

ان معنى الجلاء يتخذ بين عام وآخر ابعادا قومية جديدة ، تنفذ من عمق الى آخر في صميم حركة الانبعاث العربي . فلقد احتفل العرب مع سوريا منذ عام ١٩٤٦ بجلاء الاستعمار عن اراضيها ، كجيوش ونظام ارهابي . ولكن كلما اختمر هذا العيد من نيسان الى آخر في وجدان الامة ، لاحظنا ان ساحة جديدة للجلاء يجب ان يفتحها نضال الشعب . فلقد ادرك الشعب منذ العيد الاول ان هذا الجلاء ليس هو الا البداية وخروج الجيوش الاستعمارية ما هو الا اعلان النضال الحقيقي، الذي عليه ان يجلي آخر معاني الذل والانحطاط والخيانة والعبودية .

فالجلاء ان هو الا اجلاء . والاجلاء ما كان له ان يبقى على شكله الخارجي كقوة نزع وجرف سلبية . فان له فعاليته الداخلية وهي البناء، وفسح المجال امام النمو الذاتي المتفجر . وبين عام وآخر ، تنفذ الامة هذه العملية المزدوجة من اجلاء وانماء . وبقدر ما تعظم الفعالية الانقلابية للقومية العربية في وجدان الامة ، بقدر ما ينفذ الاجلاء الى مستويات اعمق ، من حياة الشعب ، وبقدر ما تنشط فعالية الانماء في تفجير طاقات الانبعاث في مختلف مستويات الحياة .

لقد كان هذا التعميق لعملية الاجلاء والانماء شرطا اساسيا لوجود الشعب على مستوى حرية تتزايد قيمها يوما بعد يوم ، وعملا بعد عمل. وفي كل مجال تتقمص القوة المعادية التي اجلي مظهر من مظاهرها في العيد الاول (القوى العسكرية) ، في نظام جديد مضاد للنظام النامي الذي يتلبسه الانماء في حركة التطور الداخلية . فيظهر تارة في عقلية فئة حاكمة اتخذها المستعمر قناعا اهليا لوجهه الوحشي . ويظهر تارة في عقلية اقتصادية بورجوازية انانية ، او في نظام ثقافي بال ، او مذهب ادبي محتضر ، او معركة فاصلة ، كحرب فلسطين ـ النكبة الفاصلة التي هزت الوجود العربي الى اعماقه ـ او سياسة تخديرية مساومة مع اعداء العرب التقليديين ، او في تنظيمات تكتلية للفئات المأجورة والرجعية ، التي كانت نهايتها ، كبؤرة جراثيم سرية في جسم الامة ، في محاكمات الخيانة الاخيرة ، وكانت نهايتها السياسية في هذا الحشد الهائل لقوى المال والرجعية والبورجوازية والخونة لدعم مرشح الاستعمار في الانتخابات الفرعية بدمشق .

وبالمقابل فان كل وجه تتخذه القوى اللاقومية المعادية للامة يشحذ في الطليعة العربية ، ومن خلفها الامة ، قوى جديدة سلبية بالنسبة الى القوى اللاقومية ، ايجابية بناءة بالنسبة للوحدة التاريخية في صميم الامة ، ودفع هذه الوحدة الى مصيرها المحتوم الا وهو حضارة عربية جديدة ، ورسالة انسانية اخرى .

ويوم آخر تلا عيد الجلاء ، وهو يوم رمز العروبة المناضلة العقيد الشهيد عدنان المالكي الذي اغتيل عام ١٩٥٥ في الملعب البلدي بيد اللاقومية المعادية لانبعاث العرب ، عن طريق يد الخونة ، التي قيض لعرب سوريا ان يشهدوا مأتمها في المحاكمات الاخيرة .

ولقد مثلت الدول العربية المتحررة في هذا اليوم ، وسمعنا الادب الخطيب وقد اتحد باروع محتوى مسؤول . فوقف عميد الادب طه حسين يبشر العرب بان انبعاثهم هو واقعهم وهو مستقبلهم . ويقف الشاعر مهدي الجواهري يجلجل بملحمة عصماء تعيد الى الاذهان فصاحة العرب العرب الاصيلة .

وتلقاء هؤلاء الوف من شباب العرب وملايين وراءهم ، تذكر عدنان فتذكر نضال الامة العربية ، وتذكر اعداء العرب ، فتذكر المعارك التي خاضتها والتي ستخوضها من اجل سيادتها ..

وكانت امسية ٥ ايار تقذف بوجه المؤامرة الجديدة التي تحيكها قوى الاستعمار في الخارج ، وقوى الخيانة والرجعية والمادية المسيطرة والعائلية الاقطاعية ، تقذف حقيقة اخرى عن الشعب . فلقد اقترع الشعب لاخ الشهيد عدنان رياض المالكي ضد جبهة المتاجرة بالدين وبكل القيم الروحية التي لم تعد تنطلي على الشعب بزيفها .

كانت معركة دعوها معركة بين الدين والالحاد ، واما هي كما عرفها الشعب فمعركة بين العرب واللاعرب .

ومنذ بور سعيد لم يعد ثمة انتصار في عالم العرب الا للعرب انفسهم.

نزار يلقي شعره

كان موسم المحاضرات في الشهرين الفائتين قد بلغ حده الاقصى هذا العام ، واستمع فيه الجمهور المتذوق الى مختلف الموضوعات السياسية والاقتصادية والادبية ، ولقد خيم جو على جميع هذه المحاضرات ، حتى اعتقد الناس انه ليس ثمة من فرح فني يستمدونه من فنان هذا العام القاتم .

ولكن نزار بقامته الطويلة ووجهه الجذاب ورنته الملحنة اتحف الجمهور بساعة من النشوة الحقيقية في نادي (الحلقة الاجتماعية) ، فرنم لنا من شعره العفوي الرقراق ، ما جعلنا نعيش لحظة من الزمن الضائع في واحة وارفة خلال هذا الجو المتأزم دائما بعظائم الامور .

فشكرا للحلقة وشكرا لنزار .

(م. ص)

العراق

ربيع الفن في بغداد

تتطور الحركة الفنية في بغداد قدما ، وبكم وكيف لا يمكن ان يثيرا الا الرضى والتفاؤل ولو الى حد . فلقد حفل هذا الربيع لعام ١٩٥٧ بأربعة معارض حتى الآن ، وهناك معرض خامس تجري تحضيراتــه باسم « جمعية الفنانين العراقيين » . اما المعارض الاربعة التي نتحدث عنها ، هنا ، فهي « معرض بغــداد للرسم والنحت » و « معــرض الدكتــور خالد الجــادر » و « معرض الفنان التركي رحمي بهلواني » ثم « معرض جماعة بغداد للفــن الحديث » .

وما دام الفنان الاخ عطا صبري قد كفاني مؤونة نقد المعرض الاول ـ معرض بغداد للرسم والنحت ـ بنقده في عدد « الآداب » المنصرم ، فاني اجد نفسي مضطرا ان اقدم دراستي النقدية المقارنة لمعرضين فرديين هما معرض الجادر ـ الفنان العراقي ـ ومعرض رحمي بهلواني ـ الفنــان التركي ـ وللمعرض الجماعي ـ لجماعة بغداد للفن الحديث .

ليس من الصعب ان ينقد المعرض الجماعي سيما ان التزم فنانو ذلك المعرض بعض المعايير والالتزامات الفنية والفكرية . ولكن الصعب حقا هو ان ينقد معرض فردي لفنان حاول ان يسهم في مختلف الحقول وان يستغل مختلف الاساليب والمدارس كما رأينا لدى الفنان الجادر . فهنا يتوجب ان يحيط الناقد نفسه بدرع من الحذر المتناهي واليقظة الفنية المرهفة ، اضافــة الى العقل الواعي الملتزم الانسان فردا ومجتمعا ، ماضيا وحاضــرا ومســتقبلا .

يقول روبرت موترويل (راجع عدد «الآداب» الاول ١٩٥٦) : « ان « فن » الفنان ليس الا وعيه الذي تكون بألم وعلى مهل ، عبر الاخطـاء العديدة التي ارتكبها في اثناء الطريق . وليس الوعي شيئا يمكن ان يعطى الى جمهور الرسام ، بل ينبغي ان يكتسب بالتجربة ، كما اكتسبه الفنان نفســه . ان الرسام الذي لا يملك وعيا اخلاقيا ، ليس الا مزخرفا . » ويقول لويس هاراب (في كتابه « الجذور الاجتماعية للفــن » تلخيص « الثقافة الجديدة ») : « فالفن في جوهره وسيلة للاتصال بــين البشر ، وسيلة لتنمية الحياة والادراك . انه اجتماعي في اصله وتأثيراته . وان هدفه النهائي هو التعبير عن القيم الانسانية » .

وبين هذين القولين لموترويل وهاراب تتحدد رسالة فننا العــربي الحديث . ثمة من يقول : اتركوا الفن حرا ودعوا الفنانين احرارا في الاخذ والعطاء ، كما لا يخلو الجو من هندسة دقيقة دعامتها « يجب » وتاجها « ينبغي » . على ان فننا الوليد يستشرف ، اول ما يستشرف ، واقعه الخلاق بوعي هادف ، وآنذاك فقط يستطيع ان يهضم هــذه الحرية التي يذوب فيها بعض الفنانين الضائعين ، كما يستطيع ان يفيد من بعض الفذاء غير المكرور الذي تقدمه « يجب » .

وهنا نجد الفنان المرحوم مصطفى فروخ يعالج الموضــوع باســم الانسان الفنان العربي فيقول ـ راجع عدد الآداب الاول ١٩٥٦ ـ : « اما اصالة الفن في بقية البلاد العربية ، فليست اسعد حالا ، فأكثره يعيش على الاقتباس وتقليد الحركات الفنية التي تنشأ في اوروبا ، ولا يحاول ان يبتكر او يستوحي من حاضر البلاد العربية ونطلباتها وواقعها ، في حين ان رسالة الفن هي كما نعلم ، التعبير الصادق عن احاسيس الامــة وواقعهــا » .

واعتقد ان حال فننا العربي الحديث ، والعراقي من ضمنه ، هــو ، مع بعض التحفظ الضروري واللازم ، كما وصف استاذنا الفنان المرحوم فروخ واجاد . الحق ان ثمة محاولات مخلصة قد توفق وقد لا توفــق في خلق الشخصية المحلية في الفن العراقي الحديث ، ولكن هذا لا يعني بحال من الاحوال ، ان هذه المحاولات ذاتها لم تسلم من المحاكاة والمسخ الفني . وعلى أي حال فان بذور التطور الهادف والخلاق قد وجدت ولربما ستينع قريبا وتؤتي ثمارها طيبــة تفاجىء الكثــر من القانطــين والمتشائمين والسلبيين وعابدي الكمال المطلق . وقديما قيل « من ســـار على الدرب وصل . »

كتب الفنان الاخ احمد مرسي ناقدا بعض معارض العام الفائت في بغداد فقال : « الفن الحديث هو بعث الروح الخلاقة في الانسان وهو البحث المضني وراء معادن روحية شريفة لم تكتشف بعد ، بل هو كشف السماء ومحاولة بذر النجوم على تربة كوكبنا الارضي . هــذا هو الفــن الحديث الذي يعاصر اليوم احلام العلماء البعيدة ، ومحاولات الشــعوب في الانطلاق . وقد نبغ على ايدي فنانين انسانيين شرفاء ما زالوا يحترفون ليوزعوا النور في كل البقاع .. » وفي هذا القول ما يكمل الذي اقتبسناه من هاراب وموترويل . بل ان فيه ما يوحي ان فناننا الناقد قد استطاع ان يهضم ، ولو لحد ، مفهوم الفن الحديث الخلاق ويلتزم رسالته .

والى هنا ونحن نقتبس ونتحدث في رسالة الفن الحديث والمثل التي يحاول ان يلتزمها فنانونا المعاصرون . والان تيسر لنا بعد هذه المقدمة اللازمة ، ان نحلل الاعمال التي جاد بها فنانونا لنرى هل التــزمــوا موضوعا ما ، وهل وفقوا في ذلك ؟ ولنرى ، ايضا ، كم منهم من عرض الكيفية الطيبة لفننا وعالج المشكلة الراهنة ؟ وما حصة انساننا في كــل ذلك ؟

قبل كل شيء يتوجب ان نعترف ان كل فنانينا الذين ننقد ، حاولوا معالجة المشاكل الاجتماعية والانسانية ، وتصوير الاجــواء المحلية مــع تأثر ، يقل ويكثر باختلاف بيئة الفنان وثقافته ومقومات تربيته الفنيــة ورسالته التي يلتزم ، بالفن العالمي واساطينه . فالحق انهم كلهم حاولوا مع قليل او كثير من الاخلاص والتوفيق ، تصوير الواقع الرمز ، والواقع الاسطورة ، والواقع التاريخ ، والواقع الحياة . كما انهم كلهم حاولوا ان يتصادوا مع المجتمع العراقي في الفولكلور والميثيلوجيا والواقع الحي المتجدد . ولم يسلم من ذلك حتى الفنان التركي رحمي بهلواني والــذي جاء ضيفا . وهكذا فان الالتزام الفني وجد بذرته المخصاب في تربة الفن العراقي السمحة ولو بعد كثير من الضياع والعــذاب .

يعرض الدكتور خالد الجادر اربعا وتسعين لوحة في معرضــه الفردي الخاص به ، بينما يعرض الفنان التركي حوالي الخمسين لوحة ، امــا المعرض الجماعي ـ لجماعة بغداد للفن الحديث ـ فيعرض سبعا وستين لوحة فحسب عدا المنحوتات والفخاريات والمصوغات . وان كنا بسبيل بحث الكمية ، فاننا نجد الجادر في القمة . ولكن عافية الفن لا تتطلب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الكمية والافراط فيها ، قدر ما تتطلب النوعية الطيبة ، المتفتحة لواقعها ورسالتها . والحق ان الفن يمرض ويتعفن ان قدر له ان يتضخم كمية على حساب كيفية هزيلة فقيرة في دمها الفني والانساني . ونحن لا ندعي في هذا الاجتهاد والاستنباط ، فهذا من ابده بديهيات الفن . وعلى أي حال فان المشاكل الاجتماعية احتلت لدى الجادر ورحمي وجماعة بغداد حوالي الثلثين من عدد اللوحات التي عرضوها في قاعة الصور في معهد الفنون الجميلة ببغداد . وفي هذا ما فيه من الالتفاتة القيمة للتفتح الواقعي الانساني لما نعاني من وجود مهدد ، وانسانية تكاد تضيع ، وظلام لا زال يتنفس وجوده .

فلوحات الجادر (حول الرحى ، انتظار الطبيب ، مزازين العابدين ، بيت السركال ، ام ناصر ، عجيمي ، في الجنوب ، ملهى شرقي ، الموصل ، غريب في القرية ، كاولية ، الماز ، جامع المراوية ، من الهويدر ، التلقيح ضد الجدري ، ابن الشيخ ، مقامرون ، في الملهى ، حصبه ، قروية في الدورة) تكاد تقدم الوجه الابيض لفننا العراقي الحديث — وقد وفق بعضها في ذلك توفيقا طيبا — ، لولا بعض النقائص في التقنية الفنية من سوء في التوزيع اللوني ، واضطراب في النسيج اللوني ذاته ، وفقر في التعاون الوظيفي بين الشكل والمضمون المتطلب بعض الالوان المتميزة ، والتي أغفلها او جانبها ، احيانا ، فناننا الجادر . وبالرغم من ان بعض اللوحات كانت اجترارا لما سبق ان عرضه الجادر في معرضه العام الفائت — معرض بغداد للرسم والنحت — كما في «ابن الشيخ»، «الموصل» « المقامرون » ، « غجرية » ، « القرية » ، الا ان اعادة عرضها في معرضه العملاق ، كمية ، لم يخل بكامل عمل الفنان الجادر ولم يفقده بعض محسناته وبذوره السخية بالخلق والابداع ..

ومع ان الفنان التركي رحمي اندفع في زحمة التقليد فصور البيئة العراقية التي يجهلها او لا يفهمها تفهم ابنائها على الاقل ، فان بعض محاولاته جادت بمعطيات انسانية النزعة تكاد تكون مثلا يدرس ويحتذى، لولا التأثر الغالب بالمدرسية الكلاسيكية والاحتضان اللاشرعي للفوتوغرافية الخرساء . وعلى اية حال فان لوحاته « قروي تركي » و « الجندي الجريح » و « سوق الحميدية بدمشق » و « قبائل الاتراك الرحل » و « ننه خاتون » ، كانت في القمة من حيث الابداع الاصيل ، قياسا الى لوحاته الباقية ،لولا اساءة اختيار الالوان المطلوبة واهمال للشكل ذاته ، وفقر في الغنائية الفنية ، كما تجلى ذلك في بعض ما ذكرنا من هذه اللوحات . على ان لوحتيه « الجندي الجريح » و « ننه خاتون » كانتا موفقتين تماما في النزعة الانسانية والرمز الطيب والواقعية الحية الخلاقة .

اما « جماعة بغداد للفن الحديث » فمع انها حاولت الاستفادة من عنصري الفن الفردي : (الغنائية والرمزية) ، فانها لم تستطع التوفيق ككل ، في تصوير وعرض المشاكل الاجتماعية مع ايحاءاتها البناءة ، ولكنها وفقت افرادا معدودين . ففرج عبو الذي يأتي في القمة في الميدان الاجتماعي نجده ، بالرغم من انه حوم كثيرا حول الحقيقة الظاهرة واهمل الفانتازيا والفنائية الذاتية ، وفق في معظم لوحاته التي نذكر منها على سبيل المثال فحسب : السوق ، القرية ، البناؤون . اما لوحته « قهواتي القرية » والتي رسمها في روما فلم تكن موفقة توفيق اخوانها السالفات الذكر ، ولو انه اسماها — القهواتي الجوال — لكانت اصدق تعبيرا، واخلص تجاوبا ، مع الواقع الحق . وبعد فرج عبو يأتي جواد سليم عملاق النحت العراقي واستاذ النحت في معهد الفنون الجميلة . ومع ان منحوتاته لم تأت بحصاد طيب لهذا العام فان مستقبله وقدمه في النحت اثبت منها في الرسم والتصوير . على ان تطوره في الرسم لم يسجل قفزات جريئة ، كما تعودنا ان نرى له في ما سلف من الاعوام . والحق انه لو كرس نفسه للنحت والصياغة لقدم في مجال اختصاصه هذا ، الكثير من الابداع الاصيل لانساننا العربي . ولكن مرسوماته لهذا العام حفلت كالعادة ، بالرمزية المستحبة المتعانقة مع الغنائية التي يعيشها جواد في منحوتاته باخلاص اكثر . وهكذا فلوحاته: ليلة الحناء ، بغداديات، (في الملهى) ، بغداديات (بائع الطيور الجبسية) ، بغداديات (عباس وامه) كانت موفقة في ما قدمت من مضامين اجتماعية بالاطار الفني الرفيع الذي لمسناه من جواد اكثر من مرة ، والذي تجسم في الطراوة والتناغم اللوني والحذق في التوزيع والبناء والتركيب والتفريش والتسوية والهندسة اللونية . ومع ان لوحته « اغنية عربية » كانت متحذلقة الرمز ، فاشلة المضمون ، وكذلك يمكن ان نقول عن « فتاة ودلة (١) و(٢) » الا ان تفتحه للميثولوجيا العربية والعراقية والفولكلور والخرافة العراقية ، يضفي على سائر مرسوماته محبة لا نستطيع ان نقاوم اشعاعها وعطاءها .

على ان « جماعة بغداد » ضمت الى جانب فرج وجواد ، فنانين آخرين عراقيين واجانب ، قدموا بعض العطاء المنتظر من الانسان الفنان الذي يحاول تفهم واقعه ولوحته الكبرى والصغرى . فالفنان ايان اولد كان موفقا بعض الشيء في لوحته « عائلة » شكلا ومضمونا . الا ان لوحاته (فتاتان) و (جسمان) و(مدينة الليل) و(سوق في الكاظميين) لم تكن مع الاسف ، متساوية مع الرمز الذي قدمنه لوحة « عائلة » ، وفي هذا ما ينبت ان الفنان ذاته يتراوح بين الحضيض والقمة في لوحاته ذاتها . اما بوغوص فقد حشر نفسه في تهاويل ورموز تجريدية حاول ان يعبر بها عن مشاكل ومواضيع ، هي لديه — كما يظهر — مهمة ، ولكنه فشل تماما في حذلقته لولا لوحته « معركة الديكة » . ومع تفهمنا للرمز الذي قدمته لوحاته « القمر الفضي » ، و « معركة الحشرات » و « المراسل » ، الا اننا لم نلمس فيها دفء التجربة ولا تعقل الفنان ، بل اننا لمسنا التقليد الاجوف فحسب للمدارس الشكلية المتأخرة في الفن الغربي . والشيء نفسه يمكن قوله على لوحته « انشاء رقم (١) ». وهنا نجد ظل الجادر واضحا كما نجد الفنان التركي رحمي يتفوق على اعمال ايان وبوغوص .

ومع ان جبرا قد وفق في لوحته « ام وطفلها » الا انه فشل في لوحتيه « السوار الابيض » و « صورة فتاة » . والظاهر انه لم يستطع التخلص تماما من الحذلقة والتعمل والتكلف الفني الذي وصفه به الناقد الفنان احمد مرسي في العام الفائت . اما علي الشعلان فقد كانت لوحاته « الزيارة » ، « الربعة » ، « عائلة » موفقة تماما ، توفيق فرج عبو في لوحته « البناؤون » . ومع حداثة ابداع هذا الفنان الا انه يتطور بقفزات جريئة وتجاسر كبير يبعث على الاحترام والامل بمستقبله الرحب لو استمر على تشويهاته ، وتخلص من بعض الحذلقة التي تأثر بها ثقافة واخيلة ،

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ولو اندفع في عفويته وبساطته الحبيبة . والشيء نفسه يقال عن الفنان رسول علوان الذي عرض لوحة واحدة هي « الشارع » .

اما فاضل عباس في لوحاته : « زهرة الحفافة » و « شركاوية » و « الزينة » فقد بدا مقلدا للاستاذ جواد سليم في المضمون وان حاول ان يغترف شيئا من التكعيبية والتعبيرية . ومع ذلك فيمكن ان يسجل له تطور واع في فنه ما دام قد تخلص من بعض مقومات حذلقته وارستقراطيته التي عرضها في لوحاته في العام الفائت . وبالرغم من انه اعاد كما اعاد الكثير من الفنانين ، عرض لوحات سابقة ، الا ان الدراما في لوحاته تمتزج بنسيج لوني طيب ، وتبعث على شيء من الامل بتقدمه. اما شاكر حسن وطارق مظلوم وعبد الرحمن الكيلاني فلم نستطع ان نلحظ لهم تطورا يذكر ، فلوحات : « نساء في الانتظار » لشاكر حسن تتضاءل امام لوحتيه للعام الفائت ، وهما « بدوية » و « الديك والقمر » ومع أن لوحاته تتسربل بالمسحة الشاعرية الصوفية الا ان تشويهاته فنية اصيلة ، وهنا ، فان لوحته « نساء في الانتظار » لا تصمد امام لوحة الفنان الواقعي محمود صبري بنفس العنوان ، ولعل ذلك يرجع لافتقار لوحة شاكر الى التناغم اللوني والفقر في التركيب . و « عائلة راحلة » لطارق مظلوم تتسم بالواقعية مع بعض الشاعرية والعفوية الحلوة ، الا انها فقيرة في الشكل فقرها في الانسجام اللوني . وكذلك القول عن تخطيطات عبد الرحمن الكيلاني التي جاءت كريمة في الشكل ، فقيرة في المضمون ، مترددة في العطاء .

اما آل سليم وهم لورنا ونزار ونزيهة ، فقد كانوا ، لسوء الحظ ، متأثرين جدا بجواد سليم ، الفنان المعروف . ومع ان هذا القول لا يحتاج مزيدا من الادلة بعد ان تلقي نظرة فاحصة مدققة على مجموع لوحات من ذكرنا من آل سليم ، فالانصاف يقتضينا ان نقول ان تأثرهم بالجو المحلي ، ومعالجتهم للمشاكل الاجتماعية ـ بشكل من الاشكال ، قد خففا من التأثر الفوتوغرافي بأعمال جواد . وعلى اية حال ففي مقدمة آل سليم نجد نزارا الذي قدم تسع لوحات عالجت مواضيع اجتماعية، وكانت طيبة العطاء على وجه العموم .« فعازف الربابة » و « اعرابيات» و « شاربات الشاي » و « قارئة الحظ » ، كانت لوحات تكاتف فيها الشكل مع المضمون بحرارة ، فأنتج سخاء في الانفعال وحرارة في العاطفة والشاعرية ، اما « حاملات الجرار » له فلم تتخلص من التقليد لفنان آخر هو فرج عبو الذي عرض لوحة بنفس الاسم في معرض جماعة بغداد للعام الفائت . وتأتي لوحات « عائلة » و « بائع الشلغم » و « همسات الليل » للورنا ، ولوحات « بائع الفواكه » و « مولود » لنزيهة ، تأتي في القمة من حيث التصادي المبدع مع الانسان الفرد والمجتمع ، وهي لا تخلو من التشويه الفني ، وان بالغت في الاشكال المخروطية بشكل مؤلم . وهنا نسجل تطورا لنزيهة ولورنا ونزار عما قدموا في العام الفائت .

اما النحت لدى « جماعة بغداد » فقد كان فقيرا متخلفا ولعله ، هنا ، يعكس تخلفه في العالم الفني بأسره . ومع ذلك فقد اتى خالد الرحال بأعمال تفوق اعمال النحات جواد نفسه . وهنا نذكر اعماله : الراحة (خشب) ، راقصة (ابنوس) ، في الحمام (برونز) . وهذه الاعمال طيبة على وجه العموم بالرغم من التأثر الواضح برودان ، وكان يمكنه ان يتفوق اكثر على ذاته لو درس بامعان اعمال انجلو الذي تسامى بالشكل الواقعي واستغل التشويه الفني كأداة لخلق منحوتات حية . اما ميران السعدي فلم يكن موفقا ، الا في « ملاذ » ـ جبس ـ ، فقد كانت تفوح بغنائية حبيبة . اما خليل الوردي فقد كانت منحوتاته الثلاث طيبة عموما ولا سيما (الهزيع الاخير) ـ خشب ونحاس ـ و (البائسة) ـ خشب ـ والدارس المدقق لهذه المنحوتات يؤمن ان ثمة مستقبلا طيبا ينتظر الفنان الوردي ، بعد ان يلحظ التطور البني لنجنه عن منحوتاته (القصاب ، فتاة مذعورة ، أم عبد) التي عرضها في « معرض بغداد للرسم والنحت » في العام المنصرم . واخيرا يواجهنا الكيلاني بـ (رأس السيدة بل) الذي كان معبرا جدا لولا الاغراب في التقطيع والتشويه . اما « تريزا » ـ برونز ـ فقد كانت طيبة ، نسبيا ، ان قيست بأعمال ميران . وهنا نلاحظ الفروق بين نحاتي ورسامي « جماعة بغداد » طفيفة حتى ليخيل ان المعرض فردي ..

وما قيل عن تخلف النقد يمكن ان يقال ، مع بعض الحذر ، عن تخلف الفخار الذي اختص به ايان اولد لوحده ، فكانت صحونه و سنادينه اجترارا غثا لا طائل وراءه رغم ما فيها من دقة في الصنع طفت على التقنية الفنية المطلوبة . والشيء نفسه يقال عن الصياغة التي خاض غمارها الفنانان جواد سليم وخالد الرحال ، فكانت اقراط جواد الفضية والنحاسية مع علبة السكاير التي صاغها الصائغ غالب ناهي ورسم بعض النقوش عليها الاستاذ جواد ، اقول كانت عملا يثير القنوط ، ان قورن بمرسومات ومنحوتات جواد الطيبة . والمشكلة هي ان فنانينا يوزعون جهودهم في مختلف الحقول فلا تأتي اعمالهم الا سطحية في الاغلب ، قيمة في الاندر . على ان مصوغات الرحال كانت تشع بومضات فنية مشرقة تمازجت فيها دقة الصفة بغنائية الفن ورمزيته . وهذا ما نقوله عن « مهافيف » ـ فضة وذهب ـ و « جوبيه ـ دبكه ـ عربية ـ فضة ـ و « وجه فتاة » ـ نحاس . وعلى العموم فقد كان النحت والصياغة لدى جماعة بغداد متخلفين امام القفزات اللامتحفظة في عالم الواقع والمحسوس والمعقول في اجواء المرسومات التي ذكرنا .

.....

ترى هل اوفينا حق الدراسة النقدية المقارنة بما قدمنا ، حتى الان ، من فحص نقدي ؟!

لا حاجة للقول ان المعرضين الفرديين للجادر ورحمي من جهة ،والمعرض الجماعي « لجماعة بغداد » ، كانت جميعا ، مصدر استشراق واقعي رحب لفننا الوليد . ولكنها من جهة اخرى ، كانت محدودة الطابع والسمة . فالتجاسر لم يتوزع ، بانصاف ، على عموم الفنانين . والعفوية ماتت لدى بعض الفنانين بينما اورقت وازهرت لدى الآخرين . والغنائية والرمزية والنزعة الانسانية ذاتها كانت تتردد وتتراوح قوة وضعفا ليس بين عموم من عرضنا من الفنانين ، بل بين لوحاتهم ومنحوتاتهم ذاتها . فما السر في ذلك ؟ وما العلاج ـ ان كان ثمة علاجات ؟!

السر ان الثقافة الفنية والفكرية للفنان العراقي تتفاوت علمية وموضوعية ، جذرية وتعقلا ، انسانية ومعطيات . والسر ، ايضا ، هو ان فناننا الانسان لم يخلق بعد ، وان كل ما وجد حتى الان هو بذور وبذور فحسب . والسر ،أخيرا، ، هو ان فناننا ، رساما ، ونحاتا ، وصائغا ،

النشاط الثقافي في الوطن العربي

كان ، لحد كبير ، ولا زال ، في رواسبه الكثر ، بمعزل عن الثقـــافة الجذرية والالتزام الواعي الهادف . وربما وجد بعض الفنانين امثـــال محمود صبري وفرج عبو وجواد سليم وعلي الشعلان ونزار سليم وخالد الجادر والشيخلي ، ممن استطاعوا عرض أعمال طيبة المضمون والشكل ولكن هل خلق هؤلاء وغيرهم الشخصية المحلية للفن ؟ هل فرضوا او صنعوا او خلقوا الطابع القومي لفننا العراقي والعربي .

ان لوحة « الجندي الجريح » للفنان التركي رحمي تتفوق في نزعتها الانسانية على مجموع اللوحات التي استعرضنا للفنان الجادر وفناني « جماعة بغداد » . والعجيب ان فرج عبو هو فنان موهوب يظل يتأمـــل ويهضم الحقائق الظاهرة بينما لا يفيد مما يقدمه علم النفس واللاشعـور في الفن . والحق ان الفن مصب خلاق تصب فيه مختلف حقول الثقافة وروافد المعرفة الانسانية . والفن الحديث اليوم لا يستطيع ، البتـــة ، ان يتخلص من معطيات علم النفس والتاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع .

صحيح ان الفنان الجادر قد ساح بمرسوماته عبر تركيا والاطلسي ، والريفيرا ولكنه لم يستطع ، للاسف، ان يقدم لنا الا مسوخا في المرسومات عما رأى وتجاوب معه . وكان يمكنه ان يعيش بيئته المحلية فيبـــدع كما استطاع فعلا في « الموصل » مثلا ، وهذا ، عموما ، خير ما يمكن ان يقدمه الفنان الموهوب . نحن لا نعدم انسانية فنانينا ولا نقطع عـرق تحسسهم الفني العالمي او الانساني ولكننا نهمس في آذانهم انهم لم يوفقوا حق البيئة التي عاشوا فيها ، وانهم لا زالوا ، الى حد ، يعيشون عـالة الفن العالمي ، العملاق . أليس الاحرى ، اذن ، ان يضعوا ايديهم هنـا في تربتنا وارضنا وهوائنا وانساننا الطامح المعـذب هذا ؟! ثم أليــس التعبير والتجاوب مع حاجات ومثل واساطير انساننا ، ابداعا لا ينكر ، في المجال الانساني في الفن ، جذرا وقمة ؟!

همسة اخرى في آذان فنانينا في « جماعة بغداد » وفناننا الجادر : أليس الاكرم لفننا ان يستوحي المواضيع من محيطه وتراثه الحضاري بدلا من ان يسوح في الريفيرا او ساحل الاطلسي كما فعل الجادر ؟ نحن لا ندعو الى الانغلاق والانعزال ، ولكننا نلفت النظر الى قول الناقد الفنان احمد مرسي : « وحري بالذكر اننا نحن الشرقيين لنا من تراثنا الحضاري وظروف حياتنا الاجتماعية المطبوعة بكثير من المعتقدات والرواسب الفكرية التي لم نتخل عنها حتى الان ما يحدو بنا الى الحث على تأكيـد شخصيتنا الشرقية » . اجل ان بامكاننا ان نفعل ذلك ولكن لا بالتأكيـد على الجانب السلبي والجانب الاسطوري والميت الخرافي واهمـال الجوانب الايجابية الحية الصاعدة ، بل بالمحافظة عـلى النسغ المجتمعي القومي وتطويره وتطعيمه بخير ما توصل اليه فنانو الغرب . الفـن ملك الانسانية وظلها الخالد — ومتى ما قصرنا عن خلق شخصيتنا الفنيـــة المميزة ، فاننا لا نعدو ان نكون تلاميذ مبتدئين او مقلدين — وقد نبدع ولكن في ميدان التقليد فحسب . ان البذور التي زرعها معرض الجادر ومعرض « جماعة بغداد » لها كل الامل ان تنمو وتنتج ولكن مع رسـالة انسانية وتقنية فنيـة اصيلة .

بغـداد　　　　**جليل كمال الدين**

السودان

بعد الجــــلاء

وعدت القراء الكرام — في العدد الماضي من الآداب الغراء — بأن اكتب لهم عن بلادنا ، وبأن اعرفهم بخصائص هذه الحياة الجديدة التي يعيشها الشعب السوداني ، وان أحدثهم عن هذا الفجر الجديد الذي اشرق على بلادنا بعد ان كانت تعيش في ظلام شاء المستعمرون البريطانيون ان تعيش فيه لكي تلتهم مصانع لانكشير قطننا ذا الفتلة الطويلة . لقد كان الاستعمار البريطاني ، منذ احتلاله لبلادنا حتى الجلاء في عام ١٩٥٣ ، يستغل شعبنا ابشع الاستغلال ويسخره لخدمة الاحتكاريين البريطانيين ، ولكن الشعب السوداني ، بفضل نضاله وبفضل تأييد الشعب المصري الشقيق وبفضل نضال الشعوب العربية ، استطاع ان يحصل على حريته وسيادتـه واستقلاله . حطم « الجمعية التشريعية » التي ارادها الاستعماريـون ان تحكم لهم بالنيابة كما حطم من قبلها « المجلس الاستشاري لشمال السودان ». ولقد كان الاستعماريون الانجليز يحلمون ان يدخلوا مـرة اخرى من خلال الثغرات المفتوحة في اتفاقية القاهرة سنة ١٩٥٣ والتـي ادت الى جلائهم عن بلادنا . ولكن يقظة الشعب السوداني ، بمؤازرة لن ننساها ، من الشعب المصري الصديق ، استطاعت ان تجعل حلم المستعمرين خيالا . نحن الان احرار يقوم برلماننا في ذات المكان الذي شهد مصرع الجمعية التشريعية .

ومن خصائص هذه الحياة الاستقلالية التي نعيشها في حاضرنا هـذه الثقافة الجديدة التي أخذت تنتشر في ربوع بلادنا كاوسع ما يكـون الانتشار . اصبحنا نقرأ الكتب والمجلات التي كان يصادرها السكرتـير الاداري الانجليزي ابان العهد الماضي لا لشيء الا لانها تحمل ثقـافة معادية للاستعمار ، لافكاره ومفاهيمه وآرائه . ان القراء الكرام سيدهشون اشد الدهشة حينما يعلمون بأن ٩٩ ٪ من شعبنا يتخبطون في ظـلام الجهل والخرافة — هكذا اراد لهم الاستعمار .

وكان علينا ان نواجه تركة مثقلة خلفها لنا الاستعمار طيلة حكم يربو على نصف قرن من الزمن . فالعهد الجديد اشد ما يكون حاجة الى جيش جرار من المثقفين الواعين يتولون امر البلاد ويقودوننا الى سبيـل الانتاج الصناعي لاسيما وان الابحاث والتجارب التي اجريت اخيرا قد برهنت على وجود كميات كبيرة من المواد الخام مطمورة في اراضينا . ومن اجل ذلك فلقد افتتحت حديثا عدة مدارس اولية وابتدائية وثانوية للبنين والبنات في اجزاء مختلفة من انحاء القطر . وتحولت كلية الخرطوم الى « جامعة الخرطوم » وستفتتح فيها اقسام جديدة للبيطرة والفلسفة والاقتصاد والصيدلة والهندسة المعمارية . ولقد فتح الباب على مصراعيه امام طلابنا الجامعيين لكي يتلقوا دروسا في الخارج . كما ان حملات محو الامية ، التي تشترك فيها الحكومة والطلاب ومنظمات اتحاد الشباب السوداني ، تلقى نجاحا طيبا .

وبعد فان الطريق لا زالت ، امامنا ، شاقة ، وعرة المسالك ، لاسيمـا وان الاستعمار الامريكي قد دخل الميدان ، على حساب حلفائه الانجليز والفرنسيين ولكننا نأمل ان نتغلب على جميع الصعاب وان نشد الطريق

أمام نفوذ الاستعماريين الامريكان وان نسهم فى بناء القومية العربية وتوطيد دعائم السلام .

النشر والتأليف

لم يشهد تاريخ بلادنا حركة واسعة للنشر والتأليف كهذه الحركة المباركة التي شهدها منذ فجر هذا العام فلقد صدرت عدة صحف ومجلات كما ان الكتب الاتية قد صدر بعضها والبعض الآخر لا يزال تحت الطبع :

* فى العاشر من يناير اصدر الدكتور عبدالله الطيب – دكتور اللغة العربية بجامعة الخرطوم – ديوانه « اصداء النيل » وقد طبع بمطبعة مصر بالخرطوم . ولقد اثار هذا الديوان كثيرا من النقد والتعليق وسط الادباء السودانيين .

* كما أصدر الدكتور عبد المجيد عابدين والاستاذ المبارك ابراهيم ديوان « الحاردلو شاعر البطانة » والحاردلو شاعر قومي سوداني ولد فى ارض البطانة بشرق السودان عام ١٨٣٠ وتوفي عام ١٩١٧ . كما اصدر الاستاذ المبارك ابراهيم كتابا آخر عن « تاريخ مدينة الخرطوم » عاصمة جمهورية السودان .

* واصدر الاستاذ عبد الخالق محجوب كتابه« آفاق جديدة » والكتاب يحلل بدراسة موضوعية عميقة ، الظروف السياسية العالمية ومدى تفاعلها مع المسألة السودانية المصرية التي يعطيها الاستاذ عبد الخالق اهتماما كبيرا . كما اصدر الاستاذ مأمون الامين – عضو الجبهة المعادية للاستعمار – كتاب «مؤامرات الاستعمار فى السودان» وهذا الكتاب يجيء فى مضمون كتاب الاستاذ عبد الخالق ، الا ان كتاب الاستاذ مأمون يتناول – بفهم سليم – ، الظروف السياسية التي جدت بعد اصدار الاستاذ عبد الخالق لكتابه .

* « مذكرات الجنس » للاستاذ عبدالله رجب ، صاحب ومحرر جريدة الصراحة السودانية التي تعد من اهم الصحف السودانية ، ان لم تكن أهمها . والكتاب – وهو لا يزال تحت الطبع – يمتاز بقيمته الادبية والتاريخية على السواء

* وامام اللجنة ذات الاختصاص فى وزارة الداخلية ديوان « الشعراء والغاوون » للاستاذ منير صالح عبد القادر.والديوان عبارة عن مجهود قيم بذله الاستاذ منير لتجميع نتاجات الشعراء السودانيين . كما يستعد الاستاذ منير لاصدار كتاب آخر عن « ادبيات السودان » يتناول فيه الادب النسائي فى بلادنا .

* ويعكف الاستاذان صلاح احمد ابراهيم وعلي المسك على اصدار كتابهما « حكايات من السودان » .

* اما الاستاذان ابو بكر خالد والطبيب زروق فيعملان ، الآن ، على اصدار كتيب يحوي قصصا سودانية. ولقدقام الاستاذ محمود امين العالم بكتابة مقدمته .

* ويبدو ان القصص تتمتع باهتمام كبير من جانب ادبائنا . هاهم القصاصون محمد سعيد معروف وطه عبد الرحمن وعثمان علي نور وخوجلي شكرالله والزبير علي وابو بكر خالد والطيب زروق يشتركون فى تأليف كتاب يحوى قصصا سودانية .

* ولقد استلم الاستاذ منصور عبد الحميد تصديقا من وزارة الداخلية باصدار مجلة ادبية شهرية اسمها « المعرفة » ولا شك ان هذه المجلة سيكون لها اعمق الاثر فى تطوير ادبنا الناشيء ودفعه خطوات واسعة للامام .

الخرطوم محجوب عبد الملك



صندوق البريد

حول مصرع طاغية

في عدد مـايو سنة١٩٥٧ من مجلة الاداب قرأت كلمـة للاستاذ الاديب فاضل السباعي عن قصتي « مصرع طاغية »، ويبدو للنظرة العاجلة ان الكاتب لا يعرف ان هذه القصة سبق ان ظهرت فى طبعة مطولة منذ سنوات وعلى وجـه التحديد قبل ظهور قصة « انا الشعب » للاديب الكبير محمد فريد ابو حديد باربعة اشهر ، وهي القصة التي ظن ان قصتي مأخوذة منها لقوة الشبه بين القصتين موضوعا وسردا واسلوبا ، ولا يعني ذلك ان العكس هو الصحيح ، وانما يعني ان الظروف ابت الا ان تكون القصتان الدليـل الناصع على صدق ما يقال من توارد الافكار والخواطر في اذهان الادباء على تباين اذواقهم وامزجتهم ومذاهبهم وتفاوت حظوظهم من النبوغ والتفوق والابداع ، وليس ادل عـلى على ذلك من أن استاذنا الكبير محمد فريد ابو حديد قـد تملكته الدهشة حين قرأ « مصرع طاغية » وكان في ذلـك الوقت عاكفا على كتابة « انا الشعب » ، ولا زلت اذكر قوله لي « ليس العجيب ان موضوع القصتين واحد وانمـا العجيب ان البطلين يحملان من السمات والاوصاف ما يبعث على الدهشة » وقد عبر عن ذلك اصدق تعبير في المقدمـة التي صدرنا بها مصرع طاغية حيث قال : « لست اشك في ان هذا الموضوع الـذي اختـاره المؤلف سيكون موضوع احاديث اخرى وقصص اخرى وقصائد اخرى تصف آلام المصريين مما كانوا يعانون وتقرر احلامهم فيما يأملون ان يصلوا اليه بعد ، وقد مرت علي قبل هذه القصة قصص اخرى تتصل بهذا المعنى ، **واغلب ظني ان قصصا اخرى ستظهر فيما بعد في هذا المعنى عينه ،** لان الاديب المصري لا يستطيع ان يتخلص من الشعور الغامر الطبيعي الذي يملأ قلوب المصريين جميعا في هذه الحقبة من حياتنا » .

اما بقية ملاحظات الاستاذ فاضل السباعي على القصة فلا اقول فيها سوى انها مجموعة من الاراء ان دلت على شيء فانما تدل على ان الناقد الفاضل ــ رغم نبل هدفه ــ لا يعرف الوقائع وما نعرفه عن الحياة التي كانت سائدة في مصر ، في عهد ما قبل الثورة ، وهو العهد الذي الفت فيه القصة والا لما اعترض على ما جاء فى القصة من ولع رجـال البوليس في ذلك العهد بمطاردة الاحرار وتلذذهم بتهشيم رؤوس الشباب في المظاهرات داخل الحرم الجامعي وخارجه، وما اخال بقية القراء قد اغرقوا في الضحك ــ كما يقـول الكاتب عن نفسه ــ من منظر الشرطة وهم يسوقون امامهم في غفلة بطل القصة السجين ليؤدي في الجامعة امتحانه ، وانما رثوا لحاله لان المنظر طبيعي ومألوف ومؤثر على كل حـال .

ولا اسهب في التعليق على الملاحظات الاخرى ولكني احب ان اقف قليلا عند قوله ان القصة لم تعالج المشاكل الاجتماعية علاجا وافيا ، ولا شك ان هذا النقد غير موفق فاني لـم اكتب القصة لتكون كتابا يفيد منه الباحثون من علمـاء الاجتماع والسياسة وان كان هذا لا ينفي ان القصة تصور كثيرا من مشاكل المجتمع المصري وتقترح الحلول العملية لعلاجها مع المحافظة على جو القصة حتى لا يضعف الميـل الى قراءتها وتتبع حوادثها .

ولا يسعني بعد ذلك الا ان ازجي خـالص الشكر الى الاستاذ فاضل السباعي على كلمته التي اعتقد انه لا يبغي بها الا منفعتي ومنفعة القراء من ناحية ومنفعة الكتاب العربي من ناحية اخرى .

القاهـرة **حسن رشاد**

●

حول «موتى اضاعوا قبورهم»

سبق ان نشرت فى « الآداب » مقالا بعنوان « اللغة والحياة » منـذ زمن بعيد ، وارسلت آنسـة خطابا تزعم فيه ان مقالي سبق ان نشـر بمجلة « العالم العربي » وقد انارني قولها فارسلت اتحداها بأن تأتيني بالدليل على صدق رأيها ، ولكن الانسة الفاضلة لجأت الى الصـمت كوسيلة للاعتـذار .

المهم ان المجلة خرجت من شجاري مع الانسة بقرار عـدم نشر اي مقال سبق ان نشر فى أي مكان ، وبنصيحة للكتاب الا يفعلوا مـثل هذه الخطيئـة .

وانا اليوم احتكم الى قرار المجلة ، واقول ان مقال «موتى اضاعـوا قبورهم » للسيد عبد المنعم مجاهد ، المنشور بالعدد الخامس من السنة

الخامسة ١٩٥٧ من مجلة « الآداب » الغراء ، سبق نشره بمجلة العالم العربي قبل شهر . فلو ان السيد مجاهد ارسل خطابا لمجلتكم بعد نشر المقال بمصر ، باسبوعين ، لاستطاع ان يوقف نشره .

وحين ارسل هذا الخطاب ، ومقاله السابق نشره ، احس انني سأثير الكاتب ضدي ، وربما ينعكس رد الفعل من الشخص الى الموضوع فأحصل على قادح جديد لانتاجي الفني .

ولكني حين فاضلت بين شخصي والحقيقة، آثرت الحقيقة مهما كلفتني من ثمن .

رجاء اعادة نشر بيان المجلة بعدم نشر نفس المقال في مكانين . وشكرا .

القاهرة **ابراهيم شعراوي**

●

مذكرة

بشأن الاحتفال بذكرى البارودي

جاءنا من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب في القاهرة ما يلي :

بحثت لجنة الشعر موضوع تنظيم الاحتفال بذكرى الشاعر محمود سامي البارودي ورأت ما يأتي :

(١) ان يكون موعد الاحتفال في شهر ديسمبر المقبل بدار الاوبرا .

(٢) ان يستمر الاحتفال يومين تلقى فيهما البحوث ، ويوما آخر لتكريم اعضاء الوفود التي ستشترك في الاحتفال ، ويقام لهم حفل عشاء في ذلك اليوم .

(٣) ان توجه الدعوة الى الحكومات العربية ، لتوفد كل حكومة مندوبا يمثل كل قطر عربي في هذا الاحتفال .

(٤) ان تتكفل الحكومة المصرية باستضافة هؤلاء المندوبين مدة اسبوع.

(٥) ان يكلف المجلس السادة الاساتذة الاتية اسماؤهم باعداد البحوث التالية :

أ ـ عصر البارودي ، مع ملاحظة علاقته بالثورة العرابية (الدكتور محمد صبري)

ب ـ حياة البارودي (كان من المقرر ان يلقيها الدكتور محمد حسين هيكل)

ج ـ رسالة البارودي واثره في الشعر الحديث ، مع الاهتمام بتوضيح تأثيراته بالشعر الفارسي والتركي (الدكتور عبد الوهاب عزام) .

د ـ تحية الشعر (الاستاذ عزيز اباظه)

هـ ـ اختيار قصائد من شعر البارودي (يقدمها الاستاذ كامل الشناوي)

(٦) ان يتصل المجلس بدار الكتب المصرية لانجاز ما كتبه البارودي وما كتب عنه ـ مما سبق ان وعدت به الدار ـ على ان تكون هذه المطبوعات معدة قبل موعد الاحتفال بوقت كاف .

سكرتير عام

المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب

●

من رابطة الكتاب الشباب

جاءنا من رابطة الكتاب الشباب في دمشق البيان التالي :

عندما تنادينا لتكوين هذا التجمع الادبي كنا نؤمن بان هنالك عدة اشياء غير رغبتنا في الانتاج الادبي تجمعنا الى بعضنا يأتي في طليعتها شعورنا بان شعبنا يجتاز مرحلة من تاريخه ذات اهمية بالغة نشأت من كونه يناضل باصرار وحرارة من اجل دعم استقلاله الوطني وتحرره من آخر قيد خلفه الاستعمار وظلمات القرون المشحونة بالجهل والظلم والعبودية ، ويجاهد في سبيل الوحدة العربية المتحررة ويعمل بلا هوادة على تحقيق العدالة والخير ، والتمتع بكل ما في الوطن من فتون وخيرات، وهو في ذلك يساهم في توطيد دعائم السلام في العالم ، ويعزز رغبة الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ، ويؤكد ان الاستعمار مهما يبعد اليوم الذي يسحق فيه فهو لا بد زائل مقضي عليه بالدمار .

واننا لا نشك ابدا في ان للادب دورا طليعيا في التعبير عن انتفاضات شعبنا الرائعة وثوريته المتجددة وطموحه الدائم نحو غد مشرق تلونه بالفرح والبشر زقزقات الاطفال وضحكات الصبايا ولهفات الشباب الى موعد ناعم في مجتمع لا يحد من انطلاق الناس فيه قيد يحول دون تفتح امالهم واحلامهم .

واننا نعتقد بان للادب مهمة حيوية في الاخذ بيد شعبنا وتطويره وتقدمه

ونحن وقد آمنا بجدوى السير في هذه الطريق لا يسعنا الا ان نؤكد بأن ما ننتجه صادر عنا ، من اعماق قلوبنا ، وليس مفروضا علينا فرضا خارجيا لا ينسجم مع ذواتنا .

انا نعرف حدودنا ، ونعلم اننا ما زلنا في اول الطريق نسعى لان نطور انتاجنا ما استطعنا ، ولكن هذا لا يمنعنا من ان نعين منطلقنا في الانتاج فنحن نؤمن بالواقعية كطريقة في التعبير عن واقعنا الحي في حركته المستمرة لانها تنسجم مع متطلبات القوى النامية في مجتمعنا .

كما نؤمن بان الادب الواقعي الصحيح يجب ان يعمل على ابراز خط التطور الاجتماعي واتجاه هذا التطور ، حتى يتسنى له اكتشاف سمات المستقبل فيسير موجها في طليعة المعركة لا منسحبا خلفها .

ونحن ننظر الى الآثار الادبية على ضوء الزاوية التي يتم من خلالها انتقاء مضمون الاثر الادبي ، وعلى هدي الطريقة التي تتم معالجته بها وعلى مدى انسجام ذلك مع الفترة التاريخية التي نمر بها ، ومدى توافق الاثار مع حركة شعبنا وتطوره .

والادب ، منذ عرفه الانسان ، كان له شكل ولد على موعد مع مضمونه فليس هنالك قوالب ادبية جاهزة ولا اشكال فنية جامدة ، وانما موضوع الادب نفسه هو الذي يخلق شكلا يتلاءم معه ويناسبه، وهكذا فلا يمكننا ان نمدح شكلا معينا من اشكال التعبير الا بمقدار ما ينهض بموضوعه ويخدمه .

وبعد ، فان هذا التجمع محاولة من المحاولات العديدة التي قام بها كثيرون قبلنا للمساهمة فى انتاج ادب تقدمي ،وان هذا لا يعني ابدا اننا وحدنا سنقوم بهذه المهمة الشريفة الصعبة ، وانما هي خطوات يكمل بعضها بعضا ، ونسيرها فى الدرب الذي يمشي فيه غيرنا من الكتاب الشرفاء الذين يؤمنون بالفكر الحر ، ويحترمون الانسان ، ويقدسون كل خير وحق .

وليس لنا من عدو الا الذين يشوهون الحياة ، ويعيثون في الثقافة الانسانية فسادا ويمتهنون ما تعاونت الشعوب على خلقه خلال قرون عديدة فى الحضارة ، بما يملكون من امكانيات فنية ووسائل للدعاية لارائهم ونشرها وترويجها .

ونحن اذ نأخذ على انفسنا عهدا بالانتاج والعمل مع سائر الكتاب والمفكرين الشرفاء لا يسعنا الا ان نحيي بحرارة اولئك الذين يعملون على بعث تراثنا العربي ، ويساهمون فى صيانة ثقافتنا الوطنية ، ويذودون عن التراث الانساني فى العالم كله .

دمشق ـ ابراهيم شعيب ، احمد الغفري ، سعيد مراد ، نادیا خوست ، ناريمان زكريا ، نصر الدين البحرة، هشام النحاس .



فهرست

العدد السادس ـ حزيران (يونيه) ١٩٥٧ ـ السنة الخامسة



مؤسسة المطبوعات الحديثة

يوسف مشاقة وشركاه



كتب توزعها المؤسســـة

من مطبوعات دار المعارف بمصر ــ داربيروت ــ دار صــادر ــ دار المكشوف

دراسات تاريخية

غ.ل.	
١٥٠	اثر العرب فى الحضارة الاوربية لعباس محمود العقاد
٢٠٠	الديمقراطية فى الاسلام لعباس محمود العقاد
٢٠٠	تاريخ الحضارة الاسلامية لبارتولد
٣٠٠	تاريخ القدس لعارف العارف
٣٠٠	تاريخ اوربا فى العصور القديمة لفيشر
٩٠٠	تاريخ اوربا فى العصور الوسطى جزءان لفيشر
٥٠٠	البندقيـــــة لشارل ديل
١٥٠	انصاف عثمان لمحمد احمد جاد المولى
١٥٠	مصر والشام فى الغابر والحاضر لاسعد طلس
٣٥٠	فلسفة التاريخ لغوستاف لوبون
٤٠٠	تاريخ الفتح العربي فى ليبيا لطاهر احمد الزاوي
٤٠٠	الملكة فكتوريا لسترتشي
٣٠٠	نابليون لفيشر

غ.ل.	
٤٠٠	كليوباتره لاميل لدفيج
١٥٠	النساء العربيات لكرم البستاني
٢٠٠	اميرات لبنان لكرم البستاني
١٠٠٠	البيان المغرب لابن عذارى
٥٠٠	الشعراء الفرسان لبطرس البستاني
٢٥٠	الحجاج طاغية العرب لعبد اللطيف شرارة
١٥٠	مفاخرة الجواري والغلمان للجاحظ
١٥٠٠	الروم فى سياستهم وصلاتهم بالعرب (جزءان) لاسد رستم
١٥٠	الاسلام فى نظر الغرب لموسى الحسيني
١٥٠	ازمة الفكر العربي لموسى الحسيني
١٢٥	فى ظلال النبوة لمحمد رشدان
١٠	من الزاوية العربية لنبيه فارس
٢٠٠	نهاية الاستعمار لزهير السعداوي
٤٠٠	الفكر العربي الحديث لرئيف خوري